

سر المهجد الغريب

تأليف

سعاد أبو الحمد

في

فاتازيا غموض إثارة تشويق

309 صفحة

الفصل الأول

كان الوقت يناهز السادسة من صباح أحد أيام شهر يونية، فكانت السماء صافية، ونسمات الرياح تهب في وداعة تداعب أشجار السرو العالية حول فيلا أمون، والتي تمتد في ارتفاعها فتكاد تعانق نجوم السماء يسكن بين أحضانها الشاهقة في وداعة، وهدوء البلايل المغردة التي تتطلق في هذا الوقت الباكر منشده اجمل سمفونيات أغاريدها الجميلة تداعبها رائحة الورد والياسمين بألوانها المبهجة فينتشر عطرها ألاب ليسعد القلوب ويهيج الناظرين كما انتشرت بالقرب حقول الذرة الخضراء ندية لم تجف أوراقها بعد فأخذت تتراقص مع نسيم الصباح فكانت تبدو مثل راقصات الباليه في خفتها، ورشاققتها فأخذت تتمايل في إيقاع متناسق فريد، وعلى مرمى البصر خلف الحقول الخضراء ترى الجبال الشامخة كأنها؛ الحارس الأمين لكثير من المسلات والمعابد الفرعونية التي تملأ هذا المكان المترامي في أقصى جنوب مصر لتكتمل اللوحة الإلهية البديعة بسحر النيل حين ينساب في رقه وجمال حاملا فوقه البواخر النيلية محملة بكثير من البشر جاءوا لهذا المكان للتمتع بليالي هذه المدينة البديعة بين سحر الماضي والحاضر و سحر الطبيعة الألاب وبرغم تناسق الأشجار والأزهار الفريد حول هذه الفيلا ألا أنها كانت أكثر الأماكن التي يخشى الناس الاقتراب منها أو التمتع بعطر زهورها الألابة . فهل بسبب تلك ألوحه الكبيرة التي تم وضعها على سور الفيلا؟ وكتب عليها ممنوع الاقتراب!

ترى هل كانت تلك الألابة تحذيرا من الاقتراب من الفيلا الفريدة الفاخرة أم تحذيرا لمعرفه ما تخفيه من أسرارها؟

"أمون" اختاره صاحب الفيلا اسماً لها من بين الأسماء التي قد
قضى أجمل سنوات عمره بالقرب منهم فكان هذا الاسم هو
المحبيب إليه. أما أمون فهو "سيد الآلهة المصرية" وكبيرها
وخالق الكون عند المصري القديم، واسمه يعني (الخفي)
ترى هل كان يريد أن تتال الفيلا من اسم صاحبها بعض الخفاء
أيضا؟ ولكن لماذا؟

كان أهل القرية يطلقون هذا الاسم عليه أيضا دون علمه بذلك
في همسات لا تصل إلى سمعه، أو قد تصل أحيانا ولكن كان
لا يعيرها كثير من الاهتمام، وكيف ينتبه لصغائر تلك الأمور،
وهو عالم الآثار العظيم البالغ من العمر خمسة وسبعون عاما،
وان كان الآن قد تقاعد عن البحث والتنقيب والذهاب في بعثات
استكشافية كما كان يفعل سابقا، ولكن من يكون أمون هذا كما
يطلق عليه أهل القرية؟

انه الدكتور "عوني" رجل رياضي ووسيم فارح الطول، ترى
شعيرات البيضاء تتخلل بعض جوانب رأسه ، ازرق العينين الذى
ورثهما عن جده ، أما بشرته فكانت سمراء مشربه بالحمرة مثل
كثير من أبناء وادى النيل ، قليل الكلام، لن تستطيع أن تعرف
عمره الحقيقي جيدا، فهو يبدو اصغر من عمره الحقيقي بعشرة
سنوات على الأقل ، يسكن وحيدا في تلك القرية الصغيرة داخل
الفيلا التي توارثها عن الأجداد ،وكانت ميراثه وميراث أخويه،
والتي ظلت هكذا ، فكانت متنفسا لأبناء الأسرة لقضاء بعض
العطلات أو الأعياد هنا للتمتع بجمال الطبيعة الساحرة بذلك
المكان البديع

العلم والأصدقاء والعلماء، لم يكن وحيداً كما يبدو لأهل القرية، ولكن كان وقته مكتظ بالأعمال من خلال الإنترنت أو كتابه الأبحاث لعدد من المجالات المختصة، والأماكن البحثية، وإن لاحظت باب الفيلا مغلقاً لأسابيع لا يدخل أو يخرج أحداً منه فأعلم انهم معه بالداخل يتواصلون عبر شاشة الإنترنت.

وأحياناً لا يكاد اليوم يخلوا من زائرين من القاهرة، أو أي مكان بالعالم قد يكونوا من الأصدقاء، أو الأقارب، أو تلاميذه، أو وسائل الإعلام سواء المرئية أو المقروءة عربيته كانت أو اجنبيه، لتقوم بتسجيل لقاءات معه. فمزال عالم جليل للباحثين ومرجع هام للمهتمين بهذا العلم كان كالنهر الجاري لا ينضب أبداً -أما غير ذلك. فيعود لكتابة مقالاته النصف شهرية، وكتابه كتبه وأبحاثه. توارث الدكتور عوني هذا المكان عن أجداده كما توارث الأرض المحيطة به أيضاً، وقد اختاره ملازاً وسكناً هادئاً فور تقاعده.

كما توارث أهل القرية كثيراً من الحكايات عن الفيلا، والتي لا يقل غموضاً عن غموض الأثار والجبال المحيطة بها، فقد فقدت إبانهم وأجدادهم النوم أيام كثيره بسبب تلك الفيلا، وما يدور بها وحولها من أحداثها غريبة، وتوارث ابناهم الهلع وعدم السير بجانب أسوار أو الاقتراب من هذا المكان إذا ما غربت الشمس.

"آمون" -ذلك المكان المتوارث عن الآباء والأجداد الذي اختاره الدكتور عوني، ليكون مسكن وسكنه في ذلك العمر، حيث الهدوء والجمال، وبجوار معشوقاته من المعابد والمسلات الفرعونية التي تملأ المكان، ومزال يكتب عنها مؤلفات او مقالات حتى الآن.

"أمون" أو "الفيلا المسكونة" كما يطلق عليها سكان القرية، تلك الفيلا العتيقة - ما قصتها؟! هل حقا ما يدار حولها من أساطير أم مجرد حكايات متوارثه!!؟

مع انتهاء السنة الدراسية كانت تلك الفيلا العتيقة تترزين، فتم تقليم أشجارها القصيرة، وأعيد ترتيبها، وتنظيفها، ففرشت أجمل ستائرها، استعدادا لاستقبال ضيوف القاهرة الأعزاء من الأخوة وأبنائهم في ذلك الوقت من كل عام، لقضاء بعض اجازتهم الدراسية في ذلك المكان الذي تحتضن فيه الطبيعة التاريخ. فكان يجد معهم السلوى والمتعة التي حرم فيها من دفئ الأسرة وحنان الزوجة ومرح الأبناء. فهل كانت معشوقاته تأبى ذلك الزواج والارتباط من غيرها؟ نعم، فكم كانت تستحوذ على كل وقته وجهده وكيانه فقد أخذه عشقه الأول والأخير لعلم الأثار والتاريخ القديم، فنسى كم مضى من العمر أو كم هو آت. حتى جرى به قطار الحياة سريعا بلا توقف، فلم يجد أثرا لمحطه ينظر من خلالها إلى أين وصل به العمر، وإذا به على نهاية الرحلة وحيداً، بلا زوجه، بلا أبناء، فأصبح راهب المعبد كما يطلق عليه تلاميذه وزملائه - " راهب المعبد"

انتهت الرحلة براهب المعبد وسط حديقة الشاسعة المملوءة بكثير من أنواع الأزهار الخلابية، وبجوار حوض صغير للسباحة جلس الدكتور عوني يرتشف فنان من القهوة مع قراءه الصحف اليومية على نغمات زقزقه العصافير، والبلابل، والطيور الصباحية المنطلقة من اعشاشها في تلك الأشجار الكثيرة والمنتشرة بالحديقة الغناء، فكان يطرب لسماع هذه السيمفونية الرائعة في ذلك الوقت المبكر من صباح كل يوم.

فاذا انتهى من طقوسه الصباحية المعتادة، اخذ في كتابة بعض المقالات النصف شهرية لأحدى المجالات والصحف، كما يقوم أيضا بقراءة بعض الكتب والمراجع العلمية أو تدوين كتاب سيقوم بنشره.

لم تتوق نفسه يوما لأجمل من هذا المكان، ولا أبدع من نسيمات الصباح. عشقها دوماً، وماطربت أذنيه يوماً لأجمل من تغريد البلابل صباحاً مع رائحة الأزهار والثمار، وفنجان قهوة عربي محوج.

النافذة الحديدية

كما هو دائماً منذ سنوات لم يتغير جمال الصباح في حديقة فيلا آمون كما هو شذا عبير الأزهار، وكما هو تغريد البلابل، وكذلك مكانه الذي اعتاد الجلوس عليه لإنهاء عمله مع قهوته الصباحية.

ولكن كم هو مختلف هذا الصباح الحزين. حيث جلس ذلك اليوم فوق مقعد متحرك. ليس مقعده الذى ينبض معه بالحياة، فقد القدرة على الحركة وأصبح حبيس هذا المقعد نظير الأحداث التي مر بها أخيراً وبقي مكانه بجوار حمام السباحة، حيث أزهار الفل والياسمين التي تحيط سياح الحديقة فتنترها، عطرها الفواح في كل مكان، ولأول مرة منذ سنوات قد خلت المنضدة من الصحف و كتبه وأقلامه وأوراقه التي اعتاد وضعها لممارسة عمله كل صباح، وقد تغير أيضاً فنجان القهوة الأنيق ليتم استبداله بكوب كبير من القهوة اخذ يرتشفه في توتر وقلق. تعلو نظراته رعباً وخوفاً دفيناً كلما أشاح بوجهه

لينظر إلى أعلى .. إلى احدى طوابق الفيلا، إلى هناك حيث
النافذة الحديدية المطلة على الحديقة.

راح ينظر في حسرة إلى هذه اليد التي تمتد خارج الشرفة في
بطيء شديد، لتتحسس طائر من الصقور، كان جالساً على سور
النافذة، ولم يخش الطائر من اليد الممتدة إليه بل ظل كما هو
واقفا لا يتحرك ناظرا لداخل الغرفة. وكأن هناك حديث خفي دائر
بينهم لا يعلمه إلا هما.

ترى من يكون صاحب اليد الجالس خلف النافذة الحديدية؟ وأذى
ينظر إليه الدكتور عوني في أسى ورعب في آن واحد ... تملأ
عينيه نظرات الحزن الدفين فذهب في عالم من الصمت والحزن.

هل انتهى كل شيء ???

سؤال ألقاه الشاب الجالس خلف النافذة، وهو يتحسس الصقر
الجالس على مقربة من نافذته، ولم يتحرك ولو مرة منذ وقوفه
بجوار تلك النافذة التي خلفها ذلك الفتى، فقط ينظر إليه في
صمت وكأنه حارس خاص يدقق ويستمع لكل شيء

أعاد الصقر النظر الطويل إلى الفتى، الذي كرر السؤال ناظراً
في عين ذلك الصقر متحسسا جناحيه وراسه، فاستسلم ليد الفتى
دون حركة او خوف ومازال واقفاً على سور النافذة، تحدث إلى
الصقر في حزن وفي صدمة

مثل النائم الذي لم يستيقظ بعد من نوم عميق. فأخذ يكرر
السؤال هل حقا انتهى كل شيء؟! عائداً بذاكرته إلى الوراء إلى
أقل من شهر او أكثر قليلا ... فمن يكون ذلك الشاب محدث
الطائر؟ هل هو مجنون؟ أم شيء أكبر من ذلك؟

الفصل الثاني

الذكريات قد تكون شكل من أشكال ألحنين واللقاء مع الماضي.

فهل ما تبقى له إلا الذكريات؟

نظر أجالس خلف أنافذة الحديدية في عين الصقر قائلاً : نعم ما زالت أتذكر - "اسمى جاجان" ..لم اعرف يوماً أو أحد أفراد أسرتي أكان هذا الاسم عربي أو غير ذلك؟ هذا الاسم الغريب الذى أطلقه على عمى عوني يوم ولادتي ، والتي راحت أمي تناشده في اختيار اسم غيره ، ولكن مع إصرار عمى على ذلك ، رضخت أمي لهذا الاسم الغريب على أسمعنا، فقد كانت تحمل له كثيراً من المودة فلم تستطع أن تحرمه من تسمية أول مولود لأخوه الأصغر، وهو الذى لم يتزوج وقد حرم من يوم هكذا ، أيضاً كنت أول مولود في أسرتنا الصغيرة المكونة من :أبى كابتن طيار "جلال" وأمى "هند" الصحفية بأحدى المجالات الإسبوعية و عمتي فريدة المعلمة بإحدى المدارس الإعدادية، وزوجها الأستاذ أحمد المحاسب بأحد البنوك الاستثمارية، وما إن أنجبت ابنتها الكبرى رضوى بعد ولادتي بشهرين او ثلاثة قررت أن تتفرغ لرعاية أسرتها، فتقدمت باستقالتها من عملها، وبعد عدة سنوات رزقها الله ببيوسف طفلاً جديداً بالأسرة بعد عشره سنوات من ميلاد رضوى - ابنتها الكبرى- أما أنا فقد رزق الله أمي بسارة وهى الآن طالبة بكلية الفنون الجميلة .

وبقي عمى عوني الأخ الأكبر للأسرة لم يتزوج. فكنا جميعاً أبناءه وأسرته التي تحبه ويحبها، وان تميزت أنا بكثير من الإهتمام والحب فكنت بمثابة الابن الذي لم ينجبه. وكان لي

العم والمعلم الذي ليس فقط، بل أيضا الأب الذي عوضني عن غياب أبي الدائم بحكم عمله ككابتن طيار -كثير السفريات والترحال -

وكما أغدق على من حنان وحب وأبوه شملني أيضا بعلمه الواسع، وثقافته العالية، فأخذت الكثير من طباعه وأخلاقه الهادئة وعلمه، فكثيرا ما كانت امي تطلق على "ابن عوني: تفاخراً وحباً لذلك العالم الجليل.

وأصبحت الإجازة الصيفية هي ملازي، وهي رحلتي المفضلة، حيث أقضيها أو جزء منها هنا، حيث جمال الطبيعة ورهبة التاريخ والمكتبة النادرة بالطابق الأرضي من الفيلا.

وكل إجازتي لابد من طرح السؤال السنوي عن معنى أسمى، وإذا بالإجابة المعتادة من عمي،

عند تخرجك الجامعي سوف أقص لك حكاية الاسم. فكنتم تنتظر وكأنني انتظر نتيجة امتحان مادمه من كتبي الدراسية.

وما أسرع الأيام والسنين - حين يرتقب الجميع نتيجة امتحان المرحلة الثانوية تحت ظلال الأشجار بتلك الحديقة الغناء. في إحدى الأجازات هنا حيث يجلس عمي وأنا ورضوى كان الصمت يسود المكان وكانت بركين العواصف تطيح بقلوبنا أنا وأبنته خالتي، لتخرج عمتي من باب الفيلا، وتسرع خلفها الخادمة مطلقة زغرودة مدوية علت في أرجاء المكان، فيسرع زوجها عوض الجنائني مبتهجا لهذا الخبر السعيد الذي أعاد لي وإلى رضوى الحياة مره أخرى فقد كنا في نفس السنة الدراسية، كما كان حلمنا أيضا الالتحاق بكلية الطب معاً. أتذكر هذا اليوم جيداً. حيث لم يكتف عمي بزغرودة أم محمود فقط، بل أقام

لنا حفل كأنه حفل عرسٍ لا حفل تخرج مرحلة ثانوية، فقد كان لا يدخر أي مجهود أو أي شيء لإدخال البهجة والسرور على أفراد أسرته.

وانتهى الحفل المبهج الذي أقامه لنا على احدى ضفاف النيل بداخل باخرة من البواخر السياحية الفاخرة، والتي تزينت بالأنوار، فكانت مثل عروس ساحرة تتمايل على صفحه النيل الخالد في عظمه وكبرياء ككبرياء ذلك المكان الذي نحن فيه. ظللنا أيام وليالي نتحدث عن تلك الليلة الساحرة، وتمضى السنوات سريعاً وننسى التفاصيل إلا جملة نطقها عمى في طريقنا للعودة بعد سهرتنا الجميلة، كم أدهشتنا جميعاً تلك الجملة والتي قالها بعفوية! ... ولكن أصابه بعض التوتر حين نطقها فنظر إلينا متوتراً ولم يعقب ولم نعقب نحن أيضاً على ما قال، وان ساد الصمت بعد ذلك إلى أن وصلت السيارة داخل الفيلا، لينطلق كلاً إلى حجرته فقد تجاوز الوقت الساعة الواحدة مساءً.

أشرقت شمس صباح اليوم التالي، واجتمعت الأسرة على مائدة الإفطار وبعد قليل تحدثت عمتي عن أمسيه الليلة السابقة، فشكرت أخيها وإن كان ذلك غير جديد عليه. وأخذت أنا أتحدث بهمس إلى رضوى التي راحت تبسّم وتجتهد لتخفي ذلك عن عيون أمها، ولكنها لم تشعر بأن هناك من يرقبنا بعينيه الزرقاوين اللامعتين أحياناً يبتسم، وسرعان ما تعلق وجهه علامات الخوف التي لم نعرف سببها، وبعد قليل من انتهاء الإفطار ذهبت عمتي لتختلي بأخيها في مكانه المفضل بجوار حمام السباحة؛ لمعرفة أحواله وأخباره، ولتأنس به ويأنس بها

بعد غياب شهور طويلة إلا من مكالمات عبر الهاتف لا تغنى
عن النظر في وجوه من نحب .

أما هي فقد انطلقت حيث شجرة الجميز العتيقة بأوراقها
وأغصانها المتعانقة في اقصى الحديقة، والتي كانت تستعد في
ذلك الوقت من العام للقاء الحبيبان فنظرت رضوى إلى شجرتها
الحبيبة وراحت تتحسس عبارته نقشت على ساقها الكبير الضخم
"هنا تفتح حبنا". فكان أجمل من زهور الدنيا. كان ينطقها خلفها
قبل أن تقرأها، فالتفتت إلى الخلف في خجل وهي تعلم صاحب
الصوت "جاغان". تحسس -جاغان- شعرها اللامع والمسدل
على كتفيها، والذي يضاهى سواد الليل، فابتعدت قليلا كما
أبعدت يده عن شعرها الحريري، لتخفى ابتسامة خافتة مرتبكة
وتسأله في استحياء، لم تجلس مع عمى بعد وجئت ألي هنا؟
فقال لها مبتسماً وهل فعلتي ذلك؟ جئت كما جئت ولنفس السبب
أيضاً. فأجابته مبتعدة قليلاً عن شجرتها الحبيبة، تركت امي مع
أخيها بعض الوقت. فقد تريد أن تحكى شيئاً خاص بينهما أو
حديث من هذا القبيل، ثم انضم إليهما بعد ذلك. فقال لها
ضاحكاً. وقد رأى من خجلها ما رأى ... نعم، وأنا كذلك. اقترب
جاغان منها، ونظر بحب في عينيها، قائلاً: كيف لي أن
انتظر؟! وقد انتظرت كثيرا فمنذ انطلقت رحلتنا من القاهرة إلى
هنا وأنا انتظر هذا اللقاء ... ألم تعلمي إنه عيد ميلاد حبنا
الأول. تتذكرين؟ فاحمرت وجنتاها خجلا، وتوارت قليلا إلى
الخلف، وراحت تنتقل بين الأزهار في الحديقة الغناء وكأنها زهرة
من زهورها الجميلة بل كانت أجمل من أزهارها جميعاً...

الفصل الثالث

ذهبت السيدة فريدة بعد الانتهاء طعام الغداء، مع أبنائها رضوى ويوسف الطالب بالصف الثاني من المرحلة الإعدادية، فكان متحمسا للخروج مع الأسرة لفسحة ليلية على ضفاف نهر النيل، وزيارة الأماكن السياحية، فكانت الأضواء الكاشفة ليلاً تضيء عليها غموضاً رهيباً، فتبدو أكثر روعه مما هي عليه. ولم يكتف يوسف برحلته الصباحية، حيث ذهب برفقة ابنة خاله سارة الطالبة بكلية الفنون الجميلة، والتي حملت معها من القاهرة كثيراً من أوراق الرسم والألوان كعادتها كل عام فهي تمتلك تلك الموهبة الرائعة منذ حداثة سنها، فكثيراً ما رسمت كل مكان ذهبت إليه، فكان ذلك بمثابة كتالوج توثيق خاص برحلاتها وأسفارها بطريقتها الخاصة، فكانت مثال إعجاب كل من شاهد تلك اللوحات الرائعة. مما شجعها لاحقاً أن تكون ضمن صفوف كلية الفنون الجميلة. وها هي أول أجازة صيفية لها بعد نهاية عامها الدراسي الأول. فكانت زيارتها لعمها الدكتور عوني في تلك المدينة الساحرة التي جمعت بين جدرانها كل آيات الجمال. فهنا التاريخ يتحدث بين ضفاف النيل وبهجة الطبيعة الخلابة. الوجهة التي تمزج بين الثقافة الحديثة والتاريخ والمغامرة، مع التسوق والترفيه على مستوى متميز فكانت كثيراً ما تتساءل ترى لو رسم ليوناردو دافينشي هذا السحر ترى هل كانت ستظل الموناليزا أجمل أعماله ؟ !!

أخذت سارة عدد من السندوتشات وزجاجة من المياه؛ لتتطلق ويوسف ابن عمته بأوراقها وألوانها خارج المنزل اليوم كاملاً كعادتها كل أجازة. ففي حرم هذا الجمال لن تستطيع أن تنتظر في مكان غيره؛ ولن تستطع الانتظار كثيراً لتشاهد الإبهار الذي يأتي إليه السائحين من كل عواصم الدنيا. فذهبت لترسم وتضيف صفحة جديدة لألبوم ذكرياتها الخاص. فكانت نهمه لكل شيء. راحت ترسم معبد الكرنك، ذلك المعبد الفرعوني

الذي بناه ملوك الدولة الوسطي على الشط الشرقي. بنى المعبد الإله أمون (أمون رع في العصر الحديث) وزوجته الإلهة "موت" وابنهم الإله "خونسو"؛ ولكل منهم معبد، ولذلك هو مجمع معابد وليس معبدا فقط معابد الكرنك . أما تسميه الكرنك فتعني القرية المحصنة وعرف منذ الفتح العربي الإسلامي باسم الكرنك بمعنى الحصن.

"إذا ذهبت إلى محراب التاريخ والجمال فيجب أن تتعبد."

وها هي قد خرجت لوحتها من محراب الجمال مثل قطعه من الأساطير الفرعونية الساحرة. وهذه المرة لن تكتفى بإضافتها لباقي اللوحات في ألبومها الخاص ولكنها ستفتخر بها عند لقاء أصحابها فور عودتها إلى القاهرة. كان يوسف مساعدتها الصغير، وقد فرح بهذه المهمة فأخذ يناولها بعض الألوان أو زجاجة المياه في مقابل أن يقضى معها اليوم، ويكون رفيقها الأيام التالية في كثير من الأماكن التي تقوم برسمها، ويستمتع بزيرتها كثيرا. فكان يمتد الوقت بهما في الخارج حتى المساء في كثير من الأوقات

دخل الدكتور عوني لغرفة المكتب لأجراء مكالمة هاتفية ومراجعة بعض المقالات، وجلس جاجان بالشرفة الكبيرة المطلة على الحديقة، وقد مالت الشمس نحو الغروب لترمى بخيوطها الحمراء أعلى قمم الأشجار. كما يعلن تغريد العصافير عودتها إلى أعشاشها تغريداً يخطف الأبواب. فتتمايل معه أغصان الأشجار مرحبة بعودة سكانها. فنادى أم محمود طالبا كوبا من العصير الطازج ليشاهد هذه اللوحة الإلهية الخلابه وقت الغروب.

وقد أسدى الليل ستائره سريعا، فاخذ المكان شكلاً موحشاً بعيداً عن تجمع الأهل وصحبة الأحباب، ثم جال بخاطره أن يبحث في الإنترنت عن معنى اسمه والذي يخفيه عمه عنه، ولماذا اختار له هذا الاسم

الغريب الذي كثيرا ما كان مثار جدلا بين زملائه او مثار سخريه في بعض الأحيان حتى أعتاد على ذلك. وأيضا كي يقتل بعض الوقت في وحدته هذه. بدأ جاجان بحثه في العديد من المواقع الإلكترونية ليكتشف إن لأسمه أكثر من معنى. فهناك رأي يقول بانه البعيد عن الأرض القريب من السماء. وآخر يقول بانه من الأصل. فتملكته الحيرة بعض الوقت. وقد ازداد الأمر غموضا ... من هو الذي من الأصل!!! وإذا كان ذلك يعنى بعيداً عن الأرض ... فماذا يخشاه عمى في الأرض حتى يريدني قريباً من السماء؟! فاستسلم أخيراً ثم أدرك بأن السر مازال لدى عمه الذي وعده بالإفصاح عنه إذا ما بلغ العشرين من العمر،

العشرون أهو رقم أم هو سر !!!

هنا يجلس العظماء هنا ملوك التاريخ فاذا كنت في حضرتهم فتذكر مع من تكون وقبل دخول هذا المكان المقدس يجب إن تعطر يديك قبل مس تاريخهم.

هكذا تذكرت كلمات عمى كلما دخلنا إلى مكتبته العملاقة الباهرة، والتي تضم كتباً ومجلدات قديمة أو حديثة،

وكثيرا من مراجعه العلمية التي خصص لها حائطاً ضخماً خاص بها- خاص بكتب التاريخ -أما باقي المكتبة فكانت تشمل بين جدرانها كثيراً من العلوم والثقافات المختلفة والمتنوعة بلغات عدة. حقاً، لهذا المكان أن يكون من المقدسات حيث النظافة والنظام والرقى. كان بمثابة بحر عظيم من المعرفة.

على المنضدة ستجد فهرس أنيق يشمل جميع أسماء الكتب والمراجع وسنة طباعتها ومؤلفها وأين توجد على الارفف ورقم الرف الذي يوضع عليه الكتاب... كان ذلك الفهرس من أهم الأشياء هنا. فقد يسر علينا

عناء البحث مع هذا الكم الهائل من العلوم. فكانت مكتبة عمى تضاهي أجمل مكتبات العالم ...

اقرأ كما تحب ... ابحث فيما تريد ... ولكن ابتعد نعم كلمات كثيرا أعيدت على أسماعنا إذا ما دخل أحد أفراد الأسرة لقراءة كتاب ... نعم ... ابتعد عن تلك الحجرة ذات الباب الصغير الحجم، والذي يحمل بابها قفلا يبدو شديد الضخامة لمثل حجم هذا الباب. قفلا يبدو على بعض جنباته لوناً اسوداً أو صدأ وكأنه لم يفتح منذ سنوات.

سراً آخر من أسرار الدكتور عوني التي لا يعرفها أحد ... ذلك الرجل كثير الأسرار. كثيرا ما همس بعض أفراد العائلة عما يمكن أن تحتويه تلك الغرفة ... هل هو كنز دفين؟ أوقد تكون مومياء فرعونية يخفيها الدكتور كما نرى بالأفلام؟!!! . وتذكر ذات مره سأل يوسف عن سر الغرفة. كان في عمر أصغر من عمره هذا بسنوات طفلاً صغيراً لم يتعد عشرة سنوات وان كانت حادثة عمره ما شفعت له في ذلك الوقت حين سأل ببراءة الأطفال ممكن تفتح الغرفة أشوف فيها أيه يا خالو؟؟

وهنا انتفض الدكتور عوني كمن سكب عليه زيت مغلي، ووقف متجهماً محذراً من عدم الاقتراب من تلك الغرفة، او مجرد إعادة الحديث عنها حتى في حالة موته

وبدأ الأمر غريباً علينا فلم يرى أحداً منا عمى بتلك الصورة من قبل ولكن تحول الأمر إلى دهشه ورهبه مما قاله-حتى في حالة موته. ليتساءل كلا بداخله عن سر تلك الحجرة!!?

حتى أصبح يطلق عليها الجميع الغرفة المحرمة، أو حجره الكنز، أو الحجرة المسحورة، كثيرا من الأسماء أطلققتها العائلة، حتى مضت السنوات، وأصبح الجميع لا يهتم بأمر هذه الحجرة كما كان من قبل،

فلكل منا أسرار، ولكن كيف لمثل هذا الرجل أن يمتلك أسرار كل هذه السنوات؟! ولكن يوماً ما ستكتشف الأسرار وتفتح الأبواب.

اقترب جاجان من المنضدة كي يتناول فهرس الكتب بحثاً عن كتاب يقطع به وحشة المكان وسكونه في ذلك الوقت. وفجأة ... تسارعت نبضات قلبه واتسعت عيناه وفتح فاه عن آخره، لكنه لم يستطيع أن ينطق بكلمه واحده من هول الصدمة التي شاهدها. هل يمد يده لذلك المفتاح الغريب الذي يتوسط المنضدة وهو يعرفه جيداً؟ ذلك المفتاح الذي لا يفارق جيب عمى الداخلي أبداً حتى عند نومه كان يضعه تحت راسه. وأخذت الأفكار والأسئلة تدور بعقل جاجان الذي توقف عن التفكير. هل يمكن أن ينسى الدكتور المفتاح هنا؟ أم سقط منه فوضعه أحد الخدم هنا؟

جهلاً منه معرفته من يكون صاحب هذا المفتاح؟ أو لأي الأماكن هو، راح جاجان في صراع نفسي يقترب من المفتاح رغم تحذير عمه لذلك؟ أم الفضول قتل القط كما يقول المثل الإنجليزي.... ؟

نعم، جميعاً نحمل مارد الفضول. فهناك من يستطيع ترويضه وإن كانت هناك لحظات لا تستطيع أن تسيطر عليه، فينطلق من أعماق القعب كماارد رهيب ضارباً كل قواعد الحذر لا غياً بصيره العقل؛ ليبقى متشوقاً متلهفاً جائعاً للمعرفة فقط ليشبع جوعه للفضول. فكان مارد الفضول أكثر عيباً يمتلكه. فلم يهتم بكل تساؤلاته وتوقفت بصيرة العقل ولم يعد يصغى، وفي كل الأحوال انطلق المارد.... مارد الفضول.... ولم يعد غير سؤال فقط ماذا خلف الباب المغلق؟

خطف جاجان المفتاح مسرعاً ضارباً بعرض الحائط تعليمات عمه نسياً رهبته وخوفه التي مازالت تعلى قسّمات وجهه وأخذت يده المرتعشة

تضع المفتاح في القفل الموضوع على باب الحجرة المغلقة هناك في ذلك الحيز الصغير من المكتبة. محدثاً نفسه فليكن ما يكون ...

ترى هل كان فضولاً او حان الموعد مع القدر؟؟؟

انطلق الهاتف عالياً في ذلك الوقت من الليل الذي قاربت فيه الساعة الثامنة مساءً.

كانت فريدة مازالت بالخارج، ففي تلك المدينة الساحرة لن تعرف النوم ليلاً، فكثيراً ما يفضل زائريها من الأجانب أو من المصريين التمتع بها صباحاً. حيث شمسها المشرقة ومعابدها الثمينة، والتي ظلت ولا تزال من عجائب الدنيا السبع القديمة أو التجول ليلاً على ضفاف نيلها الخالد.

الوقت لم يكن عامل يخشاه أحداً فمهما تأخر بك الوقت هنا ستشعر بالطمأنينة والأمان ودفئ الوجوه السمراء الباسمة المحبة.

تناول الدكتور سماعة الهاتف ليلقى السلام بحرارة على محدثه على الطرف الآخر.

- السلام عليكم عامل أيه؟ أخبارك أيه؟ هل كل الأمور بخير؟
يجيب الدكتور عوني على الدكتور ميلاد صديق عمره ورحلة كفاحه العلمية كعالم آثار مثله

عمل معاً أكثر من ثلاثون عاماً، وأيضا أمين أسراره.

هل هناك شيء جديد...؟ هانت يا عوني كلها شهور قليلة! أعرف أنه حمل ثقيل.

نعم، ياميلاد وأتمنى أن تطوى الشهور الباقية لم تعلم كم تمضي على تلك السنوات

أرجوك يا ميلاد لو حدث لي أي شيء. أنت من ستكون بدلا مني
فلا أحد يعلم بالأمر

انه سر ليس كأبي من الأسرار وأنت تعلم ذلك ياميلاد. تقريبا لا
أنام منذ علمنا معا ذلك السر
الخطير معا.

سهلت يا عوني أعانك الله

- ولكن هل تعلم يا ميلاد؟ كنت سأتصل بك صباحاً ... أشعر
هذه الليلة بشيء غريب.

وكأنها إحدى العلامات والإشارات. أكاد أجن أن كان ذلك
صحيحاً ... وأنت تعلم إذا ما سمعت أو أحسست بأي من العلامات
ستشعر بها مثلي ولو كنت في أي مكان بالعالم.

- نعم يا عوني يشعر بها فقط من يعرف السر. وأنا شريك فيه.
ولذلك اتصل بك الآن.

- وأنت نعم الأخ، ونعم الصديق المعين ياميلاد.

- وأنت كذلك صديق العمر. ما بيننا لم يكن رحله عمل فقط
يا عوني، فكم تعرضنا في عملنا لكثير من المخاطر؟

- نعم ياميلاد، ولكن هذا السر كان أكثرها رهبة ورعباً. فأنا أشعر
أن هناك عواصف وأصوات رعد كأنها قادمة من
داخل الصخور، أو كأنها أتت من تحطيم الجبال فهل شعرت معي
بمثل ذلك؟

- تعرف يا عوني أنك حامل السر الأول، كما أنك تعيش بالقرب
منه مما يجعل إحساسك به أقوى.

أما أنا فلا أشعر إلا بالعلامات الفعلية عند حدوثها. فمتى
أحسست بذلك؟

- منذ قليل تقريبا نصف ساعة أو أقل لا أعلم ينتابني شيأ غريباً ... شيأ رهيباً. أيقون تم النداء الأول؟ وملاء الخوف وجهه حين آلت إلى هواجسه هذا الشيء.
- لا تقلقني معك. قد تكون هواجس من فرط تحملك لذلك العبء الذي تحياه وحيداً منذ سنوات بعيدة
- سنرى غدا كل شيء، وإن كنت أتمنى أن تكون مخاوفي فقط.
- انتبه لنفسك يا صديق. سأتصل بك غدا مره أخرى لأطمئن عليك.
- تصبح على خير
- تصبح على خير.
- هل حقا قد سمع الدكتور عوني شيء؟ أم هي فعلا مخاوف بسبب ما يحمله من سر دفين؟

أم يكون صحيحا تم النداء؟؟ وحان الموعد مع القدر

تسلل جاجان خلف باب الحجرة الممنوعة ببطء. تملكه الخوف أن يراه أحد فاخذ قلبه يخفق بشدة كما تملكه الرهبة مما قد يراه في هذه الحجرة. التي ظلت سنوات لا يعلم ما قد يكون خلف جدرانها، فلا أحد يعلم ذلك غير عمه. وارتفع صوت تكات المفتاح القديم، وفتح باب الغرفة برهبة وخوف، ف خلف الباب كانت هناك مفاجأة. شيء ما كان في استقباله بداخل الحجرة، شيئاً قد سحبه بشدة إلى الداخل ثم اغلق الباب سريعا كما كان. ليجد نفسه وسط الظلام الدامس، ورائحه الرطوبة العفنة تملأ المكان. مضت لحظات كأنها أدهر كاد أن يفقد وعيه من هول الصدمة. فكانت كل خلية في جسده تحاول الركض إلى الخارج، ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً. ثم سمع وسط الظلام ذلك الصوت المنذر الخفيض الذي ملأ أذنيه. صوت قوئ وغريب وكأنه عملاق أتى على صهوة جودا من خلال الرياح والأعاصير تتبعه جيوش من الرمال

والصخور ... صوت غريب أتى من أعماق كهوف الجبال صوت
من الماضي السحيق! أخذ يردد:

هنا الطريق إلى مدينة الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

فخيل إلية أن سكان البيت سيحضرون إلى هنا من هول ما سمعوا،
وكأن صاحب الصوت يقرأ أفكاره. فاذا به يقول وكان أكثر حده عن ذي
قبل! فقط أنت من يسمعي. ولن يستطع أحد غيرك سماعي ... إلا هم
... اتسعت عيناه هولاً وفزعاً فاخذ يتلفت باحثاً عن صاحب الصوت،
ولم يكن يستطع أن يرى شيئاً حتى أطراف أصابعه في ذلك الظلام
الدامس. فراح يتلمس الحائط عله يجد مفتاح الإنارة. وحين لمست يده
الحائط سحبها سريعاً في رعب وفزع. فقد كانت هناك أشياء خشنة
الملمس أشبه بنتوءات وبروز لا يعرف ما هي؟! فتسارعت أنفاسه فكان
يلتقطها في صعوبة بالغة في ذلك المكان الموحش ذو الجو الخانق،
فأخذ على عجل يتحسس كشاف هاتفه بيده المرتعشة من الخوف في
هذا المكان. إلا أن المفاجأة هذه المرة كانت أقوى واشد

أنهي الدكتور عوني مكالمته الهاتفية مع صديقه. فقد كان بأمس الحاجة
إلى سماع صوته، فلم يستطع الانتظار حتى الصباح للإجراء هذه
المكالمة حتى لا يزعجه في هذا الوقت، وكان بحاجة إلى من يحمل
معه ذلك العبء الثقيل على كاهله منذ سنوات، والذي راح يتتبع ابن
أخيه سواء كان قريباً او بعيداً عنه. فكان يحاول أن يبقيه تحت عينيه
أطول فترة ممكنة. حتى يبلغ عمره العشرين عاماً. فراح يعد الأيام
والسنين. ولا يعلم سرها سواء وصديقه ميلاد.

انتبه من شروده على دقائق الساعة الحادية عشر. فاخذ يلملم أوراقه ومقالاته الذي سيرسلها للمجلة صباحا عن طريق البريد الإلكتروني. فلن يعقل أن يذهب إلى القاهرة تاركاً ضيوفه وحدهم هنا، وخصوصاً جاجان!

ثم خرج من المكتب فاذا ببهو الفيلا قد غرق تحت إضاءة خافته. فحدث نفسه قائلاً: يبدو أن الجميع قد ذهبوا إلى النوم. ولم ينتبه أثناء مكالمة ألتفونية وتوتره أثناء الحوار مع صديقة إلى قدوم أخته وأبنائها من الخارج. ولم يعلم ماذا حدث منذ السادسة تقريباً إلى الآن ... فتراجع عائداً إلى حجرته فلم يكن أحد غيره مستيقظاً ألي الآن، ولكن قبل أن تمتد يديه إلى مقبض بابها نظر بعيداً ليرى حجره جاجان مغلقة، فنظر بعينية أسفل ألباب كي يرى أثر إضاءة أو ما يدل على أن من بالغرفة مازال مستيقظاً مثله. فلم يرى غير الظلام. فقال محدثاً نفسه ومبتسماً. هذا الجيل لا فراغ لديه يبدو أنه قد أمضى الوقت على الإنترنت، أو الفيس مع أصدقائه ثم ذهب للنوم مثل باقي الأسرة. ثم عاد إلى غرفته مرة أخرى. وقد اطمئن أن الجميع بغرفهم وقد ذهبوا في نوم عميق. فبدل ملابسه بملابس النوم ومضى يخفف من إضاءة حجرته؛ ليلقى بجسده المنهك على فراشة ولكن ... قبل أن تغفو عينيه إذا بصوت أشبه بصوت الرعد وان كان ضعيفاً فدلّف من مرقدّه لينظر من نافذه الحجرة فاذا بالسّماء صافيه ... ولا وجود هناك للأمطار التي يصحبها الرعد!

فعاد إلى نومه متعجباً من ذلك أالصوت ... الذي للمرة الثانية يتطرق إلى أذنيه هذه الليلة

وكلما عاد إلى النوم عاد ذلك الصوت ... حتى دقت الساعة معلنه الثانية عشر مساءً.

أول ساعات اليوم الجديد ومازال قلقاً متيقظاً أثر تلك الأصوات. فأخذ كتاباً بجوار فراشة كعادته دائماً من وضع مصحفاً وكتاب ليتصفح بعضهما قبل نومه. فأخذ يقرأ قليلاً عله يهدأ من توتره.

أثر ما أصابه هذا اليوم. ولكن هيهات فقد عاد الصوت مره أخرى أشد قوة عن سابقه، وأخذت معه إناور الغرفة تطفئ وتتنير مرات ومرات متلاحقة ... حتى خيل إليه وجود صورته لشخص ما ...!

أثناء انطفاء الضوء بالغرفة. شخص يتمنى لا يراه أبداً. وقد عمل جاهداً حتى لا يراه. واتسعت عيناه من هول المفاجأة.

وهاله ماراي. فقد كان يعرفه ... نعم يعرفه جيداً جداً ... لقد درس صاحب هذا الوجه. بل حفظه منذ سنوات كان يطالعه يوميا حتى لا ينساه لا ينساه إبدأ، يا الهي، أتك ... و... ن .. العلامات
!؟

نعم إنها هي وكاد أن يغشى عليه عندما وصل لتلك الفكرة الرهيبة
....

العلامات! إلهي! إنها هي! هذا أول العلامات. إنه النداء الأول.

ولكن كيف تم ذلك؟! كيف تم ذلك؟! وكاد أن يغشى عليه من قوة الصدمة والذي جاهد سنوات عديده أن يمنعه ويمنع حدوثها. ولكن كيف حدث ذلك؟! كانت الأسئلة تتلاحق في رأسه والرعب يتجسد في عينيه.

إلى أن هدأ صوت الرعد من جديد وعادت إضاءة الغرفة ثابتة كما كانت بدون انقطاع، وعاد التيار الكهربائي منتظماً في الغرفة، وأخذ يهتمهم بكلمات غير مفهومه وقد ارتعشت فرائضه فأنفلت من يده كوب الماء الذي حاول أن يمسكه ليشرّب قليلاً منة فتركة ولم يعير الأمر

اهتماماً واخذ يجوب حجرته ذهاباً وإياباً في توتراً شديداً. وتضرع ألي ربة قائلاً. إلهي لم يتبق إلا شهور قليلة شهور قليلة فقط وينتهي الأمر. وكنت سأستريح من ذلك العبء الثقيل ... لقد اتخذت كافة الاحتياطات، ... وأخذ مردداً مذهولاً لا يستطيع أن يصدق. هل حقاً هو النداء الأول؟!

أحقاً تكون العلامات ... وهذا الخيال أذى رأيتهُ ماراً ها هنا منذ قليل ... ايكون هو؟

وكاد أن يفقد وعيه، مردداً في ذهول، لقد عاد،

نعم لقد عاد أسوء كوابيس عمرة.

انتشر ضوء كشاف الهاتف بتلك الحجرة المرعبة ليرى جاجان أثر فضولة، وما بها. فمنذ دخلها لم يرى ما بها وسط الظلمة الحالكة ولم يعلم كم مضى عليه من الوقت في ذلك المكان. حتى خيل اليه انه قد قضى عام في غرفه الرعب.

فجالت عينه تتفحص الغرفة في تلك الإضاءة الشاحبة. وهاله ما رأى، كانت الغرفة التي كثيراً ما جالت بخيال العائلة عما تحتويه وكيف هو شكلها؟ وكثيراً ما كان يعتقد الجميع أن بها كنز، أو شيء نادر باهر، أو حتى مومياء من مومياوات الفراعنة، ولكن لم تكن حتى بغرفة بل أشبه بممر صغير يعليه نسيج العنكبوت التي تهدل من جميع جوانبها وأتخذ من هذه الحجرة مكاناً آمناً له بعيداً عن أدوات التنظيف، والذي لم يفكر أحد في نظافة هذا المكان منذ نشأ، ولم يقترب منه أحد منذ سنوات، وما أعجب تلك الحجرة فكانت حائطها، وأرضها، وسقفها، وكل ما فيها تم بناءه بالطمى أو طلى بالطمى! أيضاً لا وجود لأي مدخل

يستطيع أن يعبره شعاع ضوء فكان الليل والنهار فيها سواء، كانت أشبه بالقبو والخنادق الذي كانت تلجأ اليه الشعوب أثناء الحروب.

لم يكن بها شيء ذو قيمة أو ملفت للنظر. فسأل نفسه. هل هذه أسطورة من أساطير الدكتور عوني؟ بالرغم أنها حجرة خالية غريبة الشكل ألا أن هناك ما يثير الفزع منها، ثم امتد نظره يتفحص الحجرة الغريبة التي هي أشبه بالقبور منها إلى حجره في فيلا بهذه الأناقة والجمال، ومازال مرتعشاً متوجساً. كان بداخلة شيء ما يحدثه بأن هناك شيء أفظع من ذلك المظهر الذي تبدو عليه... ثم فجاءه نظر ألي أسفل إلى حيث تحرك شيء بداخل حذائه الصيفي المفتوح فهاله ذلك وأفزعه وإذا به يتحرك في كل اتجاه بحثاً عن ذلك الشيء الذي لمس أصابع قدمه فقام بتوجيه إنارة الموبايل إلى قدميه ليرى ما بهما وإذا بها حشرة صغيرة من حشرات الخنفساء خارجة من تجويف الحائط وحشرة أخرى مثلها تماماً كانت تقترب هي الأخرى من أصابع قدميه أيضاً فابعدهما جاجان عنه وهدأ قليلاً وعاد يتفحص الحجرة مرة أخرى.

كان هناك بروزاً في أحد حائط الغرفة. فاقترب منه متوجساً ليرى بداخله شيئاً غريباً. شيئاً عجيباً ... فقال متعجباً لهذا يعلن عمى الحرب على كل من يقترب للغرفة؟ ... قالها لنفسه ساخراً من أسرار عمه. عندما رأى ذلك الصندوقين الصغيرين اللذين كانا متطابقان في الحجم وفي النقوش ولكن ما أغرب هذين الصندوقين الذي تحيطهم النقوش والكتابات الغريبة والأترية، فلم يعرف أكانت هذه كتابات فرعونية وهي لا تشبهها كثيراً أما كانت طلاس من حضارات مختلفة؟! فكثيراً كان يرى ذلك في أفلام السينما!!! واقترب من أحد الصندوقين وحاول جاهداً أن يخرج من مكانه وهنا عاد الصوت مرة أخرى مرعباً هذا المرة ومدويا معيدا على سماعه نفس الكلمات السابقة في قوه هائلة حتى اهتزت فرائضه رعباً أكثر من المرة السابقة وأيقن الآن أن هذا

الصوت حقيقي ولم يكن من وحي خيالة الخائف كما كان يعتقد قبل
الآن واخذ الصوت يردد في قوه

هنا الطريق إلى مدينه الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

وبالرغم من رعبه الشديد من الصوت وصاحبة لكنه اخذ يتأمل تلك
الطلاسم والرموز الغريبة، على الصندوق الخشبي من الخارج فتعجب
وقال في دهشة. هذه الخطوط لا يعلم أسرارها إلا خبير وبروفسيور
عظيم ومن يكون الدكتور غير الدكتور عوني وصديقه الدكتور
ميلاد - ثم ابتسم ساخراً من نفسه وقال. من البديهي والأكيد أن يعرف
وإلا ما أخفاها هنا طوال تلك السنوات. ثم قال - قد لا تكون ملكه
الخاص، وقد تخص أحد أصدقائه، ولكن من يكون صاحبها؟ - هل
يكون الدكتور ميلاد؟ فهو أيضا صديقه الأمين وكاتم أسرارهِ ولا يقل
نبوغاً عن عمي. فالأثنين قد أفنى شبابهما في البحث والتتقيب حتى نالا
شهرة عالمية واسعة فأطلقوا على عمي راهب المعبد. وأطلقوا على
الدكتور ميلاد التوأم وحقا كان توأماً لعمي عوني في كل شيء - ومازال
عطاء علمهما لا ينتهي ...

وقام جاجان برفع غطاء الصندوق الأول في حرص ليرى ما به ...

فهل حقا سيكون بداية الطريق إلى مدينه الحزن والألم الأبدي !!!

وتذكر كلمات الصوت . الذي ما زلت تسري وجدانه وليس أذنيه فقط.

الطريق إلى مدينه الحزن

الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

هبّت العواصف الرعدية طوال الليل حتى كادت تقتلع جذور الأشجار في تلك الحديقة التي اخذ ينظر إليها من نافذة حجرته في هذه الساعة المتأخرة من الليل. لم يكن يشعر بالدهشة أيضا أن تحدث تلك العواصف في ذلك الوقت الصيفي من العام -فهو يعلم جيدا أن الأمر غير طبيعياً - وان كان يتمنى أن تكون ظنونه غير صحيحه. ثم خرج من حجرته يتفقد الفيلا وهل هناك أحد غيره قد أزعجته تلك العواصف، وصوت الرعد فقام من نومه أثر تلك الأحداث الجارية منذ بداية الليل. كان يتمنى أن يكون هناك غيره قد شعر بها. كان يتمنى ذلك وبشدة لغرض في قلبه لا يعلمه إلا هو وصديقه فقط. ولكن خابت كل آماله وضاعت كل ظنونه فلم يجد أثر لأحد غيره بذلك الممر الطويل الذي به حجرات النوم، وكان شعاع من الأمل ما زال بداخلة فخطى بضع خطوات نحو حجرة ابن أخيه جاجان والتي كانت أول الحجرات بعد حجرته حتى أمسك مقبض بابها وهم أن يقوم بفتحته عسى أن يكون متيقظا فيتخذه أنيسا له في تلك الليلة الموحشة ، ولكن تراجع فجاءة عن ذلك الأمر خشيه منه أن يكون الفتى نائما فيقوم بإزعاجه - ثم قرر العودة مره أخرى للذهاب لحجرته وكان قد جفاه النوم فقام بتصفح كتاباً بجواره وقد تمدد في فراشة عسى أن ذلك يخفف من توتره هذه الليلة - ولكن متى _ تنتهى تلك العواصف؟! فهل كان يقصد بتلك الجملة العواصف التي يسمعها ولا يراها أم كان يقصد بها عواصف نفسه؟! عواصف مخاوفه. !؟

نظر جاجان داخل الصندوق الخشبي الأول فاذا بلقافة غريبه الشكل لم يعلم أكانت من أوراق البردي التي كانت تستعمل للكتابة في العصور القديمة أم كانت من جلد حيوان ما. كانت تستعمل أيضا تلك الطريقة للكتابة. عموما هو ليس خبيرا بتلك الأشياء ... ولكن الذي أدهشه حقا

قطع الطمى الصغيرة المنتشرة حول اللفافة ... وسأل نفسه لماذا كل هذا الطمى؟ وما قصته؟

اخرج اللفافة بحذر شديد وقام ببطيء في محاوله فتحها. وقد سلط عليها ضوء كشاف الهاتف. الذي انطفأ فجأة. ليسبح المكان مره أخرى في ظلام عميق. ومن أعماق ذلك الظلام تمتد يداً قوية تحاول أن توقفه وتمنعه من فتح المخطوط فصرخ مرتعباً وابتعد قليلاً إلى الوراء - ليعود الصوت يشق الظلام ابتعد عن طريق الأحزان -ابتعد أيها الأمير !!

انتبه أيها البعيد عن الأرض القريب من السماء ... انتبه أيها الأمير _ هنا يعود الموت ويموت الزمن. وأخذ الصوت يرددها حتى أضاء مصباح الهاتف مره أخرى من تلقاء نفسه واختفى الصوت مرة أخرى.

وبيده المرتجفة اخذ يحرك الكشاف في اتجاهات الجحرة المختلفة لعله يرى صاحب الصوت أو يرى من يكون صاحب اليد التي دفعته بعيد عن المخطوط. أو قد يكون هناك من يتحدث خلف الجدران التي لا يرى فيها مدخلا لأي شيء، فمن أين جاء هذا الصوت ولمن يكون؟ أيكون جنى أو شبح يسكن المكان. " سلاماً قولاً من رب رحيم " أخذ يرددها في نفسه. ولكنه كما حدث أثناء سماعه للصوت المره السابقة حدث أيضاً هذه المره - لا يوجد أحد - بلع ريقه الذي جف من هول ما رأى وسمع في تلك الغرفة. وحاول إعادة الاقتراب من المخطوط ليحاول فتحته مره أخرى ... فقد كان يظن أنها خريطة لكنز أو ما شابه ذلك،

ولو كان يعلم الحقيقة ما انطلق خلف فضوله. فقد قالو قديماً في الأمثال الفضول قتل القط!

وهاهو مازال متمسك بمارد فضوله. فإلى أين سيقودك فضولك جاجان. أم ترى أن الأقدار هي فقط ما قادته لهذا المصير؟

أضاء الغرفة مره أخرى فإذا به يرى مخطوطة من المخطوطات القديمة التي كثيراً ما شاهد صوراً لها في موسوعات التاريخ أو كتب عمه العلمية أو حتى شاهدها من خلال قنوات الأفلام الوثائقية. ولم يكن يتوقع في يوم من الأيام أو حتى في قصص الأساطير الذي يرويها عمه عن عجائب الأشياء التي قد شاهدها في رحلة حياته العلمية أن يرى ما رأى، بتلك المخطوطة الغربية وليلة الرعب هذه. بل كانت أيضاً ليله المفاجآت بالحجرة الممنوعة ... قام بحرص شديد بفك حبل من الليف أو أشبه بذلك الحبال المصنوعة من ليحاء النخيل والأشجار قد ربطت بها المخطوطة بعناية فائقة، وعلى حوافها كانت هناك أختام مدموغ بها بعض قطع الطمي وهناك ختم مميز على أطراف المخطوطة نفسها حيث تم ختمها بختم كأختام الملوك القديمة. كما يوجد الكثير من حبات الطمي الجافه، وعند فتحها وجد كثيرا من الحروف والطلاسم ورسومات غريبة الشكل فهل هي لغة من اللغات القديمة؟ أم هي تعويذة من تعاويذ السحر -تعويذة تعود من عالم غريب -كتبت على جلد من جلود الحيوانات وألتي لم يعرف رسماً واحداً من رسمها التي خط بها تلك اللغة الغريبة فهل حقاً هي مخطوط من المخطوطات القديمة؟ ... أم تراها تعويذا سحريه؟ أم هي شيء أكبر وأخطر من ذلك الذي يفكر به ...؟

وفجاءة تلالأت حروف المخطوط فأنارت الحجرة المظلمة وكأنها كوكب يبحر في ليل شديد الظلام فكانت أشد نور من نور نجوم السماء وأخذت تتناثر وترتفع من جلد المخطوط إلى أعلى سقف الحجرة متخذة صورة هالة مستديرة تدور حول نفسها مثل صحن صغير تجمع في وسطها الحروف والرموز والأشكال كل ما قد رسم على تلك القطعة الصغيرة من الجلد لتشكل كلمات تحيطها رموز وطلاسم جديدة ثم متخذة صورة الأشكال المرسومة أيضاً على صندوقها الخارجي

ومره أخرى تنزل من أعلى على الجلد التي كتبت عليه ليتقرب المخطوط بعد ذلك من جاجان دون أن يلمسه وتدور أمامه وكأنها تحسه على قراءتها. وقد عجز عن فهم ذلك الأمر ... فأخذت الحروف تتطاير مرات عديده بنفس الطريقة وتعود كما كانت من قبل.

ومازال عاجزاً عن فهم ما يراه وأخيراً تطايرت الحروف والطلاسم في حركة سريعة ولكن هذه المرة

لم تكن لتعلو في سقف الغرفة كالمرة السابقة ولكن لتلتف بشده حول معصمه معصم جاجان وتختفي من المخطوطة ... تختفي إلى الأبد وقد تركت مكانها خالياً على قطعه الجلد التي كتبت عليه. لتستقر في مكانها الجديد حول معصم الفتى.

وفور حدوث ذلك أضاءات الحجرة بوميض من الضوء المتقطع فأخذت الإضاءة والظلام يملأ الغرفة بالتناوب ليظهر من خلاله صورة لشخص مخيف الوجه. وجهه فقط كان يملأ جدار الحجرة وكأنه أتى من الجحيم. ليعود معه صوت الرعد والبرق من جديد أشد قوه ورهبة، تتبعه أصوات تحطيم صخور وصفير عواصف رملية فهاله ما سمع ورأى حتى كاد شعره أن يقف من الفزع. ولم يتمكن من فتح الصندوق الآخر. فسقط مغشياً عليه لم يعلم ما بداخله - ثم غرق المكان في الظلام الدامس وخيم عليه السكون الموحش على المكان وعاد كل شيء كما كان من قبل ... إلا من جسدا ملقى على الأرض بداخل الحجرة الممنوعة.

عبر نوافذ الغرفة المفتوحة لاح نور الصباح فانبعثت رائحة الأزهار
الذكية وانطلقت الطيور من اعشاشها لتملأ السماء تغريداً تقطع بقايا
سكون الليل الذي مازال ناشراً أستاره على المكان، نظر الدكتور عوني
من نافذة حجرته فلا زال مستيقظاً لم تغفو عينيه طوال الليل أيضاً لم
تهداً الأصوات إلا منذ قليل وقت اقتراب الفجر وانتشار نور الصباح.
فاخذ يراقب الفراشات التي راحت تقبل الأزهار ويرى أسراب الطيور
المغردة مع تمايل أغصان الأشجار وهبوب نسيمات الهواء العليل. فقال
محدثاً نفسه - كل شيء يتلأأ بهاء وجمالاً وكأن شيئاً لم يحدث تلك
الليلة - فنظر شاردأ ولم يدري كم مضى من الوقت حتى امتدت أشعه
الشمس لتلقى بخيوطها الذهبية على المكان. فعاد إلى الداخل ليغير
ملابس نومه ويلحق بالأسرة الذي أستيقظ أفرادها وهبوا جميعاً إلى
الطابق الأول من البيت ليتقابلوا على مائدة الإفطار كعادتهم اليومية في
كل عام.

**الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقاً او خارج نطاق الخدمة اتصل
لاحقاً!**

تلك الرسالة البغيضة التي تأتي في محاولة اتصال هام اتصال، أو
عاجل، أو إلى عزيز نتمنى سماع صوته، ومثلنا جميعاً في هذا الموقف
نصبح أكثر توتراً وأكثر حيرة أو أكثر فزعا.

أخذت رضوى تعدو غرفة الطعام ذهاباً وإياباً في محاوله الاتصال
بجاجان ولكن كانت على موعد مع رسالتها البغيضة، فهي لم تراه او
تسمع صوته منذ أمس فكانت شديدة اللهفة ألي لقاءه. فمنذ ذهبت مع
أمها وعادت لتجد الجميع كلاً في غرفته. وتملكتها الحيرة فأشارت
لأخيها يوسف فانطلق مسرعاً إلى أعلى ليقوم بإيقاظ ابن خاله الذي

تأخر كثيراً الذى صدمة أثناء ركضة قبل أن يصعد درجات السلم لأعلى فقد كان خارجاً مسرعاً من حجرة المكتبة، ومازال مرتدياً ملابس من أمس يعلو راسة بعض خيط العنكبوت وتعلو ملابس به بعض الأتربة. غريب الهيئة وكأنه قد أتى من كهف عميق - فتبادل وأسرتة النظرات - دون كلمة واحده وقد بدا على وجهه الإرهاق الشديد فكان شبه مخدراً او نائماً لم يستيقظ بعد حتى لم يعي

من يكون أمامه فأصابت الدهشة الجميع لهذا المظهر الذي يبدو عليه فقد كان غريب الشكل. وساد الوجود على الأسرة إلى أن بادرت عمته بالسؤال عن مظهره وأين كان ولماذا ما زال مرتدياً ملابس أمس حتى الآن؟ فأجابها ومازالت عليه علامات عدم الاستيقاظ كاملاً. يبدو أنى قد غفوت بالمكتبة أثناء قراءتي لأحد الكتب ولم أشعر بالوقت - إلى الآن - وصعد لأعلى حجرته ليغتسل ويقوم بتغيير ملابس به وقد نسى تماماً أحداث ليلة أمس وما حدث له بالحجرة الممنوعة.

الفصل الرابع

نظر الدكتور عوني في وجوه الأسرة حول مائدة الإفطار يتأمل كلاً منهم في صمت. وقد أخذ الجميع يتبادلون أطراف الحديث عن سهرة أمس على ضفاف النيل مع نسمات الليل الساحر والإحتفالات المقامة على بعض البواخر النيلية، والتي قد أضاءت بأنوارها المختلفة الجميلة صفحة النيل وكانت أيضاً المعابد والأثار الفرعونية قد تمت أضاءتها الليلة فاكتست برهبة التاريخ وسحره الغامض. فبدأت الليلة كحفله عرس عائمة شارك فيها مختلف الوجوه العديدة من عشاق تلك المدينة من كل أنحاء العالم. كما أخذت رضوى وجاجان يتبادلان أطراف الحديث الهامس العاشق بين الحبيبان، وأمطرته رضوى بالكثير من الأسئلة المتلاحقة عن سبب أغلاق هاتفه منذ ليلة أمس وحتى الآن؟ ولماذا لم ينتظر عودتها من الخارج؟ وماذا فعل وحده في ذلك الوقت؟ كثيراً من الأسئلة لم يعرف أن يجيب على أحدهما فنظرا شاردا كأنه يحاول أن يتذكر، ولكن هل حقا نسي أحداث ليلة أمس؟ وأنهى الجميع إفطارهم فذهب بعضهم إلى الحديقة لتناول الشاي كعادتهم اليومية وسط جمال الطبيعة الخلابة. وأخذت الخادمة تتناول الأطباق الفارغة وتنظف بقايا الطعام، كان الدكتور عوني مازال على مائدة الإفطار شاردا، وقد تناول القليل من طعامه على غير عادته، فغالبا ما تكون أكبر وجبات طعامه هي طعام الإفطار فلم يكن يتناول في كثيرا من الأوقات وجبة الغذاء وان حان وقت المساء لم يتناول إلا كوبا من اللبن الدافئ او عبوه من اللبن الرائب كعادته منذ سنوات.

فنظر إلى الخادمة تمتلكه علامات الدهشة والحيرة وأخذ يتساءل: لماذا لم يذكر الجميع حتى الخادمة شيئاً عن أحداث أمس والتي لم يغفو لي جفن بسببها إلى الآن؟ ... هل يكون فقط من شاهد تلك الأحداث؟

أ يكون وحده فقط من سمع تلك الأصوات؟ أو تكون ليلة أمس مجرد كابوس؟ ولا يوجد شيء هيات، محاولاً أن يقنع نفسه أن ما حدث مجرد كابوس مرعب شاهده وحده ... ولكن هناك سر بداخله.

سرا لا يعمله سواه هو وصديقه الدكتور ميلاد. واخذ يتساءل ويلوم نفسه هل من الصائب أن نغرق أبنائنا في الجهل يقينا منا أننا نحميمهم؟ أم يجب علينا أن نسقيهم المعرفة من مصادرها الصحيحة لتكون درعاً وحماية. وان كنا لا نحب ما يحبون من تلك العلوم، أو تلك الثقافات المختلفة أو ثقافات من أزمته بعيدة، "وكما قال سقراط: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . " وتساءل في حيرة أكان عليه أن يطلع جاجان على الحقيقة؟ وأن يحميه بالمعرفة والعلم. حتى يستطيع أن يحمي نفسه أن شاءت الظروف وكان وحده دون وجود من يحميه، أو يساعده على ذلك،

وظل شاردا وكثيراً من الأفكار والأسئلة تدور في رأسه. ثم هب وافقا وطلب كوباً من القهوة أثناء مغادرة غرفه الطعام فنظرت له الخادمة في دهشه لطلبه كوباً من القهوة فلم تكن عادته شراب تلك الكمية الكبيرة، ورأى الحيرة على وجهها فقال قبل أن تسأله بأنه لم ينم جيداً أمس ويحتاج للقهوة كي يستعيد نشاطه.

كما طلب منها تنظيف بقعة من بقايا الصلصة أو الكاتشب تحت الكرسي الذي جلس عليه جاجان ...

أما هناك بشرفه المنزل فقد جلس الحبيبين يرتشفان عصير المانجو، ويتبادلان الهمس والإبتسامات فيما بينهما. لا يوجد من يكدر صفوهما إلا بلايل الحديقة التي ظلت تختلس النظر إليهما من فوق الأشجار.

أخذ الدكتور عوني كوب القهوة من الخادمة، وانطلق ذاهباً إلى المكتبة كعادته اليومية حتى وإن لم يقرأ من كتبها شيء. هل كان حقاً عاشقاً

لذلك المكان أم كان هناك شيء آخر لابد أن يراه يومياً؟ شيء لا يستطيع البوح به. فكان مجرد التفكير أو الحديث عنه يثير الرعب في نفسه....

لم يخرج الحبيبان من دنياهم الحلوة بالشرفة إلا صوت اندفاع باب المكتبة وارتطام الدكتور عوني به سريعا مما ترك وراءه بعض قطرات القهوة التي انسكبت على الأرض إثر ذلك

فدخلا من الشرفة وقد أصابهما الارتباك فاندفعا معا إلى حجرة المكتبة يسألان عما حدث، فوجداه وقد تسارعت نبضات قلبه وأخذت بعض قطرات العرق تتصبب على جبهته. وراح يجوب المكان ويبحث خلف وسائل المقاعد وقد اتسعت عيناه ذهولا وفتح فاه متمتماً - بسؤال فقط، أين ذهب؟ وعاد السؤال عليه مرة أخرى عما يبحث؟ وهل يستطيع أن يساعده في شيء أو يبحث معه؟ ولكن لم يسمع شيء مما قالوا. وأنهمك فيما يبحث عنه وكأنه قد شارف على الجنون، فلم ينظر إليهما ولم يع بوجودهما وانطلق مسرعا إلى مكتبه ثم عاد مسرعا أيضا ليجث مره أخرى بحجره المكتبة، ... ثم سكن كل شيء.

نظر عزمي لمفتاح غريب الشكل يتوسط المنضدة المستديرة بالمكتبة، وقد كان يعرفه جيدا وقال في صوت أشبه إلى الهمس همسا يملأه الرعب والهلع. كيف جئت إلى هنا؟ ثم قام بمد يديه فالتقطه بسرعة من مكانه. وأعاد كلامه مره أخرى كيف جئت إلى هنا؟ وكاد يجن من الدهشة لذلك. نعم فذلك المفتاح لا يفارقه أبدا منذ سنوات في نومه أو يقظته أبدا حتى وان دخل للإستحمام ... كأنه قطعه من ملابس أو من جلده وعظامه ... أصابه كثير من الهلع حين وقعت عينيه عليه محدثا نفسه، هل يمكن أن يكون أحدهما قد عبث بتلك ... الح.... جره ...

فلم يستطع إكمال الكلمة، وعاد يردد ربي كن معي فلم يتبق الكثير من الوقت. لم يتبق إلا شهوراً قليلة، ساعدني يارب -على هذا العبء الثقيل الذي أحمله منذ سنوات طويلة، واخذ يتفقد مفتاح القفل الموضوع على الحجرة الممنوعة فقد كان هذا المفتاح مفتاح حجره السر
أسرع الدكتور عزمي بإخفاء المفتاح بالجيب الصغير داخل ملابسه حتى لا يراه أحد، والقى بجسده على أقرب كرسي بالمكان. ليلتقط أنفاسه.

نظر جاجان ورضوى إلية وقد أصابتهما الحيرة والدهشة لهذا المفتاح الذي جعله يتصعب عرقاً ومنهك القوى شاردا تبدو عليه علامات الخوف والحيرة منتقلا بنظره إلى قفل الباب من أن لأخر باب الحجرة الممنوعة حتى شعر بوجود أبناء أخويه ينظرون اليه نظرة يملأها القلق وألدهشة. فابتسم لهما ابتسامه باهته كي يطمئنهما.

وبادرهما بالقول بأنه قد فقد شيء هام جداً. وقد أطلق تنهيدة كأنه أتى من سباق مارثون، ولكن قد تم إيجاده أخيراً، وما أن التقت عيناه بعين جاجان حتى تذكر نومه ليلة أمس بالمكتبة، وخروجه صباحاً منها مما أفزعه ذلك الأمر وعادت إلى نفسه الهواجس من جديد خشية أن يكون قد رأى المفتاح فقام بفتح الحجرة، وعاد الفزع من جديد إلى وجهه اشد رعباً من ذي قبل عندما تذكر أحداث الليلة السابقة. ولكن هدأ قليلاً حين رأى أن جاجان جاهلاً بكل شيء، عبثاً حاول أن يستجمع قواه ويسيطر على أفكاره وابتسم نصف ابتسامة محاولاً أن يبدو الأمر طبيعياً لكل من حوله.

ولكن هيهات فقد كان هناك صراع خفي رهيب كرحى تطحن النفوس والقلوب، وقد دارت تروسها في قوة. فإلى أين قد تذهب به؟ أتكون بداية

الإشارات والعلامات؟ وبقي شاردا في أفكاره التي تمنى أن تكون غير صحيحة.

أوشك اليوم على الانتصاف فأخذ جاجان ورضوى يركضان بالحديقة ويتفقدان روعة أزهارها بعد أن اطمئنا على عمهما بحجرة المكتبة وعاد للقيام بالعمل على مراجعة بعض أبحاثه.

أما يوسف فقد راح يسابق الموج بحمام السباحة الذي يعشقه، وعلى أحد جوانب الحمام أخذت سارة تمارس هوايتها المفضلة في رسم كل جميل فأخذت ترسم الزهور والفراشات، كما قامت برسم وجهة الفيلا المطللة على الحديقة بشرفاتها المفتوحة، وكأنها تسجل منظرا إبداعيا كي تتفاخر به بين أصدقائها وأيضا تريحهم روعة فيلا خالها التي تقيم بها هنا في ذلك المكان المبدع. أما يوسف فقد أخذ جزء من لوحاتها فكان يبدو كسباح عالمي في اللوحة بذلك. وان كان في الواقع لا يجيد غير ألوهو بالماء. لم تهتم كثيراً بما يبدو عليه يوسف في لوحاتها ولكن استوقفها ذلك الشيء هناك. الصقر الواقف بجوار نافذة جاجان منذ ساعات لا يقوم بأي حركه كما تفعل الطيور، فقامت برسمه. ثم نظرت اليه مره أخرى فاذا به ثابتاً في موضعه كما كان منذ قامت برسم لوحاتها. فأطلقت عليه مازحه الطائر ذو الأرجل الخشبية؛ لأنه لا يتحرك. منذ ساعات.

فابتسمت عمتها فريدة التي أخذت تشجعها على روعه لوحاتها، ثم انطلقت ذاهبة ألي المطبخ كعادتها كل عام لأعداد أصناف الطعام الذي يشتهيها أخيها من صنع يدها، فكانت تذكره بأيام الطفولة وعنفوان الشباب في بيت العائلة كما كانوا صغاراً.

انطلق الدكتور عوني ذاهبا إلى الحديقة محاولاً اندماجه مع أسرته التي مضت تمرح هناك محاولاً أن يهدأ قليلاً حتى لا يكون مثار تساؤلات الجميع وأيضا كي لا يفسد عليهم اجازتهم القليلة هنا.

ولكن لازال شاردا ولم ينتبه لشيء حوله إلا صوت الخادمة الغاضب أثناء مروره بجانبها فقد كانت تقوم بتنظيف شيء ما تحت أحد كراسي منضدة الطعام. فاستدار إليها وقام بسؤالها عن سبب غضبها؟ وماذا تفعل؟ فأجابته في ضيق قائلة: تبدو أنها شقاوة يوسف المعتادة ككل عام ياد كتور، فمنذ الصباح أقوم بتنظيف تلك البقعة وتعود مره أخرى ولا اعرف ماذا افعل بها. فقال لها قد تكون بقعة طعام صعبه قليلا، حاولى استعمال مواد تنظيف أخرى، وتركها وقد هم بالرحيل ... فاذا بها تقول في صوت يملأه التعب والإرقاق، لا يا دكتور ليس بواقى طعام، أنها بقعه دم أكيد شقاوة يوسف قالتها وقد رحلت إلى المطبخ ... وهي لا تعلم ماذا قالت... فقد كان الأمر أكبر من يتخيله عقلها. أما هو فقد مادت الأرض تحت قدميه. عندم سمع كلمه. بقعة الدم

واخذ يردد في ذهول بقعه الدم التي لا تخنفي ... أنها علامة أخرى، والقى بجسده الخائر على أقرب كرسي بجواره حتى وكاد يفقد وعيه من الصدمة وعاد الفرع يملأ وجدانه - ويتساءل أيكون الفتى قد قام بفتح الغرفة أمس؟ أيكون وجد المفتاح؟ ... ولكن لا يبدو عليه إثر معرفه شيء ... أيكون كشف السر !!؟

فهل حقا تكون بقعه من الدماء؟ أتكون حقا بقعه من العالم الأخر !!؟

ما زال الدكتور عوني متيقظاً في فراشه لم يستطع أن تغفوا عينيه منذ ليله أمس. وكيف لمثله أن ينام في ظل الأحداث الدائرة، وهو فقط من يعرف سرها في ذلك المنزل ... فقد حافظ على ذلك السر سنوات بكل قطرة من قطرات دمه وروحه وأعصابه. وما هو يرى الآن أول علامات وإشارات ذلك السر. فقط من يعلم السر يستطيع أن يرى ويسمع العلامات ... ثم يرى باقي المصير المجهول. كاد التفكير أن يقتله فحاول أن يقرأ كتاباً وضعه بالقرب من فراشة عسى أن تغفوا عينيه قليلاً أو يهدأ عقله عن التفكير، ولكن هيهات. كانت عينيه تتصفح الكلمات وعقله بعيداً عنها منشغلاً بشيء آخر، شيء يحاول أن يهرب من التفكير فيه ولو لحظات قليلة ...

وكلما وصل ف لتلك النقطة يعلو وجهه الرعب والفرع ... ليبقى شارد متيقظاً منذ ليلة أمس ...

ولم ينتبه إلا على دقائق الساعة الكبيرة بالطابق الأسفل من الفيلا لتعلن الساعة الواحدة صباحاً. كان جميع سكان البيت غارقين في سبات عميق إلا هو، وكأن النوم قد رحل عن عالمه.

ومضت دقائق معدودة على دقائق الواحدة صباحاً، وعادت أصوات هبوب العواصف والرعد من جديد مثلما حدث أمس في نفس توقيت الواحدة من الصباح ولكن بصورة أكثر جنونا وأكثر رهبة حتى خيل إليه كأن هناك انهياراً لجبل ما، أو تحطيم صخور وأصوات كصرير السلاسل الحديدية حين تجر على الأرض

ثم هدأ الصوت قليلاً ثم علا صوت قرعقة اهتزت لها جدران المنزل، وصوت أحجار تتهشم حتى خيل إليه أن المنزل قد انهارت إحدى جدرانه، أو حدث شيء ما فانتفض يركض نحو نافذة حجرته المطلة على الحديقة ليرى ما يكون من حالة الطقس، فلم يرى إلا الظلام

الدامس برغم من بدر السماء الذي ملأ الدنيا ضياءً في منتصف الشهر العربي ... فنظر عالياً ليرى ما يكون فإذا بسحابة سوداء غريبة الشكل وقد حجبت نوره القمر عن الأرض ... كانت سحابة غريبة الشكل شديدة السواد لا وجود لغيرها في السماء التي بدت صافية إلا من هذه البقعة السوداء... كأنها وجدت فقط لإطفاء نور القمر ليغرق المكان في الظلام الدامس...

ونظر يبحث عن حرب الطبيعة الذي سمعه منذ قليل. أين هي الرياح والعواصف التي سمعها وما زالت مستمرة لم تهدأ؟ أكان يعلم أو لا يعلم أن حرب الطبيعة لم تكن إلا داخل جدران منزله فقط...؟ ثم استسلم لعدم وجود شيء هام فأسدل ستائر نافذته وعاد إلى فراشه مره أخرى قلقاً حائراً، ولكن قبل أن يجلس على حافه فراشه إذا بعودة الأصوات مره أخرى أكثر شراسة ورهبة... وعادت أصوات تحطيم جدران المنزل من جديد، فجرى مسرعاً من غرفته وقد أدرك يقيناً أن الجميع قد أيقظتهم تلك الأصوات، ففتح باب حجرته في توتر ثم نظر. خارجها، وإذا بيهو غرف النوم هادئاً خالياً من أي أحد سواه. الذي سمع هذه الأصوات. فأخذ يخطو ببطيء يعسّس حول الحجرات، ليكون أحدهم مستيقظاً، أو هناك من يتكلم ويخشى أن يخرج فيزعج الآخرين؟ ولكن هيهات السكون التام يعم أركان المكان، والجميع في سبات عميق.

فرجع عائداً إلى حجرته مره أخرى، ولكن كاد قلبه أن يتوقف، ورفضت قدماه أن تتحرك. إثر صرخة مدويه انطلقت من حجرة ابن أخيه صرخة يملأها الحقد واليأس ...

انطلق مسرعاً نحو الغرفة التي تبعد خطوات قليلة من غرفته، ليجد ما جعله يتوقف على أعتابها في ذهول ورعباً كاد أيضاً أن يطلق صرخة أعمق من تلك التي سمعها منذ قليل وأيقن تماماً أن ما يجول

بخاطره حقاً، وقد حان الوقت ليتعامل معه. ليتعامل مع سره الذي أخفاه منذ سنوات، فلم يكن ابن أخيه صاحب الصرخة المدوية التي اهتزت لها جدران المكان ... بل كان هو.

هو صاحب الصرخة ... ذلك الهارب من الزمن السحيق

الذي لم يكن يتمنى أن يراه أبداً... أو يجيء

إذا فقد عاد الهارب عاد الأمير المفقود وقد هاله ما رأى نظر الدكتور عوني داخل الغرفة التي سبحت في ظلام عميق إلا من هالة كبيرة من لهيب النار أختلط بين اللون الأحمر والبرتقالي. كان جاجان يسبح في الهواء وكأنه منوم مغناطسياً مسلوب الإرادة بداخل دائرة النار التي يمسكها ويتحكم بها ذلك الطيف العملاق الذي يعرفه جيداً ويعلم من أين أتى؟ حيث كان أشبه بشبح، ولكنه لا يبدو كذلك فالأشباح كانت من قبل بشراً، أما هذا فلا يبدو كذلك. فكانت عيناه حمراوان كالنيران المنقذة، وشعره طويل أسود فاحم كسواد الليل المطبق على المكان، أنسدل شعرة على كتفيه وكان يتخلله بعض الشعيرات الحمراء التي تقطر دماء أينما ذهب. كما كانت ملابسه غريبه الشكل بالية وكأنه يرتديها منذ سنوات طويلة ذات طراز قديم أشبه بملابس شخصيات الأساطير والحكايات الخرافية. كبلت يده وقدماه بسلاسل ثقيلة من الحديد في نهايتها قطعة كبيرة من معدن اصفر اللون كتبت عليها رموز وطلاسم قديمة، إما وجهه فكان مثل وجه شبح هارب من الجحيم.

نظر لتلك الرموز والطلاسم التي باتت يحفظها منذ سنوات ... فما هي إلا رموز المخطوطة والتي هي سره الدفين الذي أرهقه حفظها منذ سنوات ... وكيف لا يعرف من يكون هذا الطيف وهو عالم الآثار الشهير، وحافظ سر المخطوطة.

وما أن رآه الطيف والتقت عينهما إلا واستشاط غضبا، وبدأت دائرة الضوء تتسع لتملأ الغرفة وبدأت ساخنه كأنها ستحرق كل ما بها ثم تحولت حوائط الغرفة إلى عشرات من الوجوه لذئاب، فكانت وجوههم أكثر بشاعة كوجه صاحبها. مكشرة عن أنيابها ذات عيون سوداء كبيرة مستديرة، وانياباً تقطر دماء مثل شعر صاحبها، الذي صاح مهددا ومحذرا الدكتور عوني أن يترك له الأمير المخلص. واقترب منه الطيف المخيف فاستطاع أن يشم رائحته التي بدت كرائحة المقابر والأماكن العفنة. ثم تساقطت ألسنة اللهب وأسقطت الفتى معها أرضا، وذهبت دائرة اللهب ليغمر الظلام الحجرة ثم يلتف حول الشبح الغاضب ليزوب بداخله ويتحول، إلى دخان يهرب من نافذه الحجرة مسرعا كما ذهبت معه وجوه الذئاب الجائعة هي الأخرة لينير مصباح الحجرة فور ذهابهم من جديد دون أن يلمسه أحد.

فيسرع إلى النافذة ليرى أين ذهب ذلك الطيف فلا يرى له أثرا، ولكن يرى أن الغيمة السوداء التي حجبت ضوء القمر قد انقشعت ليعود نوره يملأ المكان ... أما هو فقد اختفى تماما مع ذنابه

ولم يبق إلا تلك البومة التي كانت ليلة أمس في هذا المكان لا تبرحه منذ دخول الليل وحتى ضوء الفجر. ليجلس مكانها ذلك الصقر صباحا. والذي لا يتحرك أيضا إلا مع قدوم الليل ...

فسأل نفسه: ترى مع أي الفريقين أنتم؟؟

اجتمعت الأسرة كعادتها حول مائدة الإفطار، وكان آخر من وصل إليها الدكتور عوني الذي بدا شاحبا مرهقا فألقى التحية وطلب فنجان من القهوة بجانب إفطاره وهذا ليس كعادته اليومية، ولكن أراد أن يساعده ذلك على الاستيقاظ فقد يكون اليوم من أطول وأهم أيام حياته كلها ...

كان اليوم يبدو غريبا حول مائدة الإفطار. فقد ساد السكون عليهم وأصبح كلا منهم شاردا بعض الشيء، فهناك رضوى التي أخذت تنظر إلى طبقات السلم المؤدى للطابق الثاني عسى أن تجد جاجان قد أتى من حجرته لتناول إفطاره معهم. وأحيانا تقوم بطلب رقم ما بالموبايل متوارية بعض الشيء عن عيون أسرتها. وإن كان الجميع يعلم من تقوم بالاتصال به فما كان صاحب هذا الرقم سوى جاجان. ومازالت تعاود الاتصال بالرقم أكثر من مرة ومازال لا يجب على هاتفها، فتنتابها الحيرة والقلق وترمق بعينها الكرسي الفارغ بجانبها. ثم يعاودها الضجر فتتناول قطعة من الطعام في سهد وشروود وتعود إليها حيرتها مره أخرى فلا تستطيع تناول شيء وتبقى شارده تنظر إلى الدرج المؤدى للطابق الثاني

وقطعت ساره الصمت قائلة: قد حدث بالأمس شيء غريب في احدى لوحاتها الأخيرة التي قامت فيها برسم بعض أجزاء من الفيلا والحديقة. كما قامت برسم يوسف داخل حمام السباحة ثم رسمت نوافذ حجرات الفيلا المطلة على الحديقة. قالت سارة أثناء رسم لوحتي قد رات بجوار نافذة جاجان صقرا غريب الشكل كبير الحجم من مثيلة من الصقور التي نراها، كان ذلك الصقر لا يتحرك من مكانة كما ظل جالسا بلا حركة إلى أن أنهيت لوحتي مما ساعدني ذلك على القيام برسمه بدقة. وقد أضاف جمالا على اللوحة حتى أنهيتها وتركتها بغرفتي كي تجف ألوانها، ولا يرقد بالغرفة سوى أنا ورضوى فقط.

وفي الصباح كانت المفاجأة أخذت أتفقد اللوحة كي أخذها مع باقي اللوحات الأخرى كي اصنع لها إطار خشبي، فاذا بشيء غريب قد حدث بها؛ صورة الصقر بجوار النافذة قد اختفت تماما وتحول مكانة ألي دائرة بيضاء فقامت أتحسس تلك البقعة الخالية. فاذا بي كأني اضغط على جسم طائر فيتحرك كلما قمت بذلك حتى كنت أحس

بلمس ريشه، فانتبني الفرع فذهبت خطوه إلى الخلف إثر ذلك الشيء الذي ملأ نفسي رعبا. ثم عاودت أتحسس المكان مره أخرى فقام الطائر الذي اختفى من اللوحة بنقر إصبعي... فتركت اللوحة كما هي. ولم أستطع الاقتراب منها مرة أخرى ... ومازلت اشعر بالخوف

نظرت اليها عمتها فريده وقالت لابنة أخيها: يبدو أننا أكلنا كثيرا على العشاء ليلة أمس، فحدث لنا كثيرا من الكوابيس هذه الليلة حتى أنا لم أستطيع النوم، فقد شعرت بكابوس أسوأ ما يكون في حياتي أن أرى مثله ... رأيت أن نور الحجرة انطفأ وإذا بوجه مخيف لا تظهر منه سوى عين واحده حمراء كأنها فوهة بركان، ظهرت من خلال وجهه المغطى بشعر اسود طويل به شعرات حمراء تقطر دماء كلما غفوت يقوم بسحب قدمي. كان يردد كلمتين فقط

(الأمير لي - الأمير لي) وأنا لا اقوى حتى على الصراخ. من شدة الرعب ... وظل كذلك حتى أوشك الصبح أن يشرق، فاذا بظلمه الحجرة تتحول إلى دخان أسود كثيف يلتف حول صاحب الوجه المخيف ليهرب الجميع من النافذة ... ويسكن بعد ذلك كل شيء ... فكم كانت ليلة غريبة حتى إنني ما زلت خائفة بعض الشيء ألي ألان !!!

كان يستمع إلى الجميع ولكن لم يعقب على كلام أحدا منهم فهو وحده الذي يعلم أن ما رآته أخته ليس كابوس وان ما حدث بلوحه ساره حقيقي وان خلف القطعة البيضاء ما زال يجلس ذلك الصقر ... الذي قام بنقر أصبعها حين لمستته ... ولكنها لم تعرف من يكون هذا الصقر ...؟ وأن كان يعرفه جيدا هو الآخر!

وكيف لا يعرفه فمنذ رأى جاجان وذلك الشبح حين تحول إلى دخان، خرج من النافذة تاركا ابن أخيه ملقى على الأرض بين اليقظة والنوم ... ليقوم بمساعدته بعد ذلك حتى ارقده مره أخرى في فراشه، وأشفق

عليه أن يتركه وحيدا فاستلقى بجانبه مفتوح العينين إلى أن بزغ نور الصباح فأراح جسده المنهك من التعب منذ أمس في نوماً متقطعاً إلى أن تعالت أصوات أسرته بالطابق الأسفل، فذهب إلى حجرته لا يستبدال ملابسه والاستحمام عله يفيق.... وألقى ببصره أثناء خروجه من الغرفة على ابن أخية في عطف وحنان فوجده يحرك راسه يمينا ويسارا كمن يرى حلماً مزعجاً.... أو قد يكون كابوساً بغيضاً، فتركه وذهب.... فهو لا يخشى عليه أثناء النهار، ولكن يخشى عليه من الظلام حيث الظلام لا يأتي إلا في الظلام، وأشفق عليه فتركه ليصحوا وقتما يشاء فيكفيه ما لقيه ليلة أمس.

انطلق مسرعاً إلى حجرة المكتبة طالبا من أم محمود كوبا كبيرا من القهوة الذي أخذت تنظف

أسفل مائدة الطعام ولم تسمعه. فنادى عليها مرة أخرى معادا طلب القهوة وعدم إزعاجه فنظرت إليه وقد علا وجهها علامات الضيق وقالت له: يا دكتور كلما نظفت تلك البقعة عادت مرة أخرى. يبدو أن يوسف ما زال يعيث معي بشقاوته ككل عام فأرجو أن تمنعه... فبادرها بالقول: احضر القهوة بسرعه واركبها الآن، وقال هناك أيضا بعض البقع في غرف النوم لا تتعبي نفسك بإزالتها فجميعا لن تزول. تركها ذاهبا إلى حجره المكتبة وقد أدهشها ما قاله وانطلقت تهمهم ببعض الكلمات في طريقها إلى المطبخ لإعداد القهوة. تتحدى سيدها إنها قادره على إزالتها. وكيف لمثلها أن تستعصى عليها نظافة بقعه طعام....

كانت مثل سكان البيت تجهل تماما إنها بقعه من العالم الآخر بقعه من دماء شريرة كانت تلك البقعة بصمته حين يلمس اي شيء.

يترك بقعة من دماؤه كبصمات أصابعنا حين نلمس أحد الأشياء .
كان لون دماؤه غريباً يغلب عليه السواد وقليلًا جدًا من اللون
الأحمر . ولم يكن دمه مثل دمائنا فقد كان شديد اللزوجة جداً وشديد
الكثافة واللمعان، فكانت مثل طلاء السيارات والأجهزة الكهربائية.
ومن داخل حجرة المكتبة امسك بسماعه الهاتف المنزلي واخذ
يطلب رقما وهو في غاية التوتر ...

صباح الخير يا ميلاد

ليرد الطرف الآخر

- صباح الخير يا عوني

- اسف أيقظتك مبكرا

- يرد ميلاد مداعبا: أنت تعرف أننا منذ كنا معاً نصحو وننام في
آن واحد ولم يتغير شيء إلى الآن . فاذا كنت مستيقظا فأنا كذلك
وأن كنت نائما فأنا كذلك، ثم تراجع عن دعابته إثر انتباهه التوتر
في صوت صديقه الذي بادره قائلاً: اسمع توترا شديداً في صوتك
هل حدث شيء غريب آخر أو تطور جديد للأحداث؟
فأخذ يقص على صديقه أحداث الليلتين السابقتين وما حدث فيهما
من تغيرات كثيرة قد وقعت، وبقع الدماء التي لا تمحو أبدا إنها من
علاماته التي نعرفها ، واخذ يستغيث بصديقه وأمين سره قائلاً:
أدركني يا ميلاد ، انه هنا أنه يريد جاجان ولن يرحل حتى يحصل
على ما يريد من الفتى ليخلصه من عالمه وسجنه، وأنت تعلم ما
سيكون لاحقاً وماذا سيحدث لنا جميعاً أن تم له ذلك أدركني قبل أن
افقده، أو افقد أحد أفراد أسرتي ياميلاد ، قالها وقد إنهار تماماً
...فأجابه صديقة وقد اصبح هو الآخر اكثر توتراً منة، سأقوم
بأعداد حقيبتني فورا ، وأكون عندك بأي وسيله مواصلات الليلة سواء

طائرة أو قطار أو باص . سأكون معك قبل الليل، ولن أتركك حتى
تزل الغمه والرب معنا ثم اغلق سماعة الهاتف، ودق جرس المطبخ
مستدعيا الخادمة لتقوم بأعداد حجره الدكتور ميلاد، أذى سيأتي من
القاهرة مساء اليوم وسيقيم بعض الأيام هنا. لإنهاء بعض الأعمال
الهامة معاً ...

لم تسأل أالخادمة عن الضيف فهي تعرفه جيداً. فكم من مرات عديدة
أقام هنا، أيام عديدة متصلة مع الدكتور يعملون معاً بحجرة المكتبة
أو المكتب وكثيراً ما كانت ترى أمامهما أوراق قديمة وكتب
ومخطوطات يقومون بالعمل عليها

وأنها تعليماته معها، وأخذ يتفقد المكتبة ليخرج من أحد أدراجها كثيراً
من الأوراق بين الحديث والقديم، قد تراكمت بقايا الأتربة عليها حيث
لم تمسها يدا منذ سنوات عديده، فأخذ ينظف الأتربة من فوق الأوراق
بعناية فائقة كمن يخشى أن تتساقط حروف تلك الأوراق
والمخطوطات على الأرض أو تتطاير حروفها في الهواء، ثم احضر
جهاز لآب توب كان موضوعاً بأحد الأرفف وأيضاً احضر مجموعه
من أقلام الرصاص واثنين من العدسات المكبرة وأواري بيضاء
للكتابة ... وأصبح المكان مهياً تماماً ...أصبح مجلساً للعلماء .

ذهبت الخادمة تحمل ورقه صغيرة دون بها بعض الطلبات الخاصة
بقائمة الطعام التي طلبتها السيدة فريدة لتقوم بإعطائها إلى زوجها
الجنائني لإحضار ما بها من سوق القرية كعادته، حيث يقوم بشراء

الخضر والفاكهة مرة أسبوعيا من سوق الخضار، وانطلقت الخادمة لتري في طريقها أفراد الأسرة وقد ذهب كلا منهم بعيدا شاردا في أفكاره فساد السكون البغيض المكان إلا من يوسف الذي أخذ يلهو هنا وهناك، فأخذ يجذب كلا من رضوى مرة وسارة مرة أخرى لحثهما أن ينزلا معه إلى الحديقة كي يلعب. إلا أن الجميع رفض طلب الصغير فمازلت رضوى تنتظر أن يستيقظ جاجان حيث اقتربت الساعة من العاشرة صباحا، وكانت هذه المرة الأولى يتأخر هكذا في نومه. فنظرت إليها فريدة وقد شعرت بحيرتها فأمرت يوسف أن يذهب إلى الأعلى ليتفقد جاجان ويرى هل استيقظ أم لا ... فاذا بجاجان على الدرج وقد بدا عليه علامات الإرهاق والنوم، فتقدم نحو أسرته ليبدو متعبا ويبدون هم شاردين بعض الشيء....

من داخل المكتبة وصل صوت جاجان إلى عمه فوضع كل شيء بيده جانبا، وأنطلق مسرعا ليرى ابن أخيه. وهل مازال يتذكر أحداث أمس؟ أم ماذا حل به بعد تلك الليلة المظلمة؟ أما الحبيبة فقد انفرجت أساريرها وعادت أشرقه وجهها فور ظهور الحبيب، وأن كانت عيونها تحمل إليه الكثير من اللوم الذي لو تجد مجالا له الآن وسط أسرته كي تبوح ما بقلبها له أو تلومه. فقامت مسرعة من مكانها لتجلس بجواره إلى أن سبقها خالها وجلس هو بجوار جاجان فرجعت مرة أخرى لمقعدها وأصابتها الدهشة من خالها حيث كان هناك الكثير من المقاعد الخالية ... فلماذا هذا المكان؟ ولكن لم يعيره ذلك أدنى اهتمام فكان هناك ما يشغله أقوى من الحب.

فسأله متجاهلا ما حدث أمس كي يعرف، هل يتذكر شيء منه أم مازال آمن لا يتذكر شيء؟ فقال: لقد تأخرت كثيرا في النوم وإني أريدك معي بعض اليوم فالدكتور ميلاد سيكون متواجد مساء للعمل معي في بعض الأشياء الهامة،

امسك جاجان رأسه من الخلف فقد كان يشعر بالألم قليلا، فطلبت فريدة من أالخادمة أن تعد له الإفطار وبعد أن يتناول إفطاره يتحدثون، ولكنه بادرها قائلا: يريد فقط كوبا كبير من النسكافيه وسندوتش صغير سيتناوله هنا معهم. فقد رأى حلما غريبا مخيفاً وهو لا يحب أن يظل وحده اليوم حتى يخرج ذلك اللحم من رأسه ... اشتد انتباه عمه وراح ينتبه لكل كلمه سيقصها جاجان. فهو لم يكن مستمع فقط كالأخرين ولكن كان يقوم بربط الأحداث، لحماية ابن أخيه الذي أصبح وأسرته بل وقد أصبح الجميع في خطر داهم.

واخذ الفتى يسرد اللحم، او كما يظن حلما. فقال ما إن وصلت لغرفتي أدركت كم أنا مرهق.

فأطفأت أنوارها وتركت النافذة مفتوحة، فقد كانت نسومات هواء الليل ساحرة في ذلك الوقت وضوء القمر يغمر السماء كما انتشر عطر الزهور الفواح، فبات الليل أكثر جمالاً وسحرا. ولم يجعل تلك الصورة غير مكتملة الجمال بومه من الطيور وقفت أمام نافذتي وأخذت تحديق بي. فحاولت أخافتها كي تبتعد ولكن يبدو أنى من خفت منها، فأسدلت ستائر النافذة، وذهبت للنوم وتركتها، فظلت واقفة لا تتحرك حتى ذهبت في سبات عميق. واخذ يقص ما حدث له منذ وطأت قدماه الحجرة الممنوعة جاهلا تماما أن ذلك لم يكن حلم، وأن تلك الأحداث حقيقيه ولكن أتته في صورته حلم ... ناسيا تماما كيف دخل تلك الحجرة ... وفور انتهاء قصته التي خاف منها أفراد الأسرة؛ فقد كانت أكثر الكوابيس رعبا وأشد فزعاً مما رأت فريدة في نومها أو ما حدث للوحه سارة،

خيم السكون لحظة على الجميع، وأخذ كلا منهم يفكر في ذلك اللحم الغريب، ثم انتبه الجميع لأصوات تلك الصخور التي تتحطم وصوت رهيب أشبه بصوت الرعد وأصوات مثل أصوات عواصف الصحراء.

فانتبه الدكتور عوني لتلك الأصوات، ولم يتحرك من مجلسه فقد كان يعلم من أين تأتي، وما مصدرها، فمنذ ليلتين تعاد على سماعه ولكن الآن يسمعها صباحا بل وجميع أفراد الأسرة حتى أالخادمة خرجت من المطبخ مهرولة مرعوبة من تلك الأصوات. كم ذهب الجميع ينظرون من شرفة الفيلا ألمظلة على الحديقة، لمعرفة من أين تلك الأصوات؟ ولكن كل شيء كان هادئا بالخارج فعادو يعليهم الدهشة والحيرة!

استشعرت فريدة الخوف الذي بدا ظاهرا على قسماآ وجهها فاحتضنت يوسف بشدة ... وعلت الهمهمات تتساءل عن تلك الأصوات التي جاءت فجأة واختفت فجأة، ولم يكن هناك جواب لتك الأسئلة. فخيم على المكان سكون ورهبة.

ثم قامت فريدة ويوسف إلى غرفتها لترتاح قليلا، فأوقفتها سارة لتذهب أيضا معها. فقد كانت ليله أمس مليئة بالكوابيس والأحداث المزعجة التي سلبتهم جميعاً ساعات النوم، فأصبح الجميع ليس بخير. أيضا انطلق الدكتور عزمي لداخل المكتبة في انتظار صديقه دكتور ميلاد واخذ يكمل أوراقه وأبحاثه الذي أخذ يعمل عليها منذ سنوات. مع صديقه تحسبا لهذا الوقت. أما الخطيبان فلم يبرحا مكانهما، فمازال الفتى يشعر بتوعك وخطيبته تهون عليه بعض الشيء، وقد أشفقت عليه من قصة الحلم الذي رآه ولم تستطع أن تلاومه على عدم تناول إفطاره معها

اقتربت الشمس على المغيب وإذا بصرخة مدويه أطلقتها رضوى. فركضت أمها من غرفتها تتبعها سارة ويوسف، كما أنطلق الدكتور عوني من غرفه المكتبة حتى الخادمة وزوجها أتوا أثر تلك الصرخة المرعبة، وأصبح على رؤوسهم الطير وأطبق المكان بالصمت إلا من

أفواه مفتوحة، وعيون محدقة يملؤها الرعب ... والكل يصرخ متسائلاً:
ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ فقد صمت الجميع ولا مجيب ...

نظر أيضاً وقد أصابته الدهشة والرعب. فقد كان جاجان مطأطئ الرأس لا سفلى كمن اغشى عليه، وقد ارتفعت احدى زراعية إلى أعلى، فاذا بهالة من النور الأحمر الممزوج باللون البرتقالي تدور حول معصمه، وقد كان بداخلها هالة أخرى من الحروف والطلاسم والأشكال العجيبة. فقط تدور في دائرة واسعة تم تضيق شيئاً فشيئاً لتلتف حول معصمه. استمر الأمر أكثر من مرة ثم أضاءت مرة والتصقت الحروف المضيئة حول معصمه، وذهبت الهالة الحمراء لتبقى الحروف وكأنها أسورة لكن من طلاسـم وحروف مضيئة. وظلت كذلك لينزل بعدها ساعد الفتى المرتفع لأعلى ثم استيقظ قليلاً من سباته وراح ينظر للذين التقوا حوله تترقبه نظراتهم المرتعبة مما شاهده ...

فجلس بجوار ابن أخيه ليسقيه بعض الماء، وقد احتواه بين ساعديه، واخذ يربت بيده على ظهره لاحتواء جسده المرتجف. فقد بدا شاحب الوجه متسع العينين في ذهول، ولكن لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة
....

وطلب منهم بالانصراف جميعاً وتركه وحده بعض الوقت مع الفتى كما طلب ذلك من رضوى الذى حاولت أن تبقى معه ولكنها رفض طلبها فانصرفت كباقي أفراد الأسرة، وظل هو فقط بجوار يحتضنه ويحاول أن يهدئ من روعه. وذهب كلا منهما في تفكير عميق. خيم السكون والرغبة على الجميع في ذلك البيت. منذ أكثر من ساعة مضت، حتى قطع وحشة المكان صوت سيارة أتت من الخارج، فقد كان ذلك الضيف الذى ينتظره منذ الصباح انه صديق عمره وشريك سره الدكتور ميلاد، والذي يعرفه الجميع، فقد أصبح فرداً من أفراد الأسرة وليس صديقة فقط. رحب بصديق عمره وطلب من الخدم إرسال حقائب السفر إلى

حجره دكتور ميلاد الخاصة، وإبلاغهم بحضوره ... فتجمعت الأسرة مره أخرى وقد زال ذلك بعض رهبتهم وخوفهم منذ صباح اليوم. كانت عيونهم تتجه من آن إلى آخر نحو معصم جاجان الذي لفة عمه برباط من الشاش الطبي حتى لا يفزع الفتى لتك الحروف المضئية. أيضا أمر الخدم بإعداد مائدة الطعام فجميعهم لم يتناولوا شيئاً منذ طعام الفطور....

وجلس أفراد الأسره وصديقهم حول المائدة فلم يكن حديثهم سوى الأحداث التي مرت بهم والأحلام المزعجة التي تعرضوا لها ليلة أمس، ومازلت علامات الرهبة والخوف على وجوههم.

أما جاجان فقد راح في غفوات قليلة متقطعة طوال اليوم. وفي كل عفوة كان يرى شيئاً أشبه بالحلم ... فمنذ قليل قد قص عليهم ما رأي في ليله أمس من حلم الحجرة الممنوعة وما حدث له فيها ... والأن يقص ما رأى عندما اغشى عليه منذ قليل. ولكن لم يستطع أن يقول شيئاً من شدة هلهه ألا بعد دقائق...

أستمع الدكتور عوني وصديقه لحديث الفتى باهتمام شديد وما يليقه من كل كلمة. حتى عمه طلب منه عدم الحديث إلا بعد إحضار قلم ودفتر تدوين ملاحظاته الخاصة. وفتح دفتره بسرعة واخذ يدون حديث الفتى ... كان يمكنه أن يقوم بتسجيل الحديث بدلا من ذلك إن كان الأمر يريد تحليله أو ما شابه ذلك. ولكنة يعلم جيداً كما يعلم صديقة ميلاد أيضا، أن الحديث سيتلف وسيتم محوه من جهاز التسجيل. ويعلم من سيقوم بأتلافه. كان يعلم كل شيء، فقد كان ذلك سره الذي حاول الحفاظ عليه منذ سنوات.

اقتربت الخادمة من الدكتور عوني تسالة أن كان أحد أفراد الأسرة به إصابة لترسل زوجها للصيدلية لشراء أدوية او شيء آخر. فنفى ذلك ليقوم بسؤالها. لماذا؟ ... فتجيب عليه قائلة. أن كثيراً من حجرات المنزل بها بقع من الدماء. فهل حدث شيء؟؟

التفت عيناه بعين الدكتور ميلاد وقد فهما فوراً ما حدث، وان بقع الدم ماهي إلا بصمته-بصمة ذلك الهارب من سجون الماضي السحيق. - ونظر مرة أخرى لها قائلاً: يبدو أنها ألوان الرسم التي تستعملها سارة أو ألعاب يوسف. اتركها الآن.

ثم التفت إلى ابن أخيه قائلاً بعد العشاء: احكى لنا ما رأيت في غفوتك أما الآن فتناول طعامك فأنك لم تأكل منذ الصباح وكذلك باقي الأسرة، واخذ ينعطف بالحديث عن الذكريات منذ طفولتهما حتى يغير إحساس الخوف الذي أطبق على المكان، وأن كان أكثرهم هلعاً وخوفاً فهو يعلم ما لا يعلمون ...

التفت الأسرة حول جاجان، فكان هناك من يحتسى القهوة وهناك محدقا في الفتى، ليسمع منه رؤياه الأخيرة، وان كانت غفوة لم تتعد دقائق قليلة...

فقال: كنت أغوص في هاله من النور العميق الأبيض كيباض الثلج، وبداخل الضوء المبهر أتأني صوت. لقد سمعت ذلك الصوت من قبل، وقال لي كما سمعته سابقاً نفس الكلمات... وكان ذلك بالحجرة الممنوعة ...

فاذا بالصوت يقول: اخذ الصوت يردد في قوه

هنا الطريق إلى مدينة الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

ولكنه قال أيضا لا تقترب أيها الأمير.... لا تقترب أيها الأمير ... لا تقترب أيها الأمير المخلص. لا تستمع اليه احترس أيها الأمير
..... احترس أيها الأمير

وإذ ا بطيف هائل يخرج من البياض المشع نورا. طيف قد يكون لرجلا أو ما شابه الرجل ذو هيئة عظيمة يحمل صولجان كبير ذهبي اللون حفرت عليه نقوش وطلاسم بلون البرونز في نهاية الصولجان تمثال صغير يرتدى تاجاً من الأحجار الكريمة يضوى بريقها كأنه الماس. يشير ذلك التمثال الصغير أعلى الصولجان إلى شيء لا اعرف ما هو، أما الرجل فقد كان فارح الطول مهاب الشكل والهيئة شعره طويل أشيب يتطاير على كتفيه تنتشر به خصلات ذهبية اللون، يرتدى ملابس فاخرة وان كانت ذات طراز عجيب مثل أزياء الأساطير. كان يبدو ذو سلطة وسطوة في مجتمعه. وأيضا من خلال الضوء يظهر شابا لا يقل هبة عن ذلك الرجل بل يبدو أكثر سطوة منه. وما أن رآه ذلك الشبح الأشيب حتى انحى له إجلالا واحتراماً ثم عاد منتصبا ينظر إلى الشاب في خضوع. بدا ذلك الشاب فارح الطول كأنه اتى من عالم العمالقة. يحمل بيده سيفا عظيما يرتدى ملابس كملابس قاده الجيوش، كان أيضا يرتدى تاجا كتبت عليه نفس الطلاسم المكتوبة على الصولجان الذي يحمله الرجل الأشيب بيده ...

نظر لي الشاب المحارب نظرة متفحصة ثم نظر للرجل الأشيب وقال:
هل هذا هو الأمير؟

فأجاب المهيب الأشيب قائلا: نعم هو يا مولاي.

فقال: هل ألقيت عليه أوامرنا؟ فقال له الأشيب نعم يا مولاي. نظر لي الشاب مره أخرى وقال: لا تستجيب أبداً مهما حاول ولا تخف منة فجنودنا حولك.

ولكن، لا تتبع الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي.

ثم اختفت هاله النور واختفى من بها ... فلم أعلم من يكونوا ولا إلى أي أمير يتحدثون

واخذ يتحسس رأسه مرة أخرى من الألم، وإن كان يعلم عمه سر ذلك الألم فقد كان أثر سقوطه على الأرض ليله أمس عندما انطلق ذلك الشبح بحجرته ...

ثم أطبق الصمت على الجميع وقالت فريدة محدثة أخيها: ما هذا يا عوني؟

ايكون بالمكان شيئاً ما "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ ... ماذا يحدث؟! احضر لنا شيخ في الصباح يقرأ في البيت قران. فلم نتعرض لمثل هذا الموقف من قبل ... ثم استأذنت من الدكتور ميلاد وأخيها لكي تذهب بيوسف إلى النوم فقد تأخر الوقت، وذهبت معها ساره ورضوى لحجرتها، وبقي وصديقه وابن أخيه الذي طلب منه إلا يخلع غطاء معصمه أبدأ عن تلك الحروف المضئنة حتى الصباح. كما يمكنه النوم في حجرته أن أراد فمزال. هناك عمل كثير سيقوم والدكتور ميلاد به قد يستغرق جزء كبيراً من ساعات الليل.

دقت الساعة الثانية عشر فطلب عوني من صديقه أن يستريح هو الآخر من عناء السفر وغدا يقومون بالعمل معا. فرفض ذلك معللاً بأنه نام أثناء السفر وقت كافي ليكون معه مستيقظاً في تلك الليلة. لربط الأحداث ومعرفة كيفية الخلاص من تلك الكارثة. واستجاب له صديقه وشكره على ذلك فطلب من الخادمة كوبين من القهوة ثم صرفها كي تنام هي الأخرى ليبيقي فقط وصديقه مستيقظان في ذلك البيت،

انتشرت الأوراق والمخطوطات أمامهما على الطاولة التي تتوسط غرفه المكتبة فكانوا يدونون كثيراً الملاحظات. حتى أستوقفهما عن العمل دقائق الساعة الواحدة صباحاً أوقت المعتاد لبداية الأحداث منذ ليلتين. ثم أخذت تدق بعد ذلك دقائق بطيئة على غير عاداتها، فكان صوتها مختلفاً هذه الليلة. أما جدران الغرفة فقد أتى منها صوت قرقرة عالية كصوت صخر يتكسر حتى أضواء الغرفة باتت ترتعش هي الأخرى، ثم أخذت الساعة المعلقة على الحائط في الاهتزاز ... كان كل شيء في المكان يوحي أنه قادم. ذلك الشيء الخارق للطبيعة - كلا ليس بعد - فقد علم أننا نعرف، ومازال يحاول. إذا سيكون جائعاً - جائعاً وشراً لمطلبه - وهذه الليلة تختلف معه عن الليلتين الماضيتين -زادت طقطقه الجدران وأطبق الصمت على الصديقين في انتظار المجهول ... فاخذ أحدهما دفتر صغير من الورق وقلم لتدوين كل شيء ...

ثم أخذت الثريا المعلقة بالسقف تتمايل في شدة، والأبواب أصبحت تصدر أزيزاً شنيع كمن يحاول فتحها ببطء حتى اللوحة المقلدة للوحة الموناليزا الشهيرة ذات الابتسامة الساحرة تحولت ابتسامتها إلى ابتسامة شريرة ونظرات حادة غاضبة.

انتهت السجارة المشتعلة بيد الدكتور ميلاد فسقط رمادها على الأرض دون أن يشعر بذلك حتى احترقت أصابعه، فترك ما تبقى منها في طفافية السجائر على المنضدة دون أن تتحرك عينه بعيداً عما يحدث حوله ...

ثم بدا الضوء يتغير. وأصبح ساطعاً مثل بياض الثلج ثم أصبح احمر يميل إلى البرتقالي بعض الشيء ثم عاد الضوء الأبيض أكثر مرة أخرى ثم غاصت الأرض فأخذت معها الضوء الأبيض والأحمر معاً، فسكن الصوت وسكنت الأحداث ... وفجأة انشقت الأرض تحت قدميهما ليعود الضوء ان مرة أخرى وتعود معهما الأصوات من جديد، ثم سكنت الحجرة

قليلا ثم عادت الأصوات مره أخرى ولكن بالطابق العلوي. فاسرع العالمان نحو للدرج المؤدى للطابق العلوى، و برغم الرعب الهائل مازال يدون الأحداث حتى لا تضيع منه كما ضاعت من جاجان ... وانطلقا الاثنين خلف الأصوات التي ارتفعت بجوار حجره جاجان، وكأن الضوء ان يلتحمان ويمتزجان معا ثم انفصلا وقد حاول الضوء الأحمر أن ينزلق من أسفل باب حجره جاجان ليدخلها، والضوء الأبيض يحاول أن يمنعه ويعمل حاجزا بينه وبين الباب ثم حاول الضوء الأحمر أن يعبر خلال الجدار إلا أن الضوء الأبيض قد قاومه وبشدة مرة أخرى ، فكانت معركة شرسة بين ضوئين يعلوها كثيرا من الضجيج وكثيرا من الغضب ...

وبرغم تلك المعركة إلا أنها لم تترامى ألي سمع باقي أفراد الأسرة. فحمد الله كثيرا فكم عانوا جميعا منذ ليلة أمس

اخذ الدكتور ميلاد الدفتر من الدكتور عزمي، ليكمل باقي الملاحظات لذلك الضوئان وأحداث المعركة الشرسة بينهما. وعند فشل الضوء الأحمر الدخول لغرفة جاجان تحول لذلك الرجل صاحب الوجه البغيض ذو الشعر الأسود الذي تتخلله شعيرات حمراء تقطر دماء ... فمن يكون ذلك المخلوق؟ وماذا يريد من جاجان؟

أما صاحب الضوء الأبيض فقد تحول هو الآخر إلى عجوزا أشيب مهيبا كما كانت تتخلل شعره خصلات ذهبية اللون يقاوم ذلك المخلوق بالصولجان الذي بين يديه، وكلا منهما يمتلك قوة خارقه جسدية وأيضا سحرية ... فمن تلك المخلوقات؟ ومن أي زمان جاءت؟؟ ... وماذا تريد من أصحاب البيت؟ ومن هو ذلك الأمير المخلص الذي ينادى به جاجان؟؟

حتى كاد الفجر يوشك أن يمد خيوط نوره ليبدد ظلام الليل ويبدد معها
ظلام ذلك البيت

فعاادت الأشياء إلى طبيعتها وهدء كل شيء وألقى العالمان بجسدهما
على أقرب كرسي يلتقطان أنفاسهما المقطوعة ... مما حدث تلك الليلة
... ومشاهدة ذلك الصراع الغريب...

بدأ اليوم أكثر هدوء من اليوم السابق فقد نام أفراد العائلة في هدوء
واستقرار. ولم يشعر أيا منهم بذلك الصراع الشرس الذي شاهده
العالمان تلك الليلة، فقد كانت أسوء ما يكون وأكثر رعبا مما شاهدوه
من قبل أثناء عملهم في البحث والتنقيب عن الآثار في كل دول العالم.
وانتصف النهار ومازال العالمان كلا منهما مستغرق في نوم عميق
بداخل حجرته حتى علت مكبرات المساجد لتعلن عن أذان الظهر
... الذي ملأ سمع الدكتور عوني فأخذ يتقلب في فراشه ثم قام ليغتسل
ويغير ملابسه. ومازال متكاسلا كمن لم يذق طعم النوم منذ سنوات،
فتعالى إلى سمعه صوت صديقه بالأسفل يتجاذب أطراف الحديث مع
الأسرة وارتفعت الضحكات الخفيفة. فعلم أنهم لم تصل لأسماعهم
الأحداث الجارية ليلة أمس لذلك الصراع الرهيب، فحمد الله مره أخرى.
وكانت الخادمة قد أعدت المائدة لإفطار للعالمان، فاخذ يتجاذبان
أطراف الحديث وحدهما أثناء الطعام بعيدا عن سمع وعيون العائلة
الجالسة هناك دون أن يشعر بهمسهما أحد، فقد أشفق عليهما مما
شاهداه ذلك اليومين.

المعرفة قد تقود الإنسان إلى طرق لم يكن يتخيلها في يوم من الأيام
فأما تقودك إلى البناء وأما تقودك إلى الدمار

ولكن هناك قاعده لكل شيء حتى وان كان العلم

فتعلم أولاً عما تبحث؟ ولماذا تبحث عنه؟ فهل تبحث للعلم؟ أم مجرد فضول؟ واحترس ثم احترس أن يقودك فضولك فقط فقد يكون في ذلك دمارك؟

فان أردت الغوص في بحار المعرفة فعليك أولاً أن تتعلم وممن تتعلم فما كان الجهل يوماً حماية لأحد وما كان الفضول علماً لأحد -

اجتمع العالمان بداخل حجرة المكتبة تمتد أمامهما عشرات الوثائق كما انتشرت على الكراسي بعض الكتب وكثير من الأوراق والمخطوطات التي راح يحضرها الدكتور عوني من إحدى دواليب الغرفة بعناية شديدة يساعده في ذلك صديقه

ثم جلس وبدأ بفتح بعض الكتب على صفحات تم وضع بعض العلامات عليها بقلم اصفر فسفوري تغطي الأسطر بلون شفاف دون أن يطمس الكلمات. ثم وضع الكتاب وقال: لصديقه في نبرة صوت يعلوها الأسى ويعلوها الندم. هل أخطأت عندما أخفيت ذلك السر عن الأسرة يا ميلاد؟ أم كان يجب أن يعلموا بذلك منذ زمن طويل؟ لكي يستعدوا له بالعلم بدلاً من المعاناة التي أنا بها منذ سنوات ... أكان من واجبي أن يعلم جاجان ثم أسلحه بالمعرفة والعلم لمواجهة ذلك؟ لقد أخطأت وأنا في اشد ندمي الآن ...

ويجيئه ميلاد ويشعر بما يشعر به صديقه نعم يا عزمي، كثير ما نخطئ ونحن نحمي أبنائنا أو ذلك ما يخيل لنا في إخفاء سرا ما، وأبعادهم عن معرفه شيء ما، وعدم إجابته أسئلتهم سواء من باب الجهل منا في معرفة الإجابة عليهم، أو خوفنا من تكون عيباً كما تعلمنا، ولكن لا يوجد ممنوع في العلم ... والأهم ممن ستأخذ العلم. كثيرا ما كنا

نخاف الغوص في بحور العلم والمعرفة، وألان أصبح العلم في يد الجميع، وما كنا نخشاه على أبنائنا أصبح بكبسه زر يظهر أمامك أينما كنت من خلال شاشه سواء لموبايل أو جهاز كمبيوتر. فقد أصبح العالم كله يقيم معك في حجرتك الصغيرة، وهذا أخطر ما في الأمر، ألان بت تملك العلم ولكنك لا تعلم جيداً من يقدمه لك؟ أو من بجوارك على شاشتك؟ فليك أن تعرفه. وبدون علم لن تعرف من يكون؟ أو مع من تتحدث؟ أو من تتلقى منه المعلومات أمتاحة بدون مقابل، وهل صديق أم عدو؟ طيب أم شرير - لن تعلم ذلك إلا من خلال المعرفة والعلم الصحيح من مصدره.

فقال عزمي: ولذلك نخشى على أولادنا الغوص في بحور المعرفة. معتقدين بذلك أننا نحميهم وأن ذلك هو الطريق الصحيح!

ولم نربى جيل لغير أيا منا. حتى وان حاول منهم الغوص غرق في بعض الأحيان في حبال الشر أو حبال الجهل. فأصبحنا نعاني، فاذا كنت كشفت ذلك السر إلى أسرتي وتعلمنا في تلك السنوات كيف نقاوم ذلك الشر إذا ما جاء، لكنك أقوى بهم، ولكن الآن وحدي أحاول حماية الجميع، فهل سأصمد؟ هل أتمكن وحدي من المقاومة؟ فلم أكن اعلم إنها ستكون بذلك الحجم!!؟

اعنى يا صديقي...سكت ميلاد لحظات ثم قال لصديقه. هناك اقتراح آخر ولا اعرف أن كنت ستوافق عليه أم لا ... فقال: ما هو؟ فقال ميلاد: أن تعلن للعائلة عن السر. يجب أن يتحمل الجميع ما يمر به المنزل الآن. يجب أن يشارك الكل المسؤولية وان كان بعضهم لن يتحمل ذلك وبعضهم سيعاني ولكن أيضا سيكون هناك من سيساندك ويعينك.

ولكن المعرفة تحتاج إلى العلم، وهم لم يتعلموا كيفية مقاومة ذلك الشيء_ ذلك الهارب من زمن سحيق ولا يمتلكون مهارته ولا قوته- فكيف لهم أن يتعاملون معه؟ وكيف يدافعون عن أنفسهم؟

أخشى على أسرتي يا ميلاد. أخشى على جاجان أكبر شباب الأسرة وعماد أبيه ... ماذا افعل؟

- يجب يا عوني أن يعلم الجميع بالسر. فان حدث شيء لي أو لك أو حدث شيء لكلانا تكون قد أعلمت الجميع، وقد تركت لهم أبحاثك ستكون مرجعا لهم، وبذلك لن يضيع أحد. سيقاوم من بقي أو سيقاوم الجميع إلى أن تتقشع تلك الغمه.

شرد قليلا مفكرا في كلام صديقه وسأل نفسه حقا لو حدث لنا شيء يكون قد ترك الجميع على علم ليستطيعوا المقاومة؟؟ مقاومه ذلك الهارب من الزمن السحيق.

نعم لا بد أن ينكشف السر لا بد أن تعلم الأسره ما أن نطق تلك الجملة حتى انصفت أبواب الغرف والشبابيك من تلقاء نفسها في وقت واحد وفي عنف شديد، ثم انقطع الضوء عن المكان ليغمر المكان نورا احمر ثم يذهب وتعود إضاءة البيت كما كانت.

الفصل الخامس

فتح الدكتور عزمي نافذة حجرته فرأى الأشجار والزهور المنتشرة بالحديقة قد اكتست بخيوط الشمس الذهبية فزادتها بهاء وجمالاً، كما انطلقت الطيور من أعشائها منشدة خلفها تلك السمفونية الصباحية البديعة من تغريد والذي كانت سبب من أسباب سعادته كل صباح، ولكن مع الأحداث الجارية منذ حضور أسرته هنا ككل عام لقضاء بعض اجازتهم السنوية....

هذا العام فقد كل شيء رونقه لم يعد يرى الأشياء على حقيقتها أو بساطتها. ولم يعد لديه وقت للتمتع بالجمال... ثم انتبه إلى أن أشعة الشمس تشتد سطوعاً، فأسرع في ارتداء ملابسه وهو في غاية الإرهاق. فلم ينم سوى وقت قصير بعد الفجر وكذلك صديقه. الذي اتفق معه على الاجتماع بالأسرة لا فشاء السر، وانطلق إلى حيث مجلس أسرته حول المائدة الصغيرة بجوار حمام السباحة فقد ظل الجميع بداخل البيت يومين كاملين لم يستطع أي منهما التحرك للخارج بسبب ما يدور حولهما من أحداث جهل جميعاً عن تفسيرها إلا فريدة التي كانت على يقين بأن المنزل به شيء من السحر أو الجن ولا بد من إحضار شيخ لقراءة القرآن.

فقد كانت اشد الجميع رعباً على أبنائها وأبناء أخيها وأخيها الذي مازالت تحته للذهاب معها للقاهرة والإقامة معها هناك أو الإقامة في شقة الأسرة القديمة. فمازالت كما هي بكامل أثاثها ولن يحتاج ألي شيء آخر وتوجهت بالحديث لصديق الأسرة دكتور ميلاد كي يساعدها على إقناعه... فأخذ ينظر لصديقه نظرات هم فقط يعلموا ما بها... ثم هدأ عوني من روع أخته واخذ يربت على يديها قائلاً: أن شاء الله. كل شيء سيكون بخير، ثم ابتسم

وقال محدثا ابن أخيه ... أتريد أن تعرف يا جاجان معنى اسمك ... فكثيرا قد سألتني عن معنى هذا الاسم ولماذا اخترته لك ... فانتبه الجميع وتشبثت العيون بما سيقول فكثيرا ما كان يريدون معرفة معنى اسم جاجان، ولماذا اختار عمه هذا الاسم الغريب. ابتسمت فريده وقالت لأخيها نعم وبسرعة أخيرا ستحكي لنا سبب اختيارك لهذا الاسم الغريب؟! ثم نظر اليه الفتى متفاخرا بنفسه ومازحا فقال: وهل كنت سأنتظر أكثر يا عمي لقد بحثت في الأنترنت وعرفت معنى الاسم. وأضاف لا يوجد سر هذه الأيام أي معلومة تستطيع أن تجدها في دقيقهابتسم ميلاد وقال: وماذا وجدت ما هو معنى جاجان؟ ...

اعتدل ألفتى قليلا في جلسته ومازال يملأه الفخر تشاركه في ذلك ساره ورضوى. انهم يمثلون جيل المستحيل فقال: وجدت للاسم أكثر من معنى أحدهما يقول البعيد عن الأرض القريب من السماء، والأخر يقول هو اسم هندي ومعنى آخر يقول: هي اسم نبات ينبت في سفح الجبل. نظر إليه عمه وسأله - واي الآراء أخذت؟ تلثم الفتى وأخذته الحيرة وأيضا فريق مشجعيه من الشباب رضوى وساره فنظر بعضهم لبعض - فأعاد عليه السؤال مره أخرى فأجاب: لا أعلم. كنت أريد معرفة معنى الاسم فقط ولم أهتم اي معلومة هي الصحيحة. فقال ميلاد: يا بني المعرفة لا بد لها من دليل، ومن أين تتلقى معلوماتك ...

لقد بحثت فهل عرفت أي الإجابة هي الصحيحة؟ لقد أصبح فضاء عالم الأنترنت مثل المولات التجارية كلا ينشر بضاعته وقليل من المشترين من يبحث عن مصدر هذه البضاعة فتراه يقلب فيها ليعرف من أين منشأها وهل هي جيدة كما تبدو من طريقة عرضها البراق، أم أنها بضاعة زائفة لا تستحق الشراء

وان كان الجميع يحب المشاهدة. وهناك من ينخدع بطريقة العرض ويقوم بالشراء ثم تكون الكارثة.

انطلق الجميع في عالم الأنترنت كلا يدلى بما يعرف أو لا يعرف فأصبح الجميع فقهاء، وعلماء، وأطباء، وأنت لا تعرف مع من تتعامل ومن يكون مصدر المعلومة ولا تعلم أهي صحيحة أم لا ... وينطبق ذلك حتى على وصفات الطعام؛ يأبني كل مباح مستباح فاذا كان هناك شيء بدون ثمن فاعلم أنك الثمن ...

لذلك احترس إذا قدم اليك شيء مجاني وخصوصا العلم فهناك من يضع السم في العسل فليس كل عالمك أصدقاء! ولن تعرف ببسر مع من تتعامل كما قلت سابقاً، فداخل المعلومات الصحيحة التي يعرفها الجميع يتم وضع السم. سيكون معلومة وسط هذه المعلومات التي تعرف أنها صحيحة فلن ترتاب أن هناك خطأ، وهنا قد تدمر هذه المعلومة الخطأ والمقصودة حياتك، وقد تغير أفكارك، وانتمائك، وقد تصبح شخص غريب حتى على نفسك. وهذا ما يريده صاحب تلك المعلومة.

هناك الكثير من المعلومات المضللة عن عمد أو عن جهل لكثير من المعلومات التي تطرح يوميا على ملايين المواقع والصفحات الشخصية. فقد يكون صاحب محل عطارة ويقوم بكتابة وصفات طبية. فيقول البعض أنها أعشاب ولن تضر ولن تهتم بالأمر كثيرا، ولكن الطبيب او المثقف سيعرف أنها حقاً أعشاب، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها، وأقل أضرارها عدم التخزين الجيد حيث لا يوجد تواريخ صلاحية للأعشاب أو متابعه هيئات غذائية إلا في نطاق معين. فمثلا ماذا يحدث لو أصاب تلك الأعشاب السوس؟ والذي يؤدي تناول الأشياء المصاب به إلى أمراض خطيره جدا ... أيضا بعضها يؤثر على المعدة

الحساسة، وأيضا تناولها مع بعض الأدوية قد يحدث تفاعلات ... وهذا أبسط الأمثلة ...

وهناك الأخطر من ذلك ... عرفت أن كل شيء مباح مستباح ... وسيكون المستباح للغير نشر الفكر الذى يؤثر فيه على الآخرين كما يشاء بجرعات صغيرة، ثم تحدث الكارثة. ونظر عوني إلى وجوه الشباب الذي أصابتهم الحيرة فقال: وان كان الكلام فيه الكثير والكثير من الحقيقة ولكن أيضا هناك أماكن وصفحات مؤثره وموثقة معروفة، ابحث فيها فان لم تجد ما تريد ... هناك بريد إلكتروني لكثير من المؤسسات والعلماء أو الكتاب أو الجامعات هناك الكثير من الأماكن التي يجب أن تكون مصدر بحثك أولا.

ثم أبتسم وقال أتريد الآن أن تعرف معنى اسمك؟ أم بحثت وعرفت ابتسم قليلا وقد تراجع عن غروره. فقال في تواضع نعم: أريد أن اعرف المعنى الصحيح. فقال له: معنى جاجان البعيد عن الأرض. ولا تجعل الجهل يقودك ولا تركب جواد فضولك إلا وأنت ممسك جيدا باللجام واللجام هنا هو "العلم" ... ثم استطرد سريعا قبل أن يبادره أحدهما بسؤال آخر فقال:

هل تؤمنون بالأساطير؟ ... هنا ضحكت فريدة وقالت لميلاد: يبدو أن صديقك سيحكى لنا عن غرمياته السابقة ضحك الجميع وابتسم أخيها فأكملت موجهة حديثها لأبنائها وأبناء أخيها، كان عشقه الأول والأخير عمله ولم نعلم أي شيء عما يقوم به سوى من الجرائد والمجلات، فهو من أشهر العلماء بالعالم وعمك ميلاد أيضا فكثيرا ما كان يطلب بالاسم من دول أخرى لعمل أبحاث. فعلم الأثار كما تعلمون هو "علم يختص بدراسة البقايا المادية التي خلفها الإنسان ودراسة مخلفات الحضارة الإنسانية الماضية لحياة الشعوب القديمة. وتشمل تلك المخلفات أشياء مثل: المباني والعمائر، والقطع الفنية،

والأدوات والفخار والعظام .وقد تكون بعض الاكتشافات مثيرة. إن البحث الأثري هو السبيل الوحيد لكشف حياة المجتمعات التي وُجِدت قبل اختراع الكتابة منذ خمسة آلاف عام تقريبًا. كما أن البحث الأثري نفسه يشكّل رافدًا مهمًا في إغناء معلوماتنا عن المجتمعات القديمة التي تركت سجلات مكتوبة "

وهنا أطلق العالمان ضحكه مدويه أعادت على المكان الموحش بعض البهجة، قبل ألقاء ذلك السر الخطير. التقط منها الدكتور ميلاد الحوار وأكمل حديث صديقه فقال: ولكن الأثار تختلف عن الأساطير، فالآثار جزء من حياة شخص موجود ثم قام بتوثيق حياته كقدماء المصريين والفرعنة وغيرهم في كل بلاد الدنيا أما الأسطورة، فهي شيء آخر قصص وحكايات متداولة منذ القدم ويتم توارثها بين الأجيال وقد تكون حقيقة وقد لا تكون كذلك ...

وقد شغلت الأسطورة المفكرين من نواحي عدة فهي بوصفها نمطا قصصيا شغلتهم بما تحكيه وبالسؤال عن يحيكها، ولمن؟ ولماذا؟ وهي بوصفها صور وخيالات شغلتهم بالسؤال عن مغزى هذه الصور والخيالات، ومدى علاقتها بالواقع الحسي ، ثم هي بكونها جزء لا يتجزأ من النشاط الفكري والروحي للإنسان القديم بدليل انه حرص على نقشها على آثاره الدينية ،كما شغلتهم بالسؤال عن مدى ارتباطها بالحضارات التي عاشت فيها ،وفيما إذا كان الارتباط محدودا بزمان ما، أو مكان ما ؛ أم إن الأسطورة تكشف في جوهرها بصرف النظر عن تباين أشكالها ، عن بناء الفكر البشري في أي زمان ومكان ونستمد معرفتنا بالأسطورة من الأعمال الأدبية الكبيرة مثل الملاحم، والشعر الغنائي، والمسرحيات، والقصص الرومانسية، ومن النصوص النثرية الأخرى. والكثير من البحوث والكتب والمقالات التي حاولت تفسيره وشمول أركانه، فكثير من الباحثين يُعرفونه على أنه مجموعة من

التراكمات الثقافية التي تعود إلى الكثير من القبائل والشعوب التي عاشت ولا تزال تعيش حتى اليوم، وقد يكون لها أيضا بعد فلسفي وحكمة ونصيحة مستمدة منها. قد تحتوي على علم حقيقي في ثناياها. وهناك عدد كبير من الأساطير تتحدث عن الظواهر الطبيعية العظيمة التي تحدث على سطح الأرض. وان كثيرا من الشخصيات التي كانت تدور حولها الأساطير هي شخصيات تاريخية واقعية من ملوك أو حكام أو أشخاص من الشعب كان لهم دور في الحركة المجتمعية والحضارية لذلك الزمان، وكذلك المدن التي دارت في فضاءها الأساطير، فقد أثبتت البحوث الأثرية وجودها وقيام حضارات كبيرة فيها. مثال أسطورة عروس البحر كنا إلى قريب نعتقد أنها خيال إلا أن وجدت بالقرب من الشواطئ الأمريكية والتي تناول الناس مقاطع فيديو لها ... وتظل الأسطورة أسطورة إلى أن يتم الكشف عنها

وأكمل الدكتور عوني حديث صديقه ليقول نعم هناك الكثير والكثير من علوم التاريخ لم يكتشفها الأنسان بعد وكثيرا ما وجدنا من الغرائب والعجائب أثناء عملنا على مدار خمسون عاما في كل بلاد العالم التي كثيرا ما أرسلت ألينا دعوات للاشتراك في بعض الأبحاث. فالحضارات هي الإرث الباقي وبصمة الماضي للبشرية ثم صمت قليلا واخذ يرتشف كوبا من الماء كان أمامه ونظر إلى صديقه. كان يريد أن يلقي بما هو أت ... فكانت الكلمات تتعثر في فمه ولا تستطع أن تخرج فيعيد الكلام مره أخرى ناظرا إلى صديقه الذي بدا عليه التوتر هو الآخر وراح ينظر لأفراد الأسرة خشيه رد فعلهم، ثم أكمل قائلا ومتوجها بالحديث لابن أخيه. لذلك تقول الأسطورة انه يبحث عنك منذ قرون مضت وحتى أخفيك عنه كان يجب أن أطلق عليك اسم جاجان .ففي الاسم سر البعد عن الأرض فهو أيضا لا يستطيع أن يقترب من السماء لن يستطيع العثور عليك إلا اذا أنت أولاً: من قمت بالبحث عنه .وقد فعلت ذلك

وقمت بفتح السر حين فتحت الحجرة الممنوعة انتهكت حاجز الستر بينك وبينه وقد كان يريدك بشدة ، فانت خلاصة وأنت أميره المخلص وحتى لا يفقدك مرة أخرى قد طوى وثيقه العفو الملكي حول معصمك لقد وجدك ولن يترك أيها الأميرصرخ أفراد الأسرة من هول الكلمات التي القيت على أسماعهم، وكان جاجان أكثرهم رعبا، فأخذ يسأل كما ألقى الجميع بكثير من الأسئلة عما قاله ، فهم لا يفهمون وان مر كثيراً من الأحداث بهم فتساءل بعضهم هل الأحداث الجارية التي حدثت لنا حقيقه وليست كوابيس؟؟ هل ما حدث لجاجان أمامنا حقا وما القصة بالتفصيل؟ لقد أدخلتنا في علم مرعب أكثر من الكوابيس التي مرت بنا فصمت بعض الوقت والجميع في انتظار تفاصيل القصة قصه المخطوطة -وكيف تم العثور عليها؟ ومن هم أبطالها؟ وتعالى الأصوات الخائفة مرة أخرى بالأسئلة فامتزجت كلمات الجميع دون فهم لما يقولون، وهنا رفع الدكتور عوني يديه لأعلى وقال: صبرا سأحكي لكم كل شيء بالتفصيل سأحكي لكم عن السر

كان ذلك منذ سنوات عديدة أكثر من خمسة وثلاثون عاما حيث كنا في إحدى البعثات الاستكشافية بأحد صحاري قارة أفريقيا كنا هناك مع عديد من علماء الآثار، كان المكان من قبل مثل أي صحراء بالعالم منعزلة عن البشر ثم شيء فشيء تم تمهيد بعض الطرق، فتم شق طريق سريع كما تفعل الحضارة في كثير من البلاد كانت تلك الصحراء بها بعض الجبال الغربية التي لا يكاد مسافر على الطريق إلا ونظرا إليها كثيراً. فقد كان هناك جبل يميل إلى الاحمرار المنشب باللون البرتقالي وقد اكتست قمة الجبل باللون الأحمر فكان مثل قطرات الدماء الكثيرة التي تتخللها بعض النقاط البسيطة من اللون الذهبي أما سفح الجبل فكان مثل الثلوج البيضاء.

وهنا يتحير المسافر على الطريق، ويسأل أكان في ذلك المكان من قبل إثر لبراكين وهذا أثرا للحمم البركانية؟ وما هذا اللون الأبيض؟ وهل يوجد ثلوج بالصحراء أم ما؟ أيضا لم يكن الجبل مثل باقي الجبال بل كانت هناك كثير من الثقوب السوداء، الذي أخذت تنتشر بالجبل بكل مكان، ولم يكن لون سواد تلك الثقوب مثل سواد أي شيء بل كانت ذات شكل غريب مخيف حيث ارتسمت علامات وأشكال داخل السواد. فاتخذت شكل الظلال المخيف كانت تبدو مثل الجماجم أو كائنات محترقة من عوالم غريبة ذات شكل بشع وروح متعطشة للموت والفناء حتى أن كثيرا منها وجد منتشر على رمال الصحراء الملتهبة حول ذلك الجبل الغريب، وكانت هناك أيضا بعض الثقوب قريبة من العلامات السوداء ولكن تم ملئها بالطمي الذي جف أما الأكثر رعباً فهو ذلك الكهف الممتد بسفح الجبل. كثيرا ما رأينا العجائب أثناء بحوثنا الاستكشافية ... ولكن لم نشعر بما شعرنا به جميعا في تلك الرحلة الغريبة التي أثارت في نفوسنا شيء من الغموض والرعب، ولم يعلم أي منا ما نحن مقبلين عليه في تلك المحنة، ومن هنا ستكون البداية، لم تكن تلك المهمة عادية مثل الرحلات الاستكشافية السابقة، ولكن كان بها شيء غامض لم نعلم ما هو؟ ولكن انتظرنا لنعرف وماذا يكون؟ ومنذ ذلك الوقت والناس هناك يخافون الاقتراب من تجويف ذلك الجبل بتلك المنطقة؛ إذ يعتقدون أن الجن تسكنه، ولأجل ذلك أطلقوا عليه "جبل الهلاك" فقد كانوا يرون أشياء تتحرك من بعيد داخل الكهف، وكانوا يتناقلون روايات عن تلك الأشباح، وهو ما كان يمنع من اكتشاف ذلك المكان.

لم تكن الصحراء بالخارج أو الظلال المختلفة الألوان على ذلك الجبل هي الشيء الغريب الذي صادفنا فقط هذا اليوم، ولكن كان هناك الأغرّب والأبشع من ذلك، داخل ذلك الكهف الغريب بالجبل الذي سمى " بجبل الهلاك" فقد كان صورة على هيئه مخلوق أبشع ما يكون فاذا ما اقترب أحدا من المكان تتحول الصورة وكأنها تنظر إليك ... ولم يعر أحد الأمر اهتماما لذلك الجبل او الكهف. إلا منذ ذلك اليوم حيث كانت رحلة لمسافرين أصاب أتوبيسهم الذي يستقلونه عطل مفاجئ بالقرب من ذلك المكان حيث جبل الهلاك بشكله المثير للانتباه، فنزل المسافرين للاستراحة قليلا حتى يتم إصلاح العطل، وفى اليوم التالي تم إيجاد الأتوبيس، ولكن قد اختفى جميع المسافرين. ولا أحد يعرف إلى الآن أين ذهبوا ولم يتم العثور على اى شيء يخصهم، وبعد أيام وجدت متعلقاتهم الشخصية متناثرة بالقرب من الجبل وتكررت حوادث الاختفاء في هذا المكان ... وذهبت كثيرا من الحملات الأمنية التي اختفت أيضا، فتم إغلاق المكان من قبل السلطات وأصبح تحت دراسة علماء الآثار والأمن القومي.

ومنذ ذلك الحين بدأ المستكشفون وعلماء الآثار يولون هذا المكان قدراً كبيراً من الاهتمام، للتعرف على المزيد من أسراره المكونة منذ عصور قديمة. ولكن كثيرا ما كان ينتهي الأمر بفاجعة من موت أحدهم أو اختفاء الجميع.

ولكن عندما يكون الجمال مرعبا تحترق فيما إذا كان الشكل جميلا أم مخيفا، وهذا ما يتمتع به ذلك الكهف حيث يتمتع بألوان مذهلة وأعمدة صخرية فريدة تمنحه شكل جذاب ومثير للربح في نفس الوقت. اقتربنا من ذلك الكهف المظلم الكبير والذي يبدو أن قوى الشر قد اجتمعت فيه كان السكون يخيم على المكان و بقايا الهياكل العظمية

المتناثرة على أرضه، التي تبين أنها عائدة لأفاعي ولزواحف أخرى، كان ذلك أول ما اكتشفنا داخل هذا الكهف المثير. واعتبرنا الكهف مستودع كنوز بعد ذلك ، فمن بين ما اكتشف داخله مجموعة من اللآلئ النادرة الغريبة الشكل ، التي تكونت في التجاويف المائية الجافة؛ بفعل التفاعلات الكيميائية الحاصلة من جراء تكثف ذرات كربونات الكالسيوم على حبيبات الرمل والحصى . واللافت في اللآلئ هو ضخامة حجمها، وشدة التصاقها بجدران الكهف وأرضياته وكأنها جزء من المكان، ويكاد يستحيل استخراجها من مكانها. فبقيت كما هي وقرارنا بعدم المساس بتلك اللآلئ، وبإبقائها في مكانها كشاهد أثري تاريخي جيولوجي حي. ومن الكنوز الأخرى التي اكتشفت في الكهف هي سقفه، إذ تظهر أشكال ورسومات غريبة الشكل ومرعبة لم نعلم كيف تم رسمها في هذا الارتفاع، أما مساحة أرضية الكهف نفسها فتراها مفروشة بالأتربة المترامية عبر العصور التي تبدو أشبه بالجزر اليابسة وسط لوحة من المجاري المائية التي لم نرى مصدرها أيضاً. كان يضم الكهف جزأين، أحدهما عبارة عن ممر طويل يؤدي بقايا شرفة مجصصه بالطيني يقال إنها شرفة ملكية وهي عبارة عن شرفة طبيعية بالكهف تم طمسها بقطع من الطمي مثل كثير من فتحات الجبل والكهف التي تعكس خيط رفيع جدا من الضوء بشكل جميل أما الجزء الثاني، فهو كان مثل غرف الاستقبال وقد كان بها أثر حياه للرسوم التي وجدت على جدرانها. حتى قطرات المياه المتساقطة من بعض فجوات الكهف كنا نسمعها كأنها فيضان أو شلال مياه ينطلق من أعلى لأسفل منحدرًا ولم نعلم من أين مصدرها؟ كان المكان ذو جمال مخيف كثيرا كنا نسير في أشياء لا نعرفها أشياء لوجه ذات رائحة عفنة، وكثير ما كنا نسير في الطمي، فكنا نتعجب أمن قطرات الماء القليلة جدا يتحول المكان لكل ذلك الطمي؟ ولكن مازلنا نستكشف المكان. كان المكان غريب حقا ولكن في

عملنا ذلك قد اعتدنا على الكثير من الغرائب والعجائب. كنا نمشي
وأفراد البعثة في صف واحد كلا لديه مهمة محددة موكلة اليه؛ لكي
نخرج بأكبر قدر من المعلومات، وكنت امشي في منتصف المجموعة
وخلفي ميلاد، مضت أكثر من ساعة دون أي شيء مثير للانتباه
.... ثم سمعنا جميعا دوى بالمكان جعلنا نرتجف توقعنا أن يكون
انهيار بالجبل وسيتم انهيار الكهف علينا. وساد الصمت والفرع بيننا
لحظة. ولكن لم نجد حتى ذرة من الأتربة توحى بما كنا نفكر فيه
فوصلنا التحرك من جديد مرة أخرى.... وكانت المفاجأة ... لي فقط
... لي أنا دون الجميع

شعرت بيد تمسك بعنقي من الخلف، وتجذبني كانت تتشبث
بي لتأخذني لطريق آخر غير الذي كنا نسير به، فهناك أكثر
من طريق بذلك الكهف اللعين -كنت أعتقد أن هناك شيء
ما، وقد جذبني ميلاد لذلك فحاولت أن أستدير لأعرف ماذا
هناك، فاذا بيد أخرى تطبق على فمي حتى لا أصرخ او
أتحرك. كان يجذبني بشدة لأستدير معه وقد نجح في ذلك،
فجعلني على طريق آخر من طرق الكهف، لأجد أفراد البعثة
يستديرون بدورهم ويتبعوني. ظناً منهم أنني وجدت شيئاً هام،
ولكن لم أستطع الإجابة عليهم. ثم قذفتي اليد على الطريق
واختفت.

علمت بعد ذلك أن تلك اليد لم تكن لميلاد أو أي أحد غيره من
أفراد البعثة. وواصلت السير وأنا مذهولاً بعض الشيء، وما زلنا
نمشي في برك من الطمي سواء الجاف أو الطمي المبلل -
وإذا بفتحة مستديرة تشع ضوء احمر يتخللها ضوء برتقالي
اقتربا ثم امتزجا معا. فوقنا تماماً فأخذنا نتساءل، من أين يأتي
ذلك الضوء الغريب؟ ثم تساءلنا مره أخرى هل ندخل دائرة

الضوء؟؟ وأخذنا نبحت كثيرا عن مصدره، ولكن نتيجة بحثنا
جميعا لا شيء، ولم نعرف من أين!!؟

لم يستمر ذلك كثير فاذا بصوت داخل أذني لم يسمعه أحد
غيري. قال الصوت: وكأنه قادم من أعماق التاريخ كنت
انتظرك أيها الغريب. أميرك سيحررني. الأمير من سيفك
لعنتي، لقد اقترب، فأخذت التفت حولي وقلت هل سمع أحدكم
شيء؟ فكانت إجابة الجميع بالنفي. فعلمت انه أنا فقط من
سمع الصوت، ثم حاولنا أن نبتعد عن دائرة الضوء ولكن كان
هناك من يحاول دفعنا للدخول فيها ...

تساءلنا ايكون ذلك المكان الذي احتفى فيه الجميع من قبل؟ ثم
قمنا بوضع علامات وكتبنا بعض الملاحظات ووضعناها في
أماكن متفرقة حتى إذا اختفينا كالسابقين يعلم الآخرين ماذا
وجدنا هنا وماذا حل بنا أيضاً.... وبعد ذلك تركنا الملاحظات
خلفنا وخطونا أول خطوات في دائرة الضوء. وفور دخول آخر
فرد بالبعثة إلى دائرة الضوء اختفت فجأة واختفى أثرها ونظرنا
لنجد المكان مثل باقي ممرات الكهف التي سرنا بها من قبل
... وقد رأى ذلك كل أفراد البعثة، وهالنا ما رأينا، ثم أخذنا
نمشي قليلا. وكانت بدايه المفاجآت لنا جميعاً.

كثيرا ما دخلنا الكهوف ولكن ذلك الكهف كان مريعا. وجاءت
اللحظة الذي انهار فيها الجميع.... وهنا بدأت القصة.
تصائبنا جميعا بعض الشيء. فقد كانت هناك الكثير من
النقوش والعلامات والطلاسم التي راحت تملأ المكان والجدران
كانت الطلاسم شيء مخيف كاد الرعب أن يصيبنا جميعا،
فقد كان المكان يبدو كأنه كهف ساحر من اتباع السحر
الأسود، كما كانت تلك اللغة التي رأيناها لم نستطيع فكها أو

قراءتها فكانت عبارة عن حروف وعلامات. غريبه. وإذا بالصوت يقول مرة أخرى فقط أنا من يسمعه دون الجميع. تذكر أنت من جئت إلى. كان المكان أشبه بغرفة قبور الأنسان القديم فهناك مكان كبير واسع خالياً إلا من صندوق صغير حوله كثيراً من الطمي الجاف وسط الغرفة التي كانت مجصصه بأكملها من الطمي، وهناك عشرات من النقوش والطلاسم والحروف يوجد من بين نقوشها نقوس مثل الحروف الهيروغليفية وان بدت كذلك! زادتنا تلك الأشياء دهشة كنا جميعاً على علم أن هناك قوم في بعض الأزمنة كانوا يتعاطون السحر، وقد يكون أيضاً أقوى أنواع السحر، فأخذنا ندون الرموز والطلاسم الموجودة بالمكان؛ لنقوم على دراستها بعد ذلك فقد كان المكان بالنسبة لنا كشف جديد لم نكتشف مثله من قبل، وتساءلنا هل هذا المكان كان من أماكن الدفن داخل الكهوف في ذلك العصر؟ وهذا ما كنا نعتقد. ثم اكتفينا بهذا القدر باليوم الأول من البحث ووضعتنا علامات بالمكان للرجوع إليه غدا لاستكشاف المزيد. في ذلك المكان الغريب، حيث لم نجد سوى الطلاسم الجدارية وصندوق صغير حوله الكثير من الطمي!

واقترب أحد أعضاء البعثة لأخذ الصندوق معنا، ولكن أصابنا الهول مما شاهدنا ... مد الرجل يده في هدوء فقد كان الصندوق صغيراً جداً يستطيع أي طفل حمله ... ولكن هيهات يحاول الرجل نزع الصندوق من الأرض ... حاول وحاول دون استطاعته سحبه من مكانة، ونحن قد اتسعت عيوننا من ذلك، وتساءلنا أليكون الصندوق مثبت بالأرض أو هو قطعه من الأرض!!؟ ثم حاول الجميع نزع الصندوق

من أرض الغرفة ولم يستطع أحد ذلك. استعملنا كل ما معنا من العدد ولكن فشلنا أيضا. حتى مضت ساعة كاملة من الوقت فأصابنا الإرهاق والتعب وتصيب العرق فوق الجباه. في محاوله نزع الصندوق من الأرض حتى اقترح أحدهم فكره وهي فتح الصندوق في موضعه فكان محاط بطبقه من الطمي وسيكون ذلك سهلاً كي نرى ما به هنا في تلك الغرفة، فوافقنا مضطرين لذلك. وكان أسوء وأبشع اقتراح جلسنا جميعا نعانى منة وكنا في حالة أسى أيام كثيره قبل أن نعود مره أخرى لباقي الكشف الأثري صمت الدكتور عوني قليلا ليرتشف كوبا كبيراً من الماء كان أمامه. وكان يبتلع معه كثيرا من الذكريات الأليمة.... ويكمل الدكتور ميلاد باقي الذكريات فيقول: حين قام الرجل بمحاولة أزاله الطمي الجاف حول الصندوق لم نع ما حدث من هول الصدمة. فاذا بالرجل وكأن يدا خفية قد التقفته فألقيت به بعيداً في أحد أركان الغرفة ثم جذبته للخلف ثم تم ركله ركلة قوية... تألم الرجل بشدة من شدتها وهول المفاجأة، ثم حاول أن يعيد الأمر مرة وحدث كما حدث المرة السابقة وشاهد جميع أعضاء البعثة الاستكشافية ذلك فكان يبدو الأمر كمصارع دخل حلبة مصارعة وهو لا يعي منها شيء. أما في المحاولة الأخيرة فقد كان الأمر أكثر بشاعة فقد انطفأت كل الأضواء الكاشفة التي نعملها معنا مرة واحده ليعم المكان الظلام الدامس ويشم الجميع رائحة عطنه كادت انفنا أن تستغيث منها، ثم انطلقت صرخة مدوية في الظلام فلم نعرف لمن تكون ثم عادت الأضواء فجأة لنجد أن الرجل الذي حاول فتح الصندوق قد كبلت قدميه إلى يديه في

صورة غريبة بدون قيود، وتم قصت أصابعه لم نعرف كيف؟
ولم نشاهد إلا الدماء قد اندفعت من أطرافه.

أما الرجل فقد كان ينظر في رعب لشيء ما وفقد النطق بعدها تماما، ولم نعلم ما كان يصارع في ذلك المكان، كانت الصدمة قد أصابت الجميع حين وجدنا أحد أفراد البعثة اخذ يصرخ في جنون، وأصابت يديه الخدوش دون أن يعلم من قام بها، ثم ظهر لنا ظل بدا بعيدا عملاقا على إثر ضوء المصابيح الكاشفة ... فبدا المكان أكثر رعباً من ذي قبل ثم خرج من الظل ظلال عديدة أحاطت المكان كأنها جنود حراسة، وضاق بنا وبهم المكان فتراجعنا للخلف،

وقد اتخذنا قرارنا بأن نكتفي اليوم لحين البحث عن تفسير لتلك الطلاسم الغريبة. ولم ينتهي الأمر بعد فقد هناك شيئاً خلفنا كان يدفعني بقوة إلى أن أقوم أنا بتحريك ذلك الصندوق الصغير من موضعه...ففعلت ذلك وسط دهشة الجميع وخوفهم من تكرار ما حدث لزميلنا الملقى على الأرض ولكن ما أدهشنا جميعاً أن الصندوق تحرك بكل يسر من موضعه فأخذناه معنا دون أن يعلق أحدنا على الأمر. وواصلنا السير واستكفينا مما شاهدنا اليوم فهممنا بالرحيل أما الظل فمازال يتبعنا إلى أن خرجنا من باب الكهف ثم اختفى.

مازالت أفراد الأسره يستمعون للقصة التي لم تنتهي بعد في خوف ورعب شديد، وإذا بسارة تبكي وتقر هاربة لباب الحديقة محاولة الخروج من المكان وتعالى صوت بكائها ألممزوج بالخوف فحاولت الهروب والعودة

ألي القاهرة، وذهب خلفها أخوها وخطيبته وعمتها يحولون تهدئتها قليل وفجأة ساد حولهم الصمت من الدهشة والهلع حتى أن الهاربة توقفت عن بكائها.

مما جعل الدكتور ميلاد وعزمي يذهبان لاستطلاع الأمر. فالجميع الحوائط بلا أبواب ولا بوابة، وأصبحوا سجناء المكان. نادى عوني على الجنائني لسؤاله عما حدث وأين مدخل البيت؟ وأين الأبواب بالحديقة؟ وهل عبث أحد سكان القرية معه وقام بسد الأبواب؟ وان كان الأمر لا يبدو كذلك ابداً ولكن سؤال القاه وتمنى أن يكون حقيقي. ثم عاد الجميع إلى جلستهم السابقة وانتظروا الجنائني أن ينتقد الإمر وهدأت ساره قليلاً فقد ظن الجميع أن ما حدث ربما يكون عبث أحد سكان القرية مع صديقهم الجنائني وينتهي الأمر بعد ذلك ويعود كل شيء كما كان، ولكن كان الأمر أكبر من ذلك. ولم يخطر بفكرهم قط.

وعاد الدكتور عوني بهم لرحله الكهف مرة أخرى فقال: اجتمع أعضاء لجنة البعثة الاستكشافية في أحد البيوت المتواضعة بقرية من القرى التي تبعد قليلاً عن جبل الهلاك، فكان بعض السكان في ذلك المكان الفقير يمتنون رعى الإبل والغنم أو صناعه الفخار والحلى من خامات الطبيعة المحيطة بهم مثل كثير من قرى العالم في ذلك الوقت. وكان يقوم على خدمتنا في ذلك البيت فتى في العشرينات من العمر اسمر الوجه ذات ملامح أفريقية جميلة، وكثيرا ما كنا نداعبه فتظهر أسنانه البيضاء لتضيء ذلك الوجه الأسمر الجميل. وسارت ألفه بيننا وبين الشاب وأن كان كثيرا من كلامنا لا يستطيع أن يفهمه ونحن أيضا كذلك ما كنا نفهم ماذا يريد إلا في وجود باقي بعثتنا من رجال قومه. فكانوا يقوموا بالترجمة لنا أو له وكثيرا استمتعنا بالحديث لذلك الشاب بمساعدتهم!

وأصبح يرفض أن يخرج أحدنا للتجول بمفرده ويصر أن يكون برفقته، ليكون دليhle في مشاهدة معالم المكان دون أن نفقد طريق عودتنا إلى البيت بعد ذلك. وكنا نتعجب لهذا الأمر حيث معالم القرية محدودة وتستطيع أن تراها بأكملها خلال ساعة، ولا يمكن أن تضل طريقك في مكان صغير كهذا! وكنا نظنه يريد عملاً إضافياً من أجل زيادة راتبه في ذلك الوقت حتى ظهرت الحقيقة بعد ذلك فالفتي لم يكن سوى جاسوس علينا! وأتصل ليلنا بصباحنا، ونحن منهكين على تلك الطلاسم والحروف لمعرفة سرها ومعرفة سر الكهف الذي ضاع بسببه كثيرا من الناس، وأخيراً ما حدث لزميلنا هناك المرافق بالبعثة الاستكشافية بذلك الكهف المربع، وفور عودتنا به إلى قبيلته لم يمضي عليه اليوم إلا مات أثر الصدمة. وأخيراً حاولنا فك طلاسم بعض الحروف حيث كان الأمر في غاية الصعوبة عكس اليوم الذي أصبح فيه الأنترنت اليوم قد يسر كثيراً للباحثين. فتستطع في دقائق أن تبحر في أكبر مكتبات العالم. اجتمعت لدينا بعض الحروف وقمنا بتركيبها معا ليتجمع لدينا كلمة:

ا ... ل... س... ج... ن... ا... ل... م... ل... ك... ي

نعم، أصبح لدينا الآن معرفة جزء صغير من الطلاسم ... وكانت الكلمة هي "السجن الملكي". وأكمل الحديث دكتور ميلاد لباقي القصة فقد رأى صديقه يجفف حباب عرق على جبهته. فقال: في ذلك اليوم كان الفتى الأفريقي يقدم لنا بعض المشروبات أثناء العمل ونطق الدكتور عزمي بكلمة السجن الملكي وهلل الجميع لذلك الكشف، فقد عرفنا أن ذلك الكهف كان سجناً ملكياً من قبل، ولكن من الملك صاحب السجن؟ ومن المسجون؟ ومن الحرس وأين هم؟ حاولنا أن نقوم بالبحث في باقي الطلاسم الكثيرة عسى أن نعرف شيئاً آخر يقودنا لسر الكهف ... وعندما سمع الفتى الأفريقي كلمه السجن الملكي

سقطت من يده صنية المشروبات، ثم أخذت يديه المرتعشة تلم بقايا الأشياء المتناثرة بالأرض ونظرات الفزع كانت تملأ وجهه ثم أنطلق من أمامهم. واخذ يتمتم بعض العبارات قد وعيها وعرفها تماما أعضاء البعثة الأفريقية الذي كانوا معنا ... وساد الصمت وتبادلوا النظرات الغريبة فيما بينهم.... ثم عم الصمت بيننا جميعا إلى أن نطق أحدهما قائلاً: يبدو أن الفتى يعلم شيء عن ذلك الكهف، وأخذنا نتناقش بعض الوقت ما هو الذي يعرفه الفتى عن هذا الكهف وأيضاً هل يمكن الاستعانة به؟ أو ضمه للعمل معنا بالكهف إذا ما كانت لدية معلومات مفيدة بذلك الشأن؟

وذهب أحد الزملاء للمطبخ لإستدعاء الفتى الذى اخذ الأكواب المتناثرة منذ قليل عائده بها إلى المطبخ فلم يجده!

فأخذنا نبحث في كل أركان المنزل ولكن الفتى اختفى تماما. أصبح في الأمر شيء قالها عزمي وأخذ بعض أعضاء الفرقة للذهاب لكوخ الفتى لمعرفة سبب فراره. وأيضاً لمعرفة هل يعلم أي معلومات عن ذلك الكهف؟ يكمل عوني الحديث ويقول أخذنا نسير على أقدامنا مسافة لا تقل عن ساعة وعشرة دقائق وسط أكواخ مصنوعة من الطمي، والقش يلهو بجوارها كثيراً من الأطفال كما يجلس بجوار أبواب أكواخها بعض المسنين الذين تقدمت أعمارهم، فاتخذوا من صناعة الخوص حرفة بسيطة لشغل أوقاتهم وأرزاقهم. كان بيت الفتى عبارة عن كوخ من الطمي والقش مثل باقي بيوت القبيلة، وحين وصلنا إلى باب الكوخ أحاط بنا أبناء القبيلة، وحاولوا منعنا من الدخول لمقابلة الفتى، أو أحد أفراد أسرته، واخذو ينظرون إلينا والخوف يملأ عيونهم... ونظرت لزملائي اللذين اخذو يتبادون الحديث معهم بعض الوقت، فحديثهم كان أحياناً عادياً وأحياناً تعلوا فيه الأصوات وبعضهم بلوح بيده كمن

يتوعد ثم أنصرف الجميع بعد ذلك، وذهب كلا منهم إلى كوخه و ظل واقفا أمامه في انتظار رحيلنا عن القرية ... و ماذا سنفعل مع الفتى؟
وأخذنا نسأل فيما بيننا أيكون الفتى قد خاف من العقاب عندما هشم الأكوام ألزجاجية منذ قليل؟ ولذلك فر هارباً؟ ولذلك السبب أهل القرية يعتقدون أننا جننا لمعاقبته، ولكن كان الأمر أكبر وأفظع من ذلك الذى كنا نفكر به. ولم يخطر بغير أحدنا أننا وسط مفتاح السر الرهيب.

ففي تلك القرية يكمن السر ,,,,,, سر الكهف وسر الأسطورة
!...

بداخل الكوخ استقبلنا رجل عجوز كان ذو هيبه وقوة ظاهرة رغم عمرة المتقدم وعقل راجح يبدو من طريقة استقباله لنا، ثم علمنا بعد ذلك أنه كبير القبيلة كما علمنا أيضاً أن تلك القرية الصغيرة ما هي إلا قبيلة واحده ننتمي إلى نسب واحد يرجع إلى جدهم الأكبر وأقام في هذا المكان منذ مئات السنين يتوارث المكان الأبناء عن الآباء، وكان ذلك أجابه لما فعله أهل القرية معنا منذ قليل فهم أقارب يخشى بعضهم على بعض. واستقبلنا العجوز بحفاوة يملؤها الحيطه والترقب فبدا حديثه عن حبة الشدود لحفيده وأيضاً ذكر بعض المواقف التي كانت تدور بيننا وبينه في البيت، والتي كان يقصها على جده فكان يبتهج ويسعد بها ... ونحن نستمع إليه ... في انتظار باقي حديثه لماذا هرب الفتى !!؟

وتوقف العجوز عند ذلك واكتفى بما قصة من بعض المواقف العابرة ولم يستطرق إلى أهم جزء كنا ننتظره والذي جاء بنا إلى هنا، ثم طلب لنا مشروب الضيافة. كنا قد أعددنا فيما بيننا سابقاً ماذا سنقول لأهل الفتى وسنطلب منهم أن يعمل معنا في بعثتنا بالكهف بدل خدمته لنا في البيت. وأن أريد الوظيفتين معاً سنقبل بذلك. ثم ساد الصمت فتبادلت

النظرات إلى زملائي من أهل البلد بأن يقوموا بالحديث للرجل وسؤاله
أين حفيده؟ ولماذا هرب؟ كي نعرف ما وراء ذلك؟؟

ولم يكمل زميلي الأفريقي السؤال إلا وبادره الرجل قائلاً:

أعلم لغتكم أيها ألباحث ولا تسألني كيف؟ فهنا يمكننا أن نعلم كل شيء
!! حفيدي الآن لديكم؛ في بيتكم، وهو لم يهرب كما تتوقعون ذلك. أليس
هذا ما يدور بينكم؟ هو لم يهرب ولكن جاء يسألني، فقد انكشف السر
بكم وأصبح الجميع في خطر. وسأحكي لكم قصة ما تبحثون عنه. قال
ذلك وقد أصابتنا الدهشة جميعاً حتى الرجال الأفارقة الذين كانوا معنا
بالبعثة تعالت وجوههم الدهشة ثم أكمل العجوز وقال:

هنا في تلك القبيلة الصغيرة التي لا تتعدى 400 شخص، نحن هنا
حراس السر فقط نتناقله إلى أولادنا وأحفادنا فقط لا يعلمه أحد ولم يعلمه
أحداً من قبل... فهنا عشنا منذ مئات السنين وقد يكون أكثر. لم نترك
قط تلك البقعة من الأرض نتوارثها كما نتوارث سرنا أيضاً. نعلم أننا قد
نكون في معزل عن العالم أجمع ولكن تم اختيارنا لذلك. حقاً أننا لم
نختر الأمر ولكن أجبر قومنا على القيام بذلك منذ حملة جدنا الأكبر
وتوارثه الأبناء عن الآباء... ولم يعلم أحد السر كما قلت لكم غيرنا،
ومضى على ذلك الأمر مئات السنين لم يتغير شيئاً. ألا منذ ذلك الوقت
حين شقت الحكومة ذلك الطريق القريب للمسافرين واختفى هناك بعض
الناس، فعلمنا أن الوقت قد حان ولم يعد في مقدرنا حماية السر، أو
حماية المكان، وكنا نستعد لذلك من قبل.

كان الرجل العجوز يتكلم ونحن نستمتع وكأن على رؤوسنا الطير فكنا
نستمع بكل دهشة وحيره وخوف. ثم أكمل كبير القبيلة وقال: نعلم ما
حدث لكم وأنكم قد دخلتم الكهف وما تعرض له صديقكم وما
ستعرضون أنتم أيضاً له، فلم تروا شيئاً بعد !!

قال ذلك وقد أشتد بنا الخوف والفضول أيضا فكنا نستمع بكثير من الإهتمام. فقلت له تتكلم عن الكهف وكأنك تعرفه فلماذا لم تساعد المسئولين في الكشف عن الحقيقة حين اختفى بعض الناس؟
رد قائلاً وقد ملأ وجهه الحزن وأطلق زفره ألم، غير مسموح لنا بذلك من قبل الأمير.

فقلنا: أي أمير؟

قال: أمير الجيوش؟

قلنا: ومن أمير الجيوش هذا؟ يكون هنا أمير للناس ولا تعلم بأمره!؟

قال: بل أمير السر. سر الكهف -قلنا وقد اشتدت حيرتنا يمكنك أن تقص علينا القصة كاملة ...

قال: إذا هيا بنا.... سأريكم بعض الأشياء ... بعض العلامات والطلاسم... ثم سأقص عليكم كل شيء وسأجيب لكم كل سؤال، ولكن سيكون هناك شرطاً هام! ستكونون أنتم بعد ذلك حراس السر؛ فقد قمتم بالبحث عنه وعلى أيديكم تم إفشاء السر. وستتحملون ذلك وحدكم والاختيار ليس لي أو لكم. فمن يبحث عنه فقط يجده وقد بحثتم عنه، وقد وجدكم أقول لكم الحق ... كما أشقاني وقومي حمل ذلك السر وكم تمنيت أن يحين الوقت كي نتخلص من حملة. ويحملة غيرنا.

وهاهو قد حان الوقت، فهل أنتم مستعدون، أيها الحراس الجدد، ثم نظر ألي مبتسماً ابتساماً غامضة لم أعرف ماذا يعنى بها؟ ولكنى علمت بعد ذلك سر ابتسامته الغامضة!، ثم أخذنا إلى خلف كوخه حيث كوخاً أصغر ملحق بالمكان يبتعد قليلاً. بناية كلها بالطمي بدون قش فقط من الطمي الذي جف وبدأ يتشقق قليلاً

يعلوه من الخارج خيوط العنكبوت والأتربة الكثيرة، ثم قام بفتح الباب الصغيرة، ودخلنا خلفه كان الكوخ غير باقي أكواخ القرية قد يكون مثلهم في الشكل فقط ولكن بالدخل لا... فقد كان مصنوعاً بالكامل من الطمي من الخارج والداخل ليس به مدخل صغير لشعاع من ضوء، فغرقنا في ذلك الظلام الدامس ثم أضاء لنا العجوز فتيل إنارة بدائي الصنع ثم اخذ يتحسس صندوق صغير كانت عليه نفس الطلاسم التي رأيناها بالكهف. وأيضا من نقوش الصندوق الذي معنا من قبل. وقام بوضع الصندوق أمامنا وراح يتمتم ببعض الكلمات أغريبة عرفنا فيما بعد أنه ينهي العهد لينقله لآخر، وقد كان يلتبس الموافقة. ولم نعرف من كان يحدث او من يكون ذلك الشخص؟؟ كنا كمن في غيبوبة أثر المفاجآت المتتالية التي مرت بنا منذ ساعات قليلة... وأنهى العجوز كلماته أغريبة التي لم اعرفها ولكن صديقي الأفريقي كان يصغى اليها بإهتمام بالغ... ثم قال الرجل: الآن الصندوق فقط من يختار حافظ السر الجديد فقط هو من سيختار أحدكم.... فنظرت له وقلت وكيف سيختار الصندوق وكنا أربعة أشخاص من أفراد البعثة في تلك الحجرة غير كبير القبيلة. ثم علمت بعد ذلك لماذا نظر ألي الرجل من قبل وأبتسم !!

فقال: فقط من يستطيع حمل الصندوق من موضعه. فابتسمت وقلت هو صندوق أكبر من كف اليد قليلا كيف سيصعب على أي منا حمله، فنظر ضاحكاً.

وقال: كما كان يصعب عليكم نزع تلك الصندوق الصغير بالكهف وأيضا...الصندوق من يختار صاحبه وليعلم الجميع أيضاً أن هناك صندوقين الأول ترونه هنا والآخر معكم. ذلك الصندوق ألدى كان بالكهف سابقاً، ولكن لكل منهما حكاية مختلفة فالصندوق الذي عثر عليه أجدادي من القدم قد وجدوه بالقرب من إحدى فتحات جبل

الهلاك وكان حولها طمي سميك. كان الطمي مأخوذ من تربه قوية لم تقدر عواصف الصحراء على تحطيمها، أما الكهف فقد دخل اليه الكثير ولكن لم يعرف أحداً منهم ذلك المكان الذي وصلت اليه، ولا أقترب أحد منه أبداً. ثم علمنا بعد ذلك أن جدي الأكبر لم يبحث عن الصندوق، ولكن هو من نادى عليته حتى وجدة كان ينادى على صاحبه كي يقوم بحمايته، وأيضاً لشيء آخر. هو من يقودك للاقترب أو الابتعاد عن طريقة فتري من كان صاحب النداء الآن منذ سنوات؟ ستعلمون كل شيء في وقته. وبخصوص الصندوق الأول فكان به شيء هام أما الصندوق الذي معكم الآن فبه شيء آخر ولكن شيء خطير جداً واهم من هذا الصندوق، وتذكروا أن الصندوق أو صاحب الصندوق هو من يختار من يحمل سره. كان كثيراً من كلام كبير القبيلة مبهم وكثير الألغاز لم نع منه الكثير غير أن الصندوقين بكلا منهما سر مختلف عن الآخر، وقد أصابتنا الدهشة جميعاً مما سمعنا، ولكن لم ينطق أحداً بكلمة أخرى حتى نرى ما يكون بنهاية هذه القصة الغريبة. ثم أكمل كبير القبيلة فقال: وألان يحاول كلا منكم لمرة واحدة فقط حمل الصندوق من موضعه دون العبث به ثم أبتسم بدهاء وقال: كما فعلتم من قبل داخل السجن الملكي بالكهف.

وها هو أمامكم. تقدم أحد أعضاء البعثة نحو الصندوق محاولاً حمله من مكانه ولكن جاءت محاولته بالفشل وتتابع باقي الرجال الذين فشلوا أيضاً في ذلك وكان الصندوق الصغير قد التحم بالمكان تماماً مثلما كان الصندوق الآخر ملتحمًا بأرض الكهف هناك. وجاء دوري لفعل ذلك وكانت عيون العجوز تبتسم كما فعل من قبل ولم أعي سبباً لذلك، كان يعلم أنى من سيقوم بحمل الصندوق، ولكنة دع الأمر يمر بيننا جميعاً جميعاً ... ولم اعرف لماذا فعل ذلك؟

...وأقتربت بحذر من الصندوق ومدد يدي في رهبة وفجأة التصق بيدي فور لمسسه وعلت الوجوه الدهشة أما العجوز فقد ذكرني من جديد بأنني من حملت السر الآن ... وقد أنهى هو وقبليته العهد بذلك.

كما قال: بأنني من استطاع حمل الصندوق الآخر من قبل ثم تركنا قليلا وخرج من الكوخ الصغير وأشار لأبناء قبيلته الذين مازالوا وأفقين في انتظار رحيل الغرباء، ومن إشارة من يده تعالت الصيحات وعلت دقات الطبول، فكانوا على علم بما يحدث، ولكن كانوا في شك من انتقال السر لغيرهم، والانتهاء من ذلك الأمر. وخرجنا نحمل الصندوق الآخر الذي وضعه العجوز داخل صندوق خشبي مطلي وعلت الفرحة وجهه فور الانتهاء من حمل السر وقبيلته سنوات وسنوات وسط دقات الطبول والزغاريد وأجواء الاحتفال بذلك، ثم ذهبنا مرة أخرى إلى كوخ كبير القبيلة الذي أعد لنا وليمة فاخرة من الطعام احتفالاً بذلك، ولم نكن نعلم ما هو ذلك السر حتى الآن؟

وما هو الذي حملته دون غيري ولماذا؟ ثم قال الآن يمكنني أن أروى لكم سر لكم الأسطورة. وأشار إلى وقال: وسأقول لك كيف تحفظها كما. تناقل الأجداد كثير من الأساطير والحكايات الغربية وكثير ما كنا ننسى بعضها وكثير ما كانت لا تنسى وتتوارثها الأجيال تبدوا لنا كحكايات ومواعظ نسمعها ثم يذهب كلاً إلى طريقه، ألا تلك الأسطورة العجيبة.

فقد روى لنا الأجداد أن بالقرب من هذا الأرض التي نعيش عليها وقبيلتي كانت هناك مملكة من أقوى وأعظم ممالك الأرض كانت متقدمة في كل شيء وتفوق الممالك في الحضارة والعلم، كما انتشر فيها الحكمة والرخاء تحكمهم ملكة من أقوى ملوك الأرض وأكثرهم دهاء، كما كانت تمتلك أقوى أنواع السحر، حيث كان الملوك في

ذلك الوقت يتعاطون السحر ويعملون به، وأيضاً كان ممنوع لعامة الرعاية استعمال السحر. ولم تكن تستعمل سحرها أبداً في إيذاء قومها بل كانت تستخدمه لحماية المملكة. لم تكن ملكة شديد القوة فقط بل كانت أمراءه شديده السحر والجمال كلما تقدمت بالعمر زادت قوتها وسطوها وزاد سحر حسننها أيضاً. فكان يهابها ملوك الأرض كما أمتلك شعبها أنواع الزراعة والصناعة المختلفة حتى فاضت لديها المحاصيل والصناعة فأصبحت تعطي الممالك الفقيرة.

ولكن كان هناك شيء خطير بتلك المملكة فقد عرفت الملكة معدن من المعادن ليس له مثل من معادن الأرض فلم يمتلكه أحداً غيرها يقال انه جاء من الفضاء وسقط في أرضها، وأخريين يقولون هي من صنعته بسحرها والأقوال كثيرة بهذا الشأن، ولكن أجمع الراي على شدة نكاه وفتنة تلك الملكة، فاستطاعت في وقت قصير أن تعرف سطوه المعدن الذي فاقت قوته كل معادن الأرض فقامت بصناعة سور من المعدن يحيط بمملكته فلم يستطع أحد اختراقه بأقوى أنواع الأسلحة المستخدمة في ذلك الوقت، كما استعملته في صناعة السلاح فكان لديها سلاح لا يقهر أبداً. وصنعت الدروع لحماية جنودها فكانت المعارك محسومة لمن الانتصار؛ انتصاراً ساحقاً، وتعود بكل جيوشها، وجنودها، وأسلحتها. فلم يجرأ أحد الملوك على معاركها أو الاقتراب من ملكها خشية رد فعلها الغاشم. فعاشت سنوات طويلة بدون حروب وعملت على تنميه ملكها وشعبها. فقامت بإنشاء قلعة خاصة تحت الأرض لحفظ المعدن النفيس حتى لا يجرؤ أحد على السطو عليه في يوم من الأيام.

كما كان للملكة ولدين شابين من أشجع فتيان المملكة، كانا متقاربين كثيراً بالعمر لا يفرق بينهم سوى سنوات قليلة فكانا الشابين مثل التوأمين، كانا فارعين الطول مثل قومهما. يتمتعان ببنية جسدية

هائلة مفتولي العضلات يجيدان كل أنواع الرياضة وكل أنواع وسائل الدفاع عن النفس، كانوا من أجمل الأمراء الشباب. إذا وقف أحدهما أمامك فكأنك تنتظر لملك ليس لأمير حديث ألسن، وكأنهم وجدوا ليكونوا ملوك فقط. وكانت القوانين المتبعة في المملكة وأيضا الممالك الأخرى أن يقتسم الحكم بين الأسرة الحاكمة بالتساوي في الالتزامات والمهام، او يقوم كبيرهم بالحكم إلى أن يبلغ أكبر الأمراء عمرا سواء كان ذكرا أو أثنى فيقتسم معه الحكم حتى يبلغ جميع الأمراء مبلغ الحكم فيتم توزيع الحكم فيما بينهم جميعا بالتساوي. فكانت تحكم الملكة منفردة إلى أن بلغوا أبنائها مبلغ الرجال. وفي حفل ملكي مهيب اجتمعت فيه كل طوائف المملكة وخواص شعبها من كبار المسؤولين وكبار القوم وعامة الشعب، فاصطفت كل الجيوش فكان منظرا مهيب حيث جلست الملكة على كرسي العرش الحربي والذي كانت تتخذه لمقابلة الجند في ساحتهم كما كان لها أيضا كرسي العرش الملكي بقصر الحكم. لمتابعة شئون البلاد، واتخذ كلاً من الأبنين مكانا بجوارها عن اليمين وعن اليسار وكانت هي في المنتصف تترأس الاحتفال الملكي لتسليم ومناصفة الحكم بينها وبين الأميران كما هو متبع. كما كان بالقرب منها في ساحة العرش الكاهن الحكيم وكانت مهام عمله " مستشار الملكة وحافظ السر الملكي ومعلمها " اتخذ مكانه بجوارها فوقف يرتدى ملابس فاخرة يحمل مظهرة الهيبة والسطوة والحكمة ذو شعر طويلا أشيب يكاد يصل إلى منتصف ظهرة به بعض الخصلات الذهبية اللون تطايرت وراءه، وكان بيده صولجاناً عظيماً من البرونز اللامع نقشت عليه الطلاسم والحروف التي نقشت مثلها على تاج الملكة.

وأبدت مراسم التتويج فتقدم كبير الجيوش يحمل سيفاً عظيماً في غمده، وبيده وثيقة قام بقراءتها أمام الملكة والحشد المجتمع، وهي

القسم بحماية المملكة، وحفظ قلعة المعدن النفيس العظيم، والاهتمام بتدريب الجنود وصناعه السلاح والولاء لحماية المملكة في الخارج والداخل. وبعد القسم أشارت الملكة للأمير الأكبر أجالس بالجانب الأيمن فوق ووقفت أيضا فألبسته التاج الخاص "بأمير الجيوش"، كما أستلم الوثائق والعهود من كبير قادة الجيوش بمهامه الخاصة وسط هتاف الحضور والتي تلاها كبير الجيوش منذ قليل ...

ثم تقدم كبير خدمة الشعوب بوثيقه أعلن فيها بعد القسم الملكي مهام عمله من تنمية الشعب، وتنمية رخاء المملكة من صناعة، وبناء، وزراعه، وتعليم، وفن، فقام الأمير الأصغر الجالس على أيسر الملكة فألبسته التاج الخاص "بأمير الشعوب" كما أستلم الوثائق والعهود من كبير المسؤولين لإدارة الشعوب بمهامه الخاصة.

وسط هتاف الحضور. فبدا الأميران بشعرهما الأسود الطويل والذي تتخلله بعض الشعيرات الذهبية أجمل ما يكونا بعد ارتدائهما التاج الملكي الخاص بكل منهما. وظلت الملكة الحاكم الأكبر، ولم يكن فقط ما يتمتع به أبناء الملكة هو المظهر العظيم وتعليمهم الملكي لكل العلوم، بل كانا يمتلكان سلاح آخر وهو سلاح السحر. فقد ورثا الأميران القوى السحرية عن أمهما ولكن كانت هناك موثيق وعهود بين الملكة وأبنائها بشأن استعمال السحر، وهو عدم استخدامه إلا في الدفاع عن الحق، والدفاع عن المملكة، وكتب الكاهن الحكيم تلك العهود والموئيق بينهم، كما كانت هناك عقوبات إذا تم مخالفه الأمر. وقد وقعا الأميران على الوثيقة وتم حفظها بالمكتبة الملكية تحت حراسة الكاهن الأكبر الذي يمتلك أيضا قوه سحريه عظيمه لا تقل عن قوتها السحرية. فكان يستخدمها لحفظ العهود وأسرار الملكة وحماية المملكة. وكان الأربعة "الملكة وأبنائها والكاهن الأكبر" يحملون نفس القوى السحرية ويحملون نفس الطلاسم والرمز على

تيجان الملكية وصولجان الكاهن كما تحكوا بقوى السحر في حماية الاتجاهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب للمملكة لصد أي هجمات شريرة عليها. ولم يملك أحداً غيرهم ذلك القوى السحرية في المملكة كلها، وانتهى حفل التتويج وانطلق الجميع كلا إلى عمله ...

ومرت السنوات سارت أمور الحكم بالمملكة كما أرادت الملكة، وكما كانت تقوم بها من قبل فكانت أمور الحكم مستقرة، حتى بعد توزيع المهام بينها وبين أبنائها، وكثيراً كانت تستعمل الملكة قواها السحرية سراً دون علم أحداً من أبنائها أو أحداً آخر. ولم يعلم ذلك غير أمين السر " الكاهن الأكبر". حيث كانت الملكة تحب أن تتفقد رعاياها وتتفقد أمور أبنائها دون علمهما بذلك. فكانت تتخفي في صورة طائر من طيور البوم أبيضاء ليلا لتجلس على أي فرع من فروع الأشجار وتراقب أحوال البلاد والرعية ... كان يشاركها في ذلك الكاهن وأمين السر فكثيراً ما كان يتخفي هو الآخر في صورة صقر يقوم بالتحلق في سماء المملكة ليرى أحوال البلاد أو أي أمر آخر تأمره به الملكة، وكانا فقط هما من يعرفا ذلك دون غيرهما!! واستمرت الأيام والليالي على ذلك إلا أن حدث في يوم من الأيام شيء غريب.

فقد كان هناك مزارع جالساً بجوار حقله وعلا وجهه الحزن الشديد أثر ما حدث لزراعته وفقده لمحصوله بطريقة غريبة ولم يعرف كيف حدث ذلك الأمر؟ وكان المزارع سيبيع محصوله ويقوم بزواج ابنه كعادة أهل البلاد في ذلك حيث يزوجون أبنائهم بعد موسم الحصاد وامتلاء البيوت بالخيرات، وقد أخذت المملكة تتابع ما سيفعل الرجل وهي متخذة هيئة طائر البوم الأبيض المقدس. فاذا بالرجل يلغى

عرس ابنه ويعم الحزن على بيت أفلح وأسرته، واحزن الأمر الملكة
فقامت بأرسال هديه كبيرة للفلاح فقام بزواج ابنه وشكر الملكة ثم
أمرت الملكة باستدعاء أبنائها وقصت حكاية الفلاح وكانت على علم
بمن قام بهذا الأمر الغريب فلم يخفى عليها أن ملك الشعوب هو من
قام باستعمال قواه السحرية في إيذاء هذا الرجل فقط من باب المداعبة
وتسلية وقتة، ووجهت الملكة أبنها الصغير بهذا الأمر فلم ينكر
ذلك وقال : أنه فقط من باب المداعبة وكان سيعوض أفلح ،
فقامت المملكة بتأنيبه اشد التأنيب أمام أخيه وأمام الكاهن ولم تكتم
بذلك بل قامت بصوره مفاضلة بينه وبين أخيه، وهددت بسحب التاج
منه، و أذى يعي سحب أمور الحكم . وانتهى مجلس التأديب
وذهب الجميع كلا إلى عمله. **ولكن هل يكفي العدل دون حب؟**

كنت أظن أن الزمن سوف ينتهي بنهاية موتى وان القلب قد يتوقف
بتوقف خيبي وإعدام طفولتي واغتيال شبابي، لكن لا أحد يعرف
ماذا حل بي من هو قاتلي؟ أدركت الآن أن الألم أكبر حين تظلم
الروح وأن الحياة لا تنتهي بفناء الجسد فقد تعود لتنتقم وربما
تستغربون، فصوتي يأتيكم من الماضي السحيق من أنا؟ لن أجيب
فضولكم. تعالوا معي لأريكم عما يكون هناك من الماضي. فإن
كانت العدالة اهم ما في الحياة فالانتقام يقتل الحياة. أنا مصاب
ألان بالجنون. جنون الانتقام كما كلنا مصابون بذلك، ولكن لكل
منا جنونه الخاص. قد يتوقف الجنون يوم ما،

فقط إذا ما ساد العدل مع الحب.

الحب ليبقى ذلك أهم وأجمل ما في الحياة !! ومن هنا كان البداية.
بداية كل شيء.

ومازال العجوز الأفريقي يسرد حكايته، ومازال الصندوق معي ولم يتم فتحه بعد. فقد رفض ذلك بل وأصر إصراراً كبيراً عليه، عدم تحريك الصندوق أو فتحه حتى اكتمال حديثه عن الأسطورة، وإلا سيكون هناك عواقب شديدة لن يتحملها أحد منهم أو من أفراد قبيلته.

كان اليوم قارب على الانتصاف فأمر لنا كبير القبيلة بأعداد بعض المشروبات. وجلسنا بعض أوقات لتناولها ألقى شاركنا فيها وبعد ذلك عاد ليحكي لنا باقي الأسطورة، دون أن نتطرق مره أخرى لموضوع فتح الصندوق حتى يقول ذلك. ثم أكمل حديثه قائلاً: لم يكن الأمر كما يبدو عليه فقد أفرطت الملكة في رعاية ابنها الأكبر منذ طفولته فكانت تقوم بتوجيه النصح والإرشاد له بطريقة بسيطة لينه عكس ما كان تقوم به مع الأمير الصغير، لم تدرك أن هناك يتقرب ويقارن ويسأل بينة وبين ذاته! فهو أيضاً هو في حاجه إلى الإهتمام والإرشاد بل والحب والحنان ألقى فقدة منذ طفولته الأولى، وانشغل بما تنشغل به الغلمان في مثل عمره لكن أدى ذلك الحرمان فقدان الإهتمام وحنان ألام إلى وحدته على نفسه وابتعاده عن العلاقات الاجتماعية. فكان دائماً وحيداً سواء في دروس العلم، او دروس الرياضة، ومضت الأيام سريعاً فكانت متعبته الوحيدة أن يكون متفوقاً أكثر من أخيه. فقط من أجل أن تثني أمه عليه كما تفعل مع أخيه، ولكن الملكة كانت تنظر ألى تفوق أبنائها على أنه واجب مقدس عليهم القيام به، ولم تر في ذلك شيء يجب الثناء، ولم تستشعر أخطر، وأن هناك حائط تقوم ببنائه دون وعى بينها وبينه يرتفع مع الأيام والمواقف شيء فشيئاً فشيئاً، فلم يسمع منها يوماً كلمة حانية أو يلمس منها مشاعر الحب ألقى تغدق به الأمهات على أبنائها. كانت تؤمن بشيء واحد أن تكون أقوى الملوك، ولم تشعر أن قصرها واهن يفتقد القوة. قوه وحدة الأبناء، وجدرانه بارده

تفتقد الحب. حب الأم وأرشدتها للأبناء، فكانت الملكة ولم تكن الأم، ومضت السنوات وشبا الطفلان فأصبحا شابين تملأهما القوة والذكاء. وبعد حفل التتويج كانت إرادته القوية قد انهارت تماما؛ فور إقصاءه عن مشاركته أخيه للإشراف على قلعة المعدن النفيس، وكان هذا الأمر من اختصاص الملكة فقط، وقد أوكلته إلى أخيه فقط، وهنا فاض بأسه، وسأل الكاهن الحكيم عما تقوم به الملكة من تميز بينة وبين أخية الأكبر منذ طفولتهما ولماذا؟ فلم يجد لسؤلة تفسيراً لدى الكاهن سوى انه قد يكون فارق السن فيما بينهما وأنه فقط الأكبر سناً.

فلا بد أن يحصل على المهام الأكثر في المملكة. واخذ الكاهن يهدئ من روعه بعض الشيء، ولكن لم تشف إجابته جراح قلبه الدامية، ولم يجد الفتى بعد ذلك متنفس له إلا في ممارسته قواه السحرية الممنوعة. فأخذ يستعملها قليلا في سبيل المداعبة لبعض الأشخاص. فقام في أحد المرات بإتلاف حقل لأحد الفلاحين، وقام مرة أخرى بإخفاء أحد الحملان، وفي كل مرة كانت تعلم الملكة بأمره، ويتم استدعائه لمجلس تأديب، وما كان يفعله إلا لألفت نظر امه اليه.

كان يرضيه الشوق أن تقوم بسؤلة دون مجلس تأديب كما تفعل مع أخية إذا أخطأ، كان يتمنى لقاء الأم لا لقاء الملكة. وأخيرا تم تهديده بسحب تاج الحكم وسحب مهام عملة. أما الكاهن الحكيم فكثيرا ما تدخل في الأمر بينهما أذى يؤول بالفشل كل مرة، فكانت تعتقد أن ذلك هو العدل والعدل فقط هو ما يحكم. فهل ما قامت به بين الأخوين هو ميزان العدل؟ وانطفأ شعاع للأمل بقلب الأمير وأنطفأ مصباح الحب وأسدت ستائر البغض والكراهية على جدران قلبه الجريح.

فحين تظلم القلوب ويموت الحب يأتي الظلام ... الذي يصبح أكثر قوه إذا ما اجتمعت معه قوة السحر.

تملكه ظلام القلوب فتحولت خصلات شعره الذهبية إلى خصلات حمراء تتخلل شعره الأسود ومضت تقطر دماء أينما ذهب. وما كانت تلك الدماء إلا دماء قلبه المفطور ...

منذ ذلك الوقت تغير كل شيء وحدث كثير من الأمور بالبلاد، أصبح الناس لا يخرجون من بيوتهم ليلاً، ويرتجفون خشية تلك الأصوات التي راحت تطاردهم إذا ما حل الظلام. فكثيراً ما كانوا يجدون في الصباح أشلاء بعض المواشي تتناثر في دمائها تملأ الطرقات بين البيوت وكثيراً ما كان يتم اختفاء أشياءهم الخاصة، حتى أطفالهم ما نجت من تلك الحوادث المفزعة وتم ألعبث معهم فكانت تتعالى صراخات الأطفال من أي مكان. كانت الرعية تجهل تماماً ما يحدث داخل القصر الملكي وعلاقة الملكة بأبنائها وأيضاً علاقتهم بها، ولم يظن أحداً ابداً أن تلك الحوادث تصدر من أحد حكام المملكة التي تحسدها الكثير من الممالك الأخرى.

أشتكى الرعية لكبار قومهم فذهب كبير التجار وكبير والصناع لأمير الجيوش يشكون اليه الاعتداء عليهم من قبل مجهولين هل هم أعداء من خارج المملكة، او من داخلها؟ وفزع أمير الجيوش لتلك الأحداث الغريبة وهو الذي يؤمن كل شبر بالمملكة !! وأمر عسسه بتحري الأمر في سرية تامة. وعلم بعد ذلك أن تلك الحوادث لم يأت من الخارج، وما هو إلا اعتداء من داخل القصر! فقد كان الفاعل أخيه. أصاب أمير الجيوش الدوار من هول المفاجأة وأخذ يتساءل عن سبب تلك الأفعال الذي وضعت الأسرة الحاكمة في حرج شديد، وان كان الأمر سراً لم يعلمه أحداً حتى الآن ولا بد أن يبقى كذلك....

استدعى أمير الجيوش أخيه أمير الشعوب إلى جناحه الخاص
بداخل القصر الملكي وقام بإعطائه لفافة من ألورق كانت بيده بها
تحريات الأمن بالمملكة بسبب شكوى كبير التجار وكبير الصناع من
وجود اعتداء مجهول على الرعية، وتم معرفة المعتدى، وما يقوم به
من أفعال سحرية لإرهاب المملكة، والتي ممنوع استعمالها ويوجد
ميثاق وعهد ملكي على ذلك، ولم يكن هناك في ذلك الاجتماع سوى
الأخوين والكاهن حافظ الأسرار الملكية ومعلمهم أيضاً.

استلم أمير الشعوب ألفافه من أخيه ونظر إليها وتعالق ضحكاته
الهستيرية بصورة غريبة ومرعبة، ثم قام بتمزيقها وألقى بها أرضاً
ونظر ألية نظرة تعلوها الشماتة والحدق ألدفين؛ فقد حاول أن يفقد
الناس أمانهم ليتم أدانه أخية ليس أمام الرعية ولكن أمام الملكة ليرى
هل سيتم أدانته؟ هذا ما أرده وما أثره. كان يتمنى أن يرى أمه كيف
ستتعامل مع أخية؟ هل ستدينه دون سؤال؟ هل تأنبه؟ أم ستسحب
منه التاج الملكي ومهام الحكم؟ فكثيراً قامت بتهديده وتأنيبه في
أشياء أقل أهمية من ذلك، أم ستجلس معه لتعرف المشكلة وتبحث
حلها بعد ذلك؟ وأبتسم في دهاء ثم تركه وذهب مسرعاً تقطر الدماء
ورائه من شعيرات راسه الأحمراء، وتركهم في ذهول مما حدث فقد
كانت أول مره يرى فيها أخية على هذا الهيئة.

قال أمير الجيوش للكاهن مازال مندهشاً مما رأى: أرى أن أخي قد
تغير شكله وأصبح غريباً. فلماذا؟

لم يجب الكاهن على السؤال ولكن نظراً شارداً حزينا ناظراً لقطرات
الدماء المنتشرة على الأرض فقد علم ما حل بذلك ألفتي... ولماذا
تغيرت خصلاته الذهبية إلى خصلات حمراء تقطر الدماء. وأستاذن
الأمير وهم بالرحيل وقال قبل رحيله كلمات متقطعة مبهمة بصوت
أشبه إلى الهمس (الأمير الصغير ... الظلام ... الظلام - قد دخل

القصر) وتركه ورجل مسرعا إلى ساحة الحكم حيث تجلس الملكة
فوق كرسي عرش البلاد البلاد الذي سادها الظلام.

الفصل السادس

لم يكن الدكتور عوني مشغولاً بالنظر إلى عيون أسرته التي أخذت تستمع له في صمت وانتباه، وعلا وجوههم الشحوب والخوف ... بل راح يتلفت بنظره نحو الصقر الجالس منذ الصباح الباكر بجوار نافذة جاجان فأثار ذلك انتباه الأسرة وأخذت العيون تتابع الصقر الذي صار يعرفه الجميع. فلم يكن ذلك الطائر سوى الكاهن الحكيم الذي يستكشف الأمر عن قرب. لأخبار الملكة بكل الأحداث الجارية ...

فسال جاجان عمه ومازالت عيونهم تراقبه. عمى: هل ذلك الطائر هو الكاهن الحكيم الذي تحكى عنه بالأسطورة؟ فهز برأسه وقال: نعم هو وقالت فريدة أما زالت تلك المملكة موجودة، وأيضاً الملكة، والكاهن؟ فأجبتها الدكتور ميلاد قائلاً: القصة لم تنته بعد. مازال هناك الكثير من الأحداث لم تحكى بعد.

فنظر إليهم الصقر من أعلى وكأنه يسمع حديثهم ويعلم فيما ينظرون، ولكن مازال جالساً صامداً وكأنه يقوم بحراسه شيء ما.

كان الإرهاق بدا واضحاً على الجميع فأقترح عوني الذهاب إلى الدخول لتناول شيء من الطعام والاستراحة بعض الوقت حتى يتم تغيير الجو الذي أصبح مقبضاً لهم جميعاً، فسمع يوسف ذلك وانطلق مسرعاً نحو الداخل تبعته سارة، وتباطأت رضوى ذراع جاجان، وهب الجميع بالذهاب ورائهما - ولكن تلك الصيحة المدوية أوقفت الجميع عن الحركة صيحة أطلقها الجنائني منادياً على الدكتور عوني ... يا دكتور - يادكتور. فانتبهوا لذلك وإذا به مسرعاً يتكلم لهفة وحيرة ولم يكن يعلم ما يعلمه الجميع من الأحداث الجارية كان قد أرسله الدكتور منذ وقت لمعرفه ما حدث من أمر اختفاء مداخل وأبواب البيت. واختفاء بوابة الفيلا أيضاً فقال: وقد ملاً وجهه علامات الفزع لا يوجد أي باب البيت ولا يوجد معالم

لكسر حائط أو تغيير في أي شيء حتى إنني لم أعرف مكان الأبواب
إلا من بعض أواني الزهور وبعض الأشجار التي كانت بجانبها. هيا
بنا لترى ذلك....

وانطلق الجميع حيث أشار الجنائني، ليجدوا ما قاله حقاً وأن جميع
الأبواب قد اختفت تماماً وكأن البيت صنع بلا أبواب أو مداخل.
وقال: لقد حاولت كسر الحائط بالفأس ولكن لم أستطع تحريك أي
حجر من حجارة السور ثم حاولت في كل مكان ولكني فشلت أيضاً،
قال: الدكتور وأصابته الحيرة وأخذ الجميع يهتمهم في أحاديث جانبية،
أذهب لإحضار سلم لتشاهد خارج السور أي أحد من أهل القرية
وأساله أكان هناك شيء حول أسوار الفيلا أم لا؟ ثم أنزل إلى الخارج
لنعرف ما الأمر فاندفع الرجل وهو يصيح افسحوا الطريق وأحضر
السلم الذي يستعمله في قص وتهذيب الأشجار بجوار الحائط، وأخذ
يصعد السلم

وأسرع الرجل في الصعود حتى وصل أعلى درجاته فإذا به يصيح
في رعب كاد أن يسقط معه من أعلى، واندفعت الأسرة يساعده
حتى لا يسقط وهبط مسرعاً مرتجفاً من الصدمة.

نظر الجنائني إلى أسواره التي أحاطت به في توتر فأشار بيده نحو
الأسوار وقال: يوجد وحش بالخارج!

بجوار أسوار الفيلا عيون وحش عملاق وسط ظلاماً دامس ملاً بين
السماء والأرض أحاط بالمكان. واختفى من حوله كل شيء فلا
وجود للقرية، أو بشر، لا شيء سوى الظلام وذلك الوحش الذي يشبه
الذئب تقطر الدماء من أنيابه الحديدية ويكاد اللهب يخرج من عينيه
...

وجرى الرجل بأقصى سرعه نحو الداخل بعيداً عن أسوارها، فقد
بدا الظلام حولها يرتفع شيئاً فشيئاً حتى أحاط المكان وأصبح يراه

الجميع كما أصبح واضحاً ذلك الوحش الناظر لهم من خلف الأشجار، وأحاط وجهه بالمكان وسط الظلام الدامس، فقفز الجميع رعباً إلى داخل البيت تنطلق منهم الصرخات حتى سقط يوسف الذي التقته جاجان سريعاً وأخذ يجره إلى الداخل قبل أن يتعدل من مكانة. وقف أفراد الأسره بداخل الفيلا يلهثون ويلتقطون أنفاسهم قليلاً، فقد أصبح الأمر خطيراً، وفجأة سمعوا صوتاً هز أركان الفيلا لم يعلم أحداً من أين أتى ذلك الصوت أذى قال مدوياً: أنتم الآن سجناء الظلام حتى ينظر الأمير.... ماذا سيفعل بكم؟

اندفع جاجان اتجاه الباب ليقوم بغلقه، ولكن عاد الصوت بضحكه ساخرة... هل تعتقد ما تقوم به سيكون كافياً؟ ثم اختفى الصوت ولم يعلموا من أين جاء ولا ألي أين اختفى؟

احتضنت فريده يوسف الذي أخذ يصرخ رعباً وخوفاً وأخذ يخفى وجهه بين زراعي امه ألمرتعشين وألتي هي أكثر خوفاً من طفلها واشد هلعاً منه. وقد توقف عقولهم عن التفكير بعض الوقت.

حل المساء سريعاً ولا زالت الأسره في مكانها ولا زال الخوف والرهبه تتملكهم أما الدكتور عوني وصديقه فكانا يحاولان إيجاد حل لذلك فقد تحولت أسوار الفيلا ألي سجن وهم السجناء بداخله وتواروا على العالم الخارجي. فلم يعلم بوجودهم أحد خارج أسوار البيت ومازال الظلام يحيط بالفيلا، ولم يكن هناك أي جديد سوى اختفاء عيون الوحش من أعلى الأسوار، أما الحديقة فبقيت كما هي. كان يمكنهم رؤية السماء والأشجار والقمر والنجوم وأشعة الشمس... وكان الفيلا قد أخذت إلى مكان آخر بعيداً عن البشر.

خرج الدكتور عوني للحديقة، ثم نادى سريعاً على صديقه الدكتور ميلاد و أشار له ألي أعلى فقد امتلأت أشجار الحديقة بطيور اليوم

ونظر بعضهم لبعض و أتسعت عيونهم من الدهشة، ثم عاودوا النظر مرة أخرى ألي أعلى الأشجار فقد أثار أنتابهم تلك البومه ألبيضاء كبيرة الحجم عن أقرانها من طيور ألبوم و اتخذت نفس مكانها كما حدث باقي الأيام السابقة بجوار نافذة حجره جاجان مكان الصقر، الذي يتخذ نفس المكان نهار أليوم وتخلفه هي طوال الليل إلا هذا الليلة فقد امتلأت الأشجار بعشرات من طائر البوم . قال ميلاد موجهأ حديثه لصديقه : إذا فقد حشدت الملكة جنودها وحشد الأمير جنوده وستشتعل الحرب قريبا .

ولابد من إكمال حكاية السر للأسرة ثم نرتب شئوننا جميعاً كيف يمكننا مواجهة الأمر؟ وحتى لا تكون هناك خسائر!

قال عوني وإن لم يستطع بعضهم التحمل ماذا سيحدث حينذاك؟

فقال: ستكون الخسائر فادحه ثم علا صوته نبرة من الحزن والألم وارجوا ألا يحدث ذلك، فقد كان على يقين من وقوع بعض الأحداث السيئة، نظر عوني فوجد جاجان الحق بهما ألي الحديقة و أخذ يعتذر لعمة في ألم وحزن عما قام به، وأن بسبب فضوله قد وصل بهم ألي ذلك المصير المرعب، وأصبح الآن يتذكر كل شيء، فربت ميلاد على كتف الفتى وقال : نتمنى أن ينتهي الأمر بخير فلم يتبق سوى شهور قليلة فقط وكنت ستعرف كل شيء، ولكنك أسرعت بأبني الخطى وحدك بدون دليل وركبت جواد فضولك أالذي قادك ألي أالخطر أالذي ظللنا سنوات عديدة نحاول حمايتك منه ، وكان الأمر سينتهي عند بلوغك العشرين ، وهنا تذكر جاجان حديث عمه أثناء عودتهم من حفله تخرج الثانوية العامة عندما قال لم يتبقى الكثير، في ذلك الوقت تملكتم الدهشة جميعاً من تلك الجملة الغربية ، ولكن الآن فقد علمت أن عمي كان يتحدث عن حمل ثقيل أتعب كاهله وأخذ يعد الأيام والسنوات فقد كان يريد الانتهاء

منة بدون خسائر، سامحني يا عمى لم أكن أعلم حجم ذلك السر الرهيب الذى تحمله وحدك ، وأخذ ألفتى يكرر اعتذاره وعلى وجهه علامات الندم الشديد قال ميلاد : أتعرف يا جاجان كل مائه عام يبحث الملك عن مخلصه ومحررة كل مائه عام منذ عقود طويله، ولكن فقط يختار من يقوم بالبحث عنه فاذا بحثت عنه يتم النداء ليقوم باختيارك فقط "أبحث تجده "وستعلم كيف ذلك عندما نقص عليك باقي الأسطورة ، ولكن أتعلم أيضاً اذا بلغ من يختاره الأمير العشرين من العمر يعود الأمير وينتظر مائه عام أخرى أتعرف لماذا ؟ العشرون؟ لأن ذلك العمر هو عمر الأمير السجين العشرون عندما أعطت الملكة أوامرها بسجنه في الكهف الأحمر، او السجن الملكي، وكانت أحد شروط وثيقة العفو واستعادة الحرية له " أبحث يجداك أو ابحت تجده "لا فقط سيتحرك الأمير من سجنه إذا ما بحث عنه أحد

وسيكون ذلك هو الأمير المحرر كما يطلق عليه ثم ستكون هناك بعض الشروط أيضا إذا تم ذلك، ومنذ أزمه بعيده لم يستطيع أحد أن يبحث عنه ألا أنت. فقد حفظ كبير القبيلة الأفريقية السر وتوارث ذلك أجيال وأجيال بقييلته ثم جئنا نحن كبعثة علمية للبحث في الحوادث التي كانت قريبه من سجنه بالجبل فانتقل السر إلينا وكذلك فعلت أنت عندما بحثت عن الحجرة الممنوعة اقتربت منة كثيرا ثم حدث ما حدث.

وكنت مبتغاة الذى أنتظره طويلاً، ثم أحضرته الينا، ثم سكت لحظه ونظر إلى أسراب اليوم التي ملأت فروع الأشجار بالحديقة، وقال: وهنا سيكون ميدان الحرب.

أتعبوني إلى المكتبة قالها عمه وهو يسرع في خطواته إلى الداخل وتبعه جاجان والدكتور ميلاد ثم أمر أخته الجالسة وباقي الأسره لم تتحرك من مجلسها إلى الآن بان يذهبوا جميعاً غرف نومهم فهناك عمل جاد

ينتظرهم ولا مجال لا ضياع أي دقيقة من الوقت في الترقب وقد يطول ذلك الأمر بهم ليمتد حتى ساعات متأخرة من الليل ...

الجارية بعد ذلك معقبا على كلام الدكتور عوني وذهبوا ألي حجره المكتبة يتبعه صديقة وجاجان، كانت الوثائق والمخطوطات مازالت متناثرة في كل مكان ومنها المفتوح على المنضدة ومنها الموضوع على بعض الكراسي والأرف، فاقترب العالمان من الأوراق الوثائق المفتوحة على المنضدة ثم ألقى عوني نظره سريعة على معصم جاجان المغطى بالشريط الطبي الضاغط لمحاولة إخفاء حروف المخطوط وإبقائها في الظلام فحجبها عن الضوء يعمل على أضعافها بعض الوقت ومنع الأمير أهارب من أستعلمها سريعا. ثم نظر عوني متحصا الوثائق وقال في همس حسنا يجب ألا يرى أمير أالشعوب جاجان يجب أن يتم عزلة!، ولكن كيف الوصول إلى ذلك؟ وإذا بصوت رهيب كالصوت الذي سمعه جاجان في الحجرة السرية من قبل. قال الصوت: في صدى صوت أشبه لصوت زوابع الصحاري والجبال.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

كرر الصوت الكلمات أكثر من مره ثم اختفى. فأختلج ثلاثتهم من ذلك الأمر فقد سمعوا الصوت جيدا فقام جاجان مسرعا كالبرق لإغلاق باب الحجرة ظنا أن ذلك سيحميهم من تلك الأصوات أو من صاحب أالصوت أالمجهول، فلم يكن يعلم أن هناك قوه هائلة تستطيع اختراق أي شيء وكل شيء حتى جدران الغرفة وليس بابها فقط. واقترب من باب الغرفة فحاول دفعة بقوه وهو لا يعلم ماذا أحل به لا يتحرك ثم أطبقت على يده يدا قوية قامت بقبض معصمه فالتصق جسده بالحائط

وانطلقت منة صرخة مدويه مرعبة أنطلق عمه وصديقه على أثرها ليقموا بجذب ألفتي داخل الغرفة. فألقت به تلك اليد الخفية في الهواء ليسقط بعدها على الأرض في قسوة وشدة، ثم جاء صوت مروح لم يرى أحدهم صاحبة فقال: لن تهرب منى بعد اليوم _ ولن تهرب منى ابداً - والويل لمن سيفعل ذلك وصمت الصوت مخلفاً ورائه قطرات من الدم. فعرف الجميع حينها من يكون صاحب الصوت.

لم تذال الصدمة والمفاجأة تتملكهم حتى أتت صدمة أخرى أثر تلك الصراخات الأتية من الطابق العلوي لغرف النوم وأسرع الجميع ألي حيث الصرخة المدوية التي انطلقت من غرفة فريدة مره أخرى فكان المكان في حاله فوضى وهرج فهناك أتيا من غرفته، أو أتيا من الطابق الأسفل، كان المكان شديد الضوضاء، وتزاحم الجميع حول باب غرفة فريدة فقام بعضهم بدفعه بقوه، ولكن لم يستطع أحداً أن يدخلها.

فقد تحولت جدران الغرفة إلى وجوه مخيفة من عشرات الذئاب المفترسة تخرج رؤوسها من الحوائط مزجره ومكشره عن أنيابها لحديديه وينطلق اللهب من عيونها الحمراء وقد ساد الظلام أسفل وأعلى الغرفة ووقف هناك صاحب ذلك الوجه المرعب يسحب تحته سلاسل قيوده المقيد بها منذ مئات السنين، تقطر ورائه قطرات الدماء الآتية من خصلاته شعره أينما ذهب، وقف وسط الغرفة ومعه جنوده من تلك الوجوه البشعة من الذئاب المفترسة أذى امتده بها ملك الظلام. وقف أمير الشعوب الأمير ألهارب من سجنه بالكهف الأحمر بجبل الهلاك بجوار فراش يوسف وأمة، وقد التحمت فريدة بجسد صغيرها في رعب وقوه، تتعالى منها الصراخات المدوية في محاولة منع الأمير من لمس يوسف أو ألتعرض له ولم يعلم أحد ماذا يريد الأمير من هذا أطفل؟ كانت فريدة تتوسل ألي الأمير في بكاء مرير

يكاد يفتقر قلبها لوعة ورعب على طفلها الذي يحاول جذبته من بين ساعديها بواسطة خيوط من الضوء الأحمر الممتزج بالسواد يحاول أن يسحب بها الصغير الذي فقد وعيه من هول صدمته ورعبه لذلك المنظر الذي أربعهم جميعاً فكيف بطفل؟ وبين الرجاء والبكاء لم يقصى ذلك الهارب رأيه لخطف الطفل من أحضانها. ثم قاومت الأمير هي بدلا عن أبنها الصغير فحياتها مقابل حياة ابنها وان يفعل بها ما يريد فقط يترك طفلها ولا يؤذيه. كان أفراد الأسرة يقفون على مدخل الغرفة ولم يستطيعوا دخولها حيث بنى الأمير حاجزاً شفافاً باستعمال قواه السحرية فلم يستطع أحداً اختراقه، وأصبحوا يشاهدون ويسمعون كل ما يدور بداخل الغرفة، مع عدم قدرتهم فعل شيء، أما ساره ورضوى فلم يكفا عن البكاء والصراخ، وانطلق جاجان مسرعاً إلى المطبخ و اتى بسكين كبير ، وابتعد أسرته قليلاً فاندھشوا مما يفعل خشيه أن يقوم بإزاء نفسه ولم يجيب سؤال عمه ما ستفعل بهذا السكين؟حتى أصبح على مرأى من الأمير السجين فصاح عليه و رفع السكين نحو معصمه وقال مهدد إياه : إما أن تترك أسرتي ، أو سأقوم بقطع يدي التي بها حروف المخطوطة وستضيع إلى الأبد ، ولم يعرف أحد كيف جاءت إلى رأس الفتى تلك الفكرة الغريبة . فنظر إليه الأمير وأزاد وجهه بغضاً فأزال حاجز السحر بينهم وسحب الفتى داخل الغرفة فانتزع السكين من يديه والقى به أرضاً ثم رفع جاجان إلى اعلى الغرفة فتعالت صرخات أسره رعباً وقال له مهداً: إياك أن تحاول أو تفكر في ذلك الأمر فانت لي وما معك هو لي. ثم القى به أرضاً خارج الغرفة. واغلق باب الغرفة في عنف وبقي بداخلها مع فريدة ويوسف التي امتزجت صرخاتها مع صراخ أسرتها خارج الحجرة المغلقة. ثم أخذت الحجرة تمتلأ شيء فشيء بالأضواء العجيبة بين الأحمر والأبيض والأسود بدأت اسفل بابها المغلق واضحاً لمن بالخارج أيضاً فانتشر الضوء في كل مكان ولم يقتصر الأمر على

ذلك فقط ، بل كان هناك صراع رهيب بدا واضحا للجميع بين الضوئيين واذا بالباب يفتح في عنف وتقفز فريدة خارج الغرفة مسرعة حامله ابنها الصغير تاركه خلفها تلك المعركة الرهيبة التي تدور في حجرتها بين عملاقين احدهما كان الأمير الصغير ألسجين الذي شاهده ، والأسرة منذ قليل ، والأخر كان عملاق لا يقل باسا وقوه عنه ذات شعر اسود تتخلله خصلات ذهبية بدت كالأشجار المضيئة وسط الظلام لم يكن ذلك العملاق سوى الكاهن في محاوله لردع أمير الشعوب الهارب من سجنه .

أخذ جاجان ابن عمته من بين يديها المرتعشة، وأخذوا يفرون إلى الطابق الأسفل بعيداً عن رجا تلك المعركة الدائرة في محاوله للاختباء تجرى خلفهم حتى الخادمة وزوجها، فقد تم سجنهم أيضا داخل أسوار البيت. كان البيت في فوضى عارمه واضطراب شديد حتى قطع ذلك صيحة مخيفة جاءت من اعلى ثم سكن بعدها كل شيء ...

فوضع جاجان ابن عمته المغشى عليه فوق احدى الأرائك وجلس مثل أفراد أسرته محاولاً التقاط أنفاسه المنهكة مثلهم ، واستدار الدكتور عوني خلفه ببطء ونظر بطرف عينه إلى الخلف، ثم في كل الاتجاهات عله يرى أي من طرفي المعركة التي دارت منذ قليل بحجرة فريدة ... ولكنه لم يرى أحد ، ولم يعرف بعد ذلك كم مضى من الوقت عليهم ، ونظر من أحد الشرفات ألمطلة على الحديقة ، كان هناك شعور غريب تملكه حين شاهدوا طيور البوم قد تركت أماكنها فوق افرع الأشجار لتحيط بالمنزل من الخارج وبدت واضحة لمن في ، البيت وذلك عبر النوافذ والشرفات التي مازالت مفتوحة في ذلك الوقت المتأخر من الليل . وفي هذا الليلة رغم الأحداث الرهيبة قد علموا أن هناك قوى أخرى مماثله لقوه ذلك المخلوق تقف بجانبهم ولكن كيف؟ لم يعرف أحد بعد.

أرسلت الشمس شعاعها الصباحي الرقيق على الأشجار فاستيقظت طيورها التي انطلقت من أعشاشها مغردة سيمفونيتها الصباحية الرائعة لتسمعها الأزهار النائمة فتفتح وينتشر عطرها الذكي في أرجاء الحديقة كعادتها كل يوم لم يتغير شيء من جمال الطبيعة وروعها في ذلك المكان. ولكن تغيرت الأحداث فلم يعد أكثر الأماكن سكينه وهدوء، وعبرت شعاع الشمس النوافذ والشرفات في رقة وهدوء حتى لمس تلك الوجوه الغارقة في النوم منذ ليلة أمس مستلقية على أرائك غرفة الاستقبال، فقد أضناهم الإجهاد المستمر من الفر والكر مع ذلك المخلوق الغريب، وفتح البعض عيونهم في ترائب وتكاسل، واستيقظوا واحد تلو الآخر، وفي خلال دقائق قليلة كان جميعهم قد استيقظ من النوم. فعاد من كابوس الأحلام إلى كابوس الواقع الأشد مراره، فلم يعد يشعروهم الصباح ببهائه وجماله كما اعتدوا عليه منذ سنوات في ذلك المكان البكر الجميل.

مضي على استيقاظهم ساعة من الوقت استبدلوا فيها ملابسهم أما يوسف فلم يستيقظ فمازال نائماً لا يتحرك.

فهل كان نائماً أم كان هناك شيء آخر قد حدث للطفل الصغير شيئاً يعلمه أحداً حتى الآن؟؟

وأخذت فريدة تمسح جبين صغيرها في توجس، ثم أخذت تداعبه بيدها عسى أن يصحوا من نومة، ولكن باءت محاولتها بالفشل، فلم يستجيب لها، وبدأ يتحرك في فراشه، فتركته بعض الوقت ثم عادت مره أخرى محاولة إيقاظه، ولكن لم يستجب أيضاً كان الصبي نائماً نوماً عميقاً على غير عادته وقد اثار ذلك الشك والخوف في وجدانها فأخذت تهزه بقوة محاوله إيقاظه، وفشلت مره تلو الأخرى فأصعبها الفزع، وصدقت هواجسها فمنذ حاول الأمير

ألهارب اخذ صغيرها ونزعة من بين يديها وسحبه إلى الظلام، ولم تعلم ماذا حدث للصبى؟ واستبد بها الهلع فانطلقت عواطفه ألام وانهمرت دموعها مثل شلال جارف أنساب على وجنتيها...

فأسرع جاجان إلى الهاتف يحاول أن يصل طبيب، أو مركز طبي في ذلك الوقت فكان الهاتف بلا حرارة وتعطل عن العمل وتذكر ما حدث أمس، فقد سجنهم الظلام الذي أحاط البيت، وذلك الوحش الحارس بالخارج ذات العيون الحمراء والأنياب الحديدية فتأكد انهم معزولين عن العالم الخارجي سجناء بيتهم.

وأسرع جاجان يحمل يوسف ثم انطلق به إلى فراشة، ووضعته برفق وحاول أن يقوم بدور الطبيب وان لم يكن قد أكمل دراسته بكلية الطب بعد، ولم يأتي أيضاً بأجهزته الطبية في محاولة لإنقاذ الصغير ومعرفة ما أصابه ولماذا لا يستيقظ؟ فحاول أفاقته ببعض العطور القوية، وحاول أيضاً تدليك انفه قليلا ولكن محاولاته بائت بالفشل كما فشلت محاوله امه من قبل، فتعجب وقال:

أرى شيئاً غريباً! يوسف ليس في غيوبه كما نظن، بل هو نائما نوم غريب فهو يستجيب معي ولكن لا يتكلم، وليس تلك علامات الغيوبة التي درسناها، فلا هناك أي شيء غير عادى به، هو يشعر بكل شيء ولكن لا يستطيع الحركة كأن مكبل الحركة كأنه منوم مغناطسياً !!

واقتربت فريدة وجلست بجوار صغيرها تتنحب بالبكاء، وبكت رضوى على أخيها وشاركتها وسارة أيضاً ألبكاء.

أشار ميلاد إلى صديقه ونظرا معا لذلك الصقر الواقف بجوار النافذة وألذى يحاول أن يدخل عنقه من خلال فتحتها الضيقة، فأخذ

يحاول أن يفتح زجاجها قليلا ليدخل عنقه كمن يريد أن يرى شيئاً
ما داخل الغرفة،

وتساءل ترى ماذا وراء ذلك الصقر؟ شاهدت أيضا فريدة ذلك
الطائر فأسرعت بغلق النافذة فقد أصبحت تخشى كل شيء حتى
وان كان طائرا يقف على نوافذ البيت، وتتبع عوني وميلاد حركة
الطائر الذي لا يزال واقفا خارج النافذ ولا يزال يحاول فتح زجاجها،
واخذ ينظر إليهم في صمت مع استمراره فيما يقوم ولكنة فشل في
فتحها. أثار ذلك انتباه الجميع الذين أصابهم الفزع من عوده الأمير
السجين.

وتعالت أصواتهم مرة أخرى ، وعمت الفوضى والضجيج
المكان ، فنظر اليهم الصقر قليلاً ثم ذهب إلى اعلى شجرة
أمام نافذه الحجرة .وقف الصقر على احد فروع الأشجار
فجاءت بجواره بومة من طيور البوم ضخمة الحجم ذات
خصلتين من الريش تشبهان القرون قرب أذنيها ، وذات عيون
برتقالية اللون، و جلست بجواره في صمت بعض الوقت ثم
تبادلت ألبومه والصقر النظرات بينهم وبين الأسرة خلف النافذة
الزجاجية ف جذب انتباهه ذلك المنظر و ايقن أن هناك
حديث دائر بين البومة وبين الصقر بلغة ما لا يعلمها احد .
استمر ذلك الوضع بين البومة والصقر بعض الوقت ثم طارت
البومة تاركه خلفها الصقر جالسا في مكانة على فرع الشجرة
بالقرب من النافذة ... نافذه يوسف

ثم عاد مره أخرى وترك غصن الشجرة وجلس بجوار النافذة وحدث
شيء قد خشي منه الجميع

اقترب الصقر من النافذ وانطلق من رأسه شعاع ذهبي اللون اخذ يتلألأ حتى زجاج النافذة المغلق، فوصل إلى رأس الصبي أنائم فدار حوله في هدوء بعض اللحظات، وإذا بالصبي ينتفض في فراشة وفريدة تصرخ خوفاً على صغيرها،

خشيه أن يحدث كما حدث لهم بالأمس، وأصاب الفزع الجميع إلا الدكتور عزمي والدكتور ميلاد الذين نظرا بعضهما لبعض بارتياح إلى ما يحدث فقد كانوا يعلموا أن ذلك الصقر ما هو إلا "الكاهن الحكيم"، أما البومة فكانت الملكة التي قد أعطته الأمر باستعمال قواه السحرية؛ لا زاله السحر الذي أصاب ذلك الصبي، وأفاق يوسف من سباته واخذ ينظر للجميع في رهبة جاهلا أحداث ليلة أمس، ولم يخبره أحد بما حدث أيضا.

ونظروا إلى النافذ فاذا بالصقر قد اختفى تماماً...

تهلل وجه فريدة واحتضنت صغيرها في لهفة وحنان فأشفق أخيها لقلبها المفطور. وربت على يد أخته في حنان قائلاً: لا بأس وهو يعلم جيداً أن تلك ليس النهاية-نهاية الصراع مع الأمير وجنود الظلام. وأن لم يستطع البوح بذلك، وأن يثير مخاوفهم أكثر من ذلك.

فقال الدكتور ميلاد موجهها حديثه إلى الدكتور عزمي ... إذا فهو سحر بسحر،

قال نعم، وربت على يد جاجان ليلحق بهم، بينما يتقدم هو وميلاد نحو الباب تاركاً فريدة وصغيرها فجلست بجوارها ابنتها وبنّت أخيها.

انطلق ثلاثتهم إلى داخل المكتبة، فمازالت المخطوطات متناثر هنا وهناك الخاصة بتلك الأسطورة والكارثة التي حلت بهم،

وجلسوا حول المنضدة التي تناثر عليها المخطوطات، والكتب، والأوراق البيضاء، وأقلام بألوان مختلفة، كما كان يوجد أيضاً جهاز لاب توب ولكنة أصبح معطل ككل الآلات والأجهزة إلكترونية المتواجدة بالفيلا منذ أن أحاطها الظلام وأصبحوا سجناء بها ...

وهبت بعض النسيم عبر الشرفة المطلة على الحديقة التي بدت سمائها صافية. بدا كل شيء كما هو داخل الفيلا وحديقته يطوق المكان الهدوء والصمت القاتل كما يطوق الظلام أسوار الفيلا، نظر عوني لابن أخيه شاردا وقد هاجمت الأفكار السوداء رأسه واخذ يتساءل في صمت. ماذا لو لم يستطع حماية الفتى من ذلك الأمير وهذا الصراع؟ ترى ماذا سيكون مصيره؟ هل سيكون كما أخبرهما كبير القبيلة الأفريقي؟ كلما تذكر ذلك اطرق برأسه إلى أسفل وسبح في جب عميق من اليأس وملاً الحزن عينية.

بينما هو في شروده وأوجاعه، إذا بصوت هامس يحدثه داخل أذنيه. يحدثه هو فقط. كما حدث من قبل. كأن صاحب الصوت قد قراء أفكاره منذ قليل. فاخذ يتلفت يمينا ويسارا، باحثا عن صاحب الصوت فلم يجد بجواره إلا جاجان وصديقه اللذين انهماكا في قرأه المخطوطات أمامهما ولم ينتبهوا لما هو فيه من شرود.

تراجع قليلا للخلف ظنا أن ما سمعه هو أوهام عقله إثر تلك الأحداث الكثيرة التي مرت بهم ... ولكن. عاد الصوت مرة أخرى ليملاً سمعه. قائلاً: اتبع التعليمات ينجو الفتى!

وعاد الصوت يكرر الكلمات أكثر من مرة ... فاتبعت عيناه
في ذهول، فأخذ يردد دون وعى ... ممسك بحافته المنضدة
كيف؟ كيف؟ وما هي التعليمات؟ ما هي التعليمات؟ ولكن
الصوت قد اختفى ...

انتبه ميلاد وجاجان لذلك وما يقوله الدكتور عوني

فبادره ميلاد بالسؤال - أهنك اتصال آخر

نظر عوني لصديقه قائلاً - بلهفه نعم نعم

ولكن لا أعرف إلى الآن من يكون صاحبة؟ وماذا يقصد بما
قاله؟ وما هي تلك التعليمات؟ قال ميلاد: إذاً فلنسرع في
مراجعة ما قمنا بدراسته وتدوينه من قبل؛ عسى أن نجد شيئاً
فقد مضى على الأبحاث عشرات السنوات ولم نتوقع يوم أننا
سنلجأ إليها مرة أخرى.

ولم يكن يعرف الاثنين أن في هذه اللحظات الحالية تقام

تجمعات ومداولات من اجل اللقاء !!

لقاء الملكة وابنها الهارب، والذي تعاون مع الظلام سلم

نفسه لمن هو أدني منه شأننا

ولم يعلم أحداً أن في تلك اللحظة الحالية تعد لهم خطه

خبثة يقوم بوضعها الأمير الهارب مستعيناً بجنود ملك

الظلام... فهل أنتهى الأمر بنجاة يوسف من الأمير الشرير

وأعوانه؟ وهل انتهى الأمر بفك السحر من قبل الصقر أو

الكاهن الحكيم؟

لم ينته الأمر بعد. فلم يكن صراع الأمير الهارب بينه

وبينهم بل كان بينه وبين الملكة أولاً: صراع من أجل، فكثيراً

ما خضع لأمرها دون نقاش منذ طفولته ... أما الآن لم تكن
المعركة أزاله السحر الذي القاه على الصبي الصغير، فادخله
في نوم عميق في محاولة لتهديد أسره حتى تتم أزاله السحر
عنه أيضاً وينال حريته، واستعمال التعويذة الملتقة حول
معصم ألفتي، ولكن كان هناك أمراً آخر أمر يتعلق بالملكة.
كان يرى الحديقة قد امتلأت بجند من جنود الملكة من طائر
البوم المراقب للبيت والأسرة ... فأيضاً هناك الظلام وقد
وضع جنوده تحت أمره الأمير الهارب في كل حين، ولم يكن
ذلك دون مقابل، وان كان سيدفع عندما ينتصر على الملكة
كما اتفقا سابقاً... ولكن هل يعلم أمير الشعوب ما هو الثمن
الذي سيقوم بدفعه مقابل التعاون مع الظلام؟

كانت حديقة المنزل تمتلئ بجنود الملكة كما كانت محاطة بالظلام
وجنوده... ولم تنته المعركة بعد ... فقد دارت رحاها الآن ...

اتجهت عيني ميلاد نحو صديقه الذي أشارد غير منتبها لهم فدفع
إليه بمخطوطة كانت أمامه فانتبه قليلاً، وتناولها وأعاد النظر فيها
مرة أخرى فأثاره شيء بها لم ينتبه له من قبل فنظر اليه بتوتره ثم
أخذ مخطوط أخرى كانت بالقرب منه، ونظر فيها هي الأخرى
ثم دفع رأسه إلى أسفل ناظراً على الأشكال والرسومات وأخذ يضع
بعض العلامات بالقلم الرصاص حولها، ثم هب واقفا سحب من
خلفه دفتر تدوين الملاحظات، ثم ناول الدفتر لميلاد قائلاً أتعلم
هذا؟ قال: نعم، دفتر الملاحظات حين كنا بالكهف. تدوين بداية
العمل على تلك الأسطورة فقال متحمساً: وقد اكتشف شيئاً هام

فانظر هنا إلى الرسومات ا في المخطوطة الأولى فنظر ميلاد وقد أثاره ذلك أيضا ثم ناوله المخطوطة الأخرى وقال ثم انظر لتلك العلامات أيضا، ثم دع المخطوطات جانبا والتقط دفتر الملاحظات قائلا لصديقه: هنا بعض الملاحظات التي تم تدوينها من العجوز الأفريقي، وأفراد البعثة الذي لم يتبق منهم غير عدد قليل هم من نتواصل معهم أحيانا. نظر ميلاد وقد أصابه الإهتمام ثم ابتسم وقال: أخيرا قد وجدنا أول دليل يمكننا أن نتبعه في محاوله لوقف ذلك المعتدى، كنا قد نسينا تلك الملاحظات منذ سنوات طويلة قال عوني: نعم فلم أحصى عدد السنوات الماضية ونظر لجاجان وقال: كنت أحصى فقط عدد السنوات الباقية ... لم أتوقع أبداً أن أحداث الكارثة ستكون في آخر شهور المدة الباقية ... لم أتوقع نهاية الأمر ستكون هكذا.

اطرق جاجان إلى أسفل واخذ يعتذر لما تسبب فيه حيث تبع فضوله في معرفة سر الحجرة الممنوعة دون الرجوع إلى أهل العلم وسؤال عمه، وتجاهل ميلاد اعتذار جاجان كما لم يعقب على حديث صديقه فقال: لم يستطع ذلك الأمير منذ عقود على فعل ما فعله لا بمساعد ملك الظلام ...

رد عليه جاجان متسائلا ومن ملك الظلام هذا؟ أجابه عمه سوف تعلم عندما أكمل لكم باقي أحداث الأسطورة كما قصها علينا العجوز الأفريقي، والآن دعنا ننظر في دفتر الملاحظات والمخطوطات - انظر ياميلاد - اترى كل رموز المخطوطة! هي تماما مثل الرموز التي في دفتر ملاحظات الرحلة البحثية للكهف ترمز إلى شيء واحد فقط وهو. ولم يستطع أن ينطق باقي الجملة عندما وصل لذلك الاستنتاج فقد قامت فجأة عاصفه شديد اجتاحت كل الأوراق الموضوعه على الطاولة،

لتطير بها في الهواء إلى أعلى سقف الغرفة في دوامه أشبه بدوامات البحر، أو دوامات الأعاصير الكبرى، عاصفة رهيبية وفي منتهى العنف طار معها كل شيء حولهم في الهواء ثم يهوى مرة أخرى ألي أرض الحجرة في قوه غاشمة. فالتصق ثلاثتهم معا وقد تمسكوا بالطاولة أمامهم آثر ذلك العاصفة التي جعلت ملابسهم تكاد تتطاير من فوقهم، واستمر الأمر لحظات بدت كأنها ساعات طويلة، اختلط فيها كل شيء، تناثرت المخطوطات والأوراق في كل مكان، وتناثرت حولها كثير من الكتب من فوق الارفف كان الوضع في منتهى الفوضى. ثم انطلقت ضحكه ساخرة، وشريرة، انطلقت ثم سكنت وسكن بعدها كل شيء تماماً. نظرا للجميع إلى حالة الفوضى التي عمت الغرفة، ولم يعلق أي منهم على ذلك، فكانوا يعلمون جيداً أن الحرب قد بدت بين الجميع ولم يعودوا وحدهم بهذا المكان منذ أيام مضت وألى أن تنتهي هذه الأحداث. وعم المكان السكون بعض أوقت ثم حاولوا أعاده ترتيب المكان وجمع الأوراق والمخطوطات إلى أماكنها مرة أخرى ثم قال: ميلاد ما حدث الآن يثبت أننا على الطريق الصحيح من البحث. قال: عوني نعم، وسيقوم هو وجنوده بمحاولة تدمير تلك المخطوطات حتى يختفي ذلك السر الذى عثرنا عليه، ذلك الشيء الرهيب والسلاح الخطير ... ثم تتهد قائلاً نعيد المكان والأوراق أولاً ثم نكمل، فقد أضاعت تلك الفوضى كثيراً من أوقت كنا في أمس الحاجة اليها.

مضت أكثر من ساعة لإعادة ترتيب المكتبة لتعود كما كانت وأحسوا التعب والملل من ذلك الصراع الرهيب فجلس كل منهما

على كرسي ثم تناول الدكتور ميلاد منديلا ورقيا من عبوه
المناديل الموضوعة بأحد الأركان فأخذ يجفف عرقه الذى أنتشر
فوق جبهته وأسفل انفه. ثم تناول كوب من الماء وشربة مره
واحد وأسدل رأسه إلى الخلف وقد أنهكه التعب. وكذلك جاجان
وميلاد فاستسلموا جميعاً ألي بعض الراحة وساد بينهم الصمت.
كانت الحديقة باتت تكتسي بالظلال الرمادية، معلنة دخول
الليل الذي بدأ ظاهرا من خلال النافذة فعبر الدكتور عوني
الغرفة ليزيح الستائر الملونة والمزينة برسوم رائعة مبهجة، وبدأ
يفتح النوافذ الزجاجية ليدخل هواء الليل ألعيل إلى الغرفة. ثم
أطلق عينيه في ذلك فضاء الحديقة الشاسع والتي أوشكت أن
تكتسي بظلمه الليل، وتكتسى معها الدنيا بالهدوء. فكثيرا ما
كان الليل يعيد لنفسه الهدوء والسكينة حيث كان يحب الجلوس
في ذلك أ الوقت بجانب حمام السباحة هناك حيث أشجار الفل
والياسمين تتناثر في بهجة على سياج الحديقة بالقرب من مكانة
ألمفضل فينتشر عطرها أخلاب المبهج، ليسعد النفس الشجية
ثم تنهد في أسى، وقال: كان ذلك منذ أيام قليلة، واليوم تغير
كل شيء، لم يعد الليل يأتي بالهدوء ورائحة الزهور أخلابة بل
أصبح قدوم الليل يأتي بطيور البوم ألتى أحتلت الأشجار
والأغصان وكل جزء من الحديقة، ولم يعد الليل إلا موعدا مع
ذلك الكابوس الأسود الثقيل الذى قضى على كل بهجه في ذلك
المكان، ولم يعد لليل سوى ساعات من التوتر والوقوف على
شفرة القلق والخوف، انتظار أالمجهول، كان ذلك في حد ذاته
يثير الهواجس ويلغى أي نظرة قد ترى أي لمسة من الجمال
،أما اليوم فكان هو الأسوأ فلم يعد قدوم الليل فقط ما يثير
مخاوفهم بل اصبح النهار كذلك منذ سيطر ذلك المخلوق على

كل مكان ، وسجنهم داخل أسوار البيت الذي أصبح يحيطه جنود ملك الظلام ، وأصبح المكان مسرحاً لأسوأ كوابيس حياتهم كلها .

كانت الأزهار تتمايل مع نسيمات الليل فتتشر عطرها الذكي في كل مكان كما انتشرت رائحة الطمى المبلل التي امتزجت مع رائحة فروع الأشجار، وأخذت نسيمات الليل الرقيقة تداعب الزهور وأوراق الأشجار وكأن أجمال يصرخ ويقول: مازال لي مكان ومازال هناك وقت للتمتع بالبهجة، حتى في تلك الأحداث الجارية، وأن أشد الليل ظلاماً فهناك الفجر أقرب. والتفت خلفه ليلمح بركن عينه علامات الإجهاد التي قد علت وجه صديقه ووجه جاجان الذي أخذ يرتجف، في صمت فقال بصوت لا يقل تعباً عنهما. يكفي ذلك اليوم فقد نال التعب منا جميعاً

وانطلقوا إلى الحديقة حيث مكانهم المفضل بجوار حمام السباحة وأزهار الفل والياسمين وقد بدد ضوء القمر بعض ظلمة الليل، فأخذوا يتناولون أكواب الشاي الساخن وبعض الشطائر التي أعدتها أخدامة سريعاً، ولم تمض دقائق قليلة حتى اجتمعت أأسره معهم، ولكن لم تكن جلستهم اليوم كسابق عهدها، حيث أفرح والضحك واللهاو يملأ المكان، أما أليوم فتغير كل شيء وأصبح الترقب يملأ العيون أالخائفة، وساد صمت عميق بينهم إلا من بعض الهمسات بين يوسف ورضوى وسارة. أخذت عيونهم تنظر وتتابع طيور البوم الغربية الشكل، فذلك البوم الضخمة ذات الخصلتين من الريش تشبهان القرون فرب أذنيها وذات عيون برتقالية اللون، أما ريشها فقد كان قريباً لريش الصقور وهناك أبيضاء والسوداء أيضاً كان المنظر غريباً حقاً

وكانها جنود في مواقع مختلفة كلاً حسب رتبته الوظيفية! وقد ملأت المكان حول فرع الأشجار ونوافذ البيت فأثار ذلك في نفوسهم الخوف...وعادت همسات الرعب فيما بينهم و انضمت اليهم فريده في مخاوفها ، وأخذ ميلاد يهدئ من روعهم وبث الطمأنينة فيما بينهم شيئاً فشيئاً ، أما فريده فقد كانت تخشى على أبنائها وأبناء أبن أخيها ولم تنسى بعد ما حدث ليوسف ، ولم يكتفى ميلاد على طمئناتهم فقال : أن الطيور ألتى اختارتها الملكة لها أسباب كثيرة ، أولها أن البومة هي ملكة الطيران الليلي بين الطيور ، كما أن أجنحتها لا تحدث صوتاً أثناء الطيران ، كما أنها جنود الملكة الخواص تقوم فقط لخدمتها الشخصية ، وقد أوكلتها حراسة المكان أثناء الليل إلى أن يشرق الصباح ، ولا يكمن الخطر في طيور البوم المنتشرة بالمكان بل الخطر الحقيقي كان وراء أسوار البيت ، ووراء جزوع الأشجار حيث تلك العيون الحمراء التي ظلت تتربق وتصغى في اهتمام من بعيد لحديث الأسرة ، و كثر ووجهه المخيف عن أنيابه الحديدية اللامعة فكانت تبرق بوميض في هذا الظلام ألداس المنتشر بكل مكان .

اخذ يوسف يختبئ بحضن امه ويدس راسه في صدرها فقد كان هذا المكان هو الحصن والأمان للصغير الخائف، لفت فريده جسد صغيرها بحنان وأخذت تربت على رأسه وتقبله في وامتدت يداها تداعب خصلات شعرة التي امتد بعضها فوق جبينه فأدخلت السكينة على نفسه فاستسلم لها في صمت هدوء، ثم أخذت عيناه تنتقل بين أفراد الأسرة فشاهد بعضهم يهمس وآخر يتكلم في أحاديث جانبية فيما بينهم، لم يجمعهم حوار على موضوع مشترك بينهم. فكانت رضوى وجاجان يهمسان سوياً،

وأخذت سارة تتحدث مع عمته، كما كان الدكتور عوني وصديقه
يشتركان في حديث آخر.

كانت فناجين الشاي وأطباق الشطائر هي القاسم المشترك
بينهم، كانت عينية تنتقل بين أفراد الأسرة ولكنها ظلت مثبتتين في
كثيراً من الوقت على وجه جاجان، وأنتبه ألفتي لذلك الأمر، فعاد
يوسف يحدق في وجه ابن خاله، كانت عينية بها شيء مخيف مملوءة
حقداً وغلاً ثم ازداد الأمر ليملاً وجهه أيضاً الحقد والغل، وأصبح
واضحاً ولم ينتبه أحد له، وفجأة هب واقفاً وتخلص من يدي أمه،
وانطلق يلهو بالحديقة فأخذ يقطف أزهارها ثم انطلق ثم عاد يدهسها
بقدميه في عدوانية وشراسة. أخذ يتحرك في كل اتجاه بطريقة غريبة
كمن يدفع لعمل ذلك ثم أخذ ينظر في كل اتجاه، فكان ينظر أعلى
الأشجار تارة حيث طيور البوم الواقعة تتربق في صمت وهدوء،
وتتابع حركات وأفعال الصبي الغريبة. ثم أبتعد شيئاً فشيئاً حتى
اقترب تماماً من أسوار الحديقة حيث سياج أزهار الفل والياسمين ،
وأخذ يحدق في الظلام المنتشر خلف الأسوار دون رهبة أو خوف ،
مما أثار ذلك أمه فاطلقت صرخة فزع مدوية أنتبه لها الجميع ،
وأسرعت تجرى نحوه فقامت بجذبة بشدة ، فنهزته فنظر الصبي
إليها متعجباً وأخذ يتوسل أليها أن تتركه هنا بعض الوقت ...
ولكنها جذبته فمازال الخطر وملك الظلام يحيط بجنوده المكان ،
وأصطحب يوسف حيث مجلسهم ولم تدعه يلعب مره أخرى بعيداً
عنها ، وتساءلوا في دهشة عما قام به الصغير ، حيث كان منذ
لحظات قليلة ممسك بأمة وملتصق بها في رهبة وخوف ، أما
الآن فقد تلاشت من نفسه كل علامات الخوف .. فلماذا؟ تجاهل
الصبي كل الأسئلة التي طرحها أفراد أسرته ولماذا انطلق هكذا؟
ولماذا ذهب إلى سور البيت؟ وهل انتهيت مخاوفك؟ وارتفعت

الهمسات فيما بينهم، ولكن لم يعيرهم الصبي اهتمام لما يطرحون من أسئلة! وانشغل في مراقبة ضوء القمر،

ولمعان النجوم أعلى السماء ثم أخذ يحدق مره أخرى بعيدا في ذلك الظلام الذي يحيط أسوار المكان من الخارج، ثم اخذ ينظر لوجوه أسرته كلاً على حدة في تفحص على غير عادته فرأى: سارة وفريده تتحدثان معاً وجاجان ورضوى يتحدثان بصوت هادئ هامس حتى لا يسمع أحد حديثهما، ولو كانت الأحداث ما عليه الآن لنطقوا بالحديقة وحدهما بعيداً عن الجميع.

كما كان لعوني وصديقه حديثا آخر وان كان حديثهما أكثر وضوحاً من كل الأحاديث الأخرى الجارية حولهم فقد يدور حول الأحداث الحالية، بجانب عينه لمح جاجان فجأة عيون أصغير تحدق فيه مره أخرى بنظرات غريبة ارتجف منها جسده فقد كانت عيون يوسف تحمل كثيرا من الغل والحقد لابن خاله، ولكن لم يهتم كثيراً وانهمك في حديثه مرة أخرى مع رضوى، ولم تمض دقائق معدودة إلا وقد وثب يوسف نحو يد جاجان المربوطة بالشريط الطبي وسريعا فك وثاقها وسط دهشتهم وتوقف عقل جاجان لحظات فيما يحدث وتعالى الحروف حول معصمه وارتفعت معها صيحات الفزع من ذلك القادم المنتظر فقد أضاءت الحروف والطلاسم في انتظار أميرها !!

تلاأت حروف المخطوطة بأضوائها الذهبية فارتفعت قليلاً اعلى معصم جاجان ثم أخذت تدور حوله في بطيء، ثم أخذت في التوهج

قليلاً و ازداد بريقها شيئاً فشيئاً ، وأنطلقت طيور البوم المنتشر
بالمكان وأحاط جاجان حتى أختفى بداخلها محاوله حجب أضواءها
وعزل حروفها وطلاسمها من المضي قدما في الارتفاع بعيد أعلى
معصم الفتى ومنع انتشارها اكثر ... وأصاب الذعر العائلة، إلا
يوسف لم يبدو عليه أثرا لخوف مما أصابهم جميعا ومما فعل، و
كان خوفه فقط من طيور البوم ، فحين هبطت من أعلى الأشجار
توارى مسرعاً خلف المقاعد بعيداً عن الأنظار وبعيدا عن عيون
ألبوم وبخاصة تلك البومة الكبيرة ، ولم يلمح منهم الأمر فقد انشغلوا
لغطاء معصم جاجان من جديد وبأقصى سرعة ممكنة ، فأسرع
الدكتور عوني بسحب مفرش المنضدة حتى قذف ما فوقها بعيدا ،
وشق تجمعات طائر البوم حول الفتى وقام بلف المفرش حول معصم
جاجان سريعا فحجب الحروف والطلاسم المضيئة للتواري من
جديد في الظلام بعيداً عن النور، وهنا ذهبت طيور البوم مرة أخرى
ألي أماكنها أعلى الأشجار، وفور ذهاب طيور ألبوم بعيداً عن
المكان ، اسرع يوسف من خلف المقعد المختبئ خلفه فحاول فك
المفرش مرة أخرى حول معصم جاجان، وكان كمن أصيب بمس من
الجنون فأخذ يصرخ في الجميع اللذين حاولوا منعه فقام عدة مرات
في محاولة لفك الغطاء ولكن دون جدوى، مما جعل جاجان يقوم
بدفعه أثر محاولته الأخيرة ليطرحة أرضا، واذا بعيون الصبي تتسع
و انطلق منها بريق أحمر مثل شعاع النار مما أثار الهلع في
نفوسهم مرة أخرى ،ومن قريب لمح عوني خصله شعر برأس
يوسف قد تحولت إلى اللون الأحمر الدموي فشهب شهقة سمعها
الجميع ، وارتمى على كرسيه فكاد أن يفقد وعيه ويغشى عليه من
الصدمة

نظر يوسف في عيني عوني، وقد عرف كلا منهما الآخر، وتحول
وجه الصبي إلى تكشيره بغیضة المنظر عرف من صاحبها كما

عرفته كل الأسره أيضا. فأنتابهم حاله من الفزع وتعال صراخهم مرة أخرى، فلم يكن ذلك الوجه صاحب سوى ذلك المعتدى الذى يطاردهم من الماضي ألسحيق، وقد سيطر على الصبي وتخفى بداخله بفضل قواه السحرية، وأقتربت طيور ألبوم مره أخرى فقد كشف أمره فانطلق بعيداً وفر هارباً عن جسد الصبي الذي اغشى عليه فور هروبه، ثم نهض بعد ذلك دون أن يذكر شيء مما حدث. وتوعد الأمير الهارب أفراد الأسرة بكثير من الإلام حتى يحصل على سر المخطوطة والعمفو الملكي، فهل سيكتفى بما فعله مع الصغير أم مازال هناك المزيد...؟

ارتفعت أشعه الشمس فامتدت خيوطها خلال الشرفة حتى اقتربت من مجلسهم بحجره الاستقبال بالطابق الأول معلنه بداية يوم جديد، تمنوا فيه ألا يرهقكم ذلك اليوم كما حدث بالأمس، أخذ الدكتور عوني رشفة من فنجان القهوة ثم قال: لم تكتمل حكاية الأسطورة بعد ... فهناك المزيد يجب أن يعرفه الجميع حتى نعلم مع من نتعامل وحتى تمر تلك الأزمة بسلام. وأخذ يهمهم أتمنى ذلك. قالها وقد التف حوله أفراد أسرته ومازلت علامات ألتعب والإرهاق واضحة عليهم مما حدث، فاستمعوا في ترقب وحزر فقال: اندفع الكاهن العظيم وأمين سر المملكة في اتجاه ساحة العرش التي امتلأت بقيادة البلاد يمتثلون أمام الملكة، فشق الصفوف مسرعاً حتى اقترب، وفي توتر طلب منها لقاء سرياً منفرداً.... فأشارت الملكة فتم إخلاء ساحة العرش كما تم غلق الأبواب. نظرت اليه وعلامات التوتر تملأ وجهه. فبادرت بالقول: أعلم أين كنت. كما تعلم أنى أثق فيك جيداً وأنت تعلم ذلك فقبل أن تكون

حافظ السر فانت أيضا صديق للأسرة منذ الملك الأكبر أبى،
وأختصك دون الغير وأوصاك بنا، وها أنت منذ ذلك الحين لم تكن
وزيري ألمقرب فقط بل كنت المرشد الحكيم وأمين سر المملكة، فلا
داعي للتوتر وهات ما عندك، كلى آذان صاغية.
بدا الأمر صعبا عليه ولكن تماالك نفسه فقال: أعلم يا مولاتي أنى،
فقال في دهشة:

منذ وفاة والدي الملك الأكبر لم تقل لي مولاتي إلا مرتين الأولى:
عند أعلامي خبر وفاة ولدى، والثانية: عند خيانة زوجي !! فهل
هناك فاجعة أخرى؟ كي تنقل إلى خبر بتلك الجدية والرسومية -
ابتعد قائلا وقال نعم يا مولاتي - فقالت: إذا الأمر يتعلق بأمن
البلاد، أو أحد الأبناء.

فقال نعم: فقالت في توتر: هات ما عندك أيها الكاهن الحكيم،
فقال: الأمير الصغير-أمير الشعوب - هو من أحدث الفوضى في
البلاد لقد استعمل قوة السحر. و..ل ... ق د سكنه
الظلام شهقت الملكة رعبا وهلعا وأخذت تصرح في وجهه
الكاهن الحكيم كيف حدث ذلك؟ فقال لقد امتلأ قلبه بالحدق الأسود
من أخيه؛ ظنا أنه المفضل لدى الملكة الأم، ولذلك عهدت ألية
أدارة الأمور العظمى بالمملكة دون أن يشاركه في ذلك. كما كان
يعاقب بدون أقل الأمور. وقد حاولت كثيرا مناقشة هذا الأمر معك
يامولاتى، وأنه لا يقل نكاء عن أخية ولكنك لم تهتمي بهذا الأمر
ثم افتعل أالمشكلات الصغيرة ليرى هل ستتعاملين معه مثل أخية
في عرضها وحلها، فلم ألا العقاب الشديد والتوبيخ دون نقاشة في
الأمر أو لماذا فعلت كما تفعلين مع الأمير الأكبر!

فكان يراك عوننا ودعما لأخيه أما هو فغير ذلك فلم يلقي يوم عوننا
او دعما منك!

فقلت في ثوره عارمة: من الغضب الشديد للكاهن الحكيم، وهل قمت بذلك؟ هل أنا فعلت ذلك؟ قال الكاهن _ يا مولاتي في مرحلة الطفولة، وهي مرحلة التعليم الأولى والهامة في حياة الأبناء بتلك المرحلة يامولاتى تكون ألام هي المدرسة الأولى والمعلم العظيم في حياة الأصغير ولكنك كنتي له الملكة فقط وليس الأم أذى أفتقد أرشداها وحنانها، فقد كان اهتمامك ألوحد بأكبرهم عمرا فقط، ولم ينتهي الأمر عند ذلك فعندما تولى الأبناء أدارة البلاد اخذ الأمير الأكر الجانب الأهم من الإدارة أيضا دون توضيح للأخر لماذا فعلت ذلك؟

فقلت بغضب: تعلم لماذا أيها الكاهن فالأكر هو يتولى الجزء الأهم في الإدارة وهي إدارة الجيوش، وهذا المتبع في قوانين البلاد! فقال: ولكن هناك بعض المهام من المفترض أنها مشاركة بينهما في القيادة ولم يحدث ذلك! وعندما حدث ذلك الأمر أستدعى الأمير ذكريات طفولته فاخذ يقارن بينه وبين أخيه منذ ذلك الحين من حظه في قلب أمه وحبها، وكثيرا ما كان يتم تعنيفه وكثيرا ما كان يتم التغاضي على مثل الفعل لأخيه، وبعد ارتداء التيجان وتوليها شئون الحكم لم تتغير طريقة التعامل معهما فكان يتم مناقشه الأمير الأكر في اجتماع مغلق بينك وبينه لم يعلم أحد أن كانت هناك توجيهات أو سلبيات لدية ، أما هو فلم يحدث أن قمتي بذات الأمر معه ، و كانت التوجيهات على مرأى من الوزراء، كما كانت ألسلبيات هي فقط من تناقش ،أما الإيجابيات التي يقوم بها فلم ينال أي ثناء عليها يوميا ما . فلم يرى ألا إجحاف لحقوقه دون أدراك؟ وقد قمت سابقا بمحاولة لفت أنتباهك لهذا الشيء كثير

فقد أجتهد كثيراً لإدارة شئون الشعوب بطريقه ناجحة ومميزة لكنه لم يلق ثناء على النجاح في عمله. حتى أعتقد ا، عمله بلا قيمه وبلا هدف.

، فاختلط عليه الأمر وفقد جزء كبيراً من تماسكه النفسي إثر ذلك، فجانب نشأه الجافه الخالية من عطفه الأم وما يراه الآن من تميز أخيه، رأى ذلك طعن في حقوقه العاطفية والملكية، وأن كان اهتمامه الأول هو مكانته في قلب امة وحبها ورعايتها، فكان يرى أخيه الأكبر قد استولى على حقه في قلب الأم كما استولى على حقه في إدارة بعض الشئون...وهنا نسى برتوكول الحكم وأداره القصر وحاول اخذ حقه المسلوب من الاهتمام والرعاية والإدارة. اعلم انى قلت تلك الأمور من قبل، ولكن الأمر الآن ليس بيدي الأمير الصغير فقط.... فقد تملكه الظلام.

وتحولت خصالاته الذهبية التي تنير الطريق بالخير وتزرع النماء أين ذهب إلى خصالات حمراء تقطر دماء... لقد تملكه الظلام ومع تلك القوى السحرية التي ورثها منك... لا يمكن الآن تتبع تحركاته أو معرفه ما سيفعل لاحقاً...لقد خرج عن السيطرة... ولا يستطيع تتبعه منفرداً رغم قوانا السحرية العظيمة... فقد أمده ملك الظلام بكثير من الحيل، أمور ألتخفى...

كانت الملكة شديده الدهاء متقدة العقل وإن كانت قليلة العاطفة. صممت بعض الوقت ثم قالت للكاهن سأستدعى الأمير الصغير إلى ساحة العرش للنظر فيما تقول، ولكن قبل ذلك سيكون هناك اجتماع ثلاثي أنا وأمير الجيوش وأنت اليها الكاهن الحكيم _ نفذ ما قلت ونتقابل ثلاثتنا في ساحة العرش.

ثم صمت كبير القبيلة الأفريقي قليلا وسبح بنظره في الفضاء
وتتهد شاردا ثم قال: أسطورة تتكرر في كل العصور منذ القدم،
أسطورة زهور الحب الذي يموت بأيدي من نحب.

استبد الحقد بأمر الشعوب فتبدلت خصلات شعره الذهبية دليل
الخير والنماء إلى خصلات حمراء تقطر دماء دليل الشر والكراهية
كانت خصلات شعره تبوح بمكنون قلبه من خيرا أو شرا، كانوا فقط
حكام المملكة ومن يتولون سلطة البلاد، الملكة الأم والأميرين
والكاهن الحكيم هم فقط من يتمتعون بخصلات الشعر الذهبية دون
غيرها من أفراد الشعب. فلم يكونوا فقط قائمين على الحكم، ولكن
أيضا حماة الاتجاهات الأربع للمملكة بفعل ما يتمتعون به من قوى
سحرية عظيمة فقط دون أهل المملكة أيضاً. فقد كان يمتلك القوة
السحرية كل حكام الممالك فقط والقائمين على الحكم بها في ذلك
الوقت. وكانوا هم أشدهم قوه وأشدهم سحرا فكانت مملكة الشمس
اقوى الممالك المحيطة بها، ويفضل قواهم الأربعة معا، ويفضل
المعدن النفيس الذي يوجد لديهم فقط أمدهم ذلك بالسطوة والتميز.

إذا انطفأ نورك الداخلي وقادتك الظلمات إلى الأعماق هنا سيكف
الزمن عن ملاحظتك وعن تعاستك، ولن يكون من الضروري أن
تختبئ في ثنايا المكان فلن تستطيع الحياة أن تمارس رعبها
وتجعلك تطلق صرخات الخوف لأنك قد أصبحت أنت الخوف،
وان التعاسة للجميع، وهكذا أصبح الأمير الصغير مصدر تعاسة
للجميع.

انتظرت الملكة على كرسي العرش وانتظر بجوارها كلا من ابنها أمير الجيوش وأيضاً الكاهن الحكيم ... وقد خلت ساحة العرش من الجميع إلا ثلاثتهم في انتظار أمير الشعوب.

انتظروا كثيراً من الوقت وأخذ التوتر يصيب الملكة، فقامت باستدعاء أحد جندها السريين من طيور البوم، الذي لا يعلم عنهم أحداً شيئاً سوى ثلاثتهم أيضاً وأمير الشعوب، فانطلق الطائر بالأوامر الملكية خارج قاعة العرش من أحد نوافذ القصر المفتوحة على الفضاء الخارجي ثم عاد سريعاً وجلس في صمت تام على أحد النوافذ وأخذ يحدق ببصره إلى الباب الرئيسي لساحة العرش والبلاط الملكي. وألى الآن لم يأت أيضاً أمير الشعوب وهنا صاحت الملكة وأعطت أوامرها لأمير الجيوش أن يستدعيه ويحضره بصفة رسمية فوراً

لم تنهى الملكة أوامرها إلا وانطلقت ضحكة ساخرة مجالطة اهتزت لها قاعة العرش، وأخذ الثلاثة يبحثون بأعينهم يميناً وشمالاً عن صاحب الضحكة الساخرة ومن يجرؤا على ذلك؟ ... هنا ظهرت هالة عظيمة من النار الحمراء، والتي أختلط فيها اللهب البرتقالي والأسود معاً، كان بها كرسي كبير الحجم اسود اللون على جوانبه عشرات من رؤوس الأفاعي التي أخذت تتحرك حول الكرسي وحول صاحبها وسط دائرة النار ... ثم تقدمت هاله النار نحو كرسي العرش الملكي فكان مباشراً أمام الملكة فانزلها أميراً لشعوب بإشارة من أصبعيه، ثم قام من مقعده وتقدم في اتجاه الملكة في تحدى وقسوة، وأصابته الدهشة الجميع ... انتظرت الملكة قليلاً كي تسترد قوتها واتزانها مرة أخرى ثم قالت:

أرى أنك قد أفرطت في استعمال قوتك السحرية.

- رد ساخراً - ولما لا؟ هناك سبب يمنع ذلك؟

- ولكن قوتك جزء من قوانا التي تتحكم في الجهات الأربع لحماية المملكة.
- رد عليها في قوة وأكثر سخرية وقال من يدير المملكة عليه حمايتها ثم نظر بحقد إلى أخيه، وقال من يقوم بحماية المعدن النفيس يحمى المملكة أليس كذلك؟
- ولكن المعدن النفيس جزء من حماية المملكة أيضا، ونحن أعظم ممالك الأرض بفضل اتحاد قوانا السحرية ألا تعلم ذلك؟
- فقال ساخراً وهل أنا حقاً جزء هام من قواكم يامى؟ لا يهم أن فقدتم جزء من قواكم السحرية فمازال هناك ثلاثة أجزاء
- استشاطت الملكة غيظاً من حديث ابنها وقالت: إلا تعلم أن هناك قانون يحرم استخدام قوانا السحرية إلا في حماية شئون المملكة ولكنك تستغلها في نشر الخوف والرعب بين الرعية ... فلماذا؟
- وأجابها ومازال نبرات صوته تحمل الكثير من السخرية والكراهية فقط يا مولاتي أقوم بعملتي كما تعلمين جيداً أى غير مقصر في أداء ذلك العمل ألهمين، وأجد كثيراً من فراغ الوقت فأقوم بالترويج عن نفسي قليلاً فليس منشغلاً بكثير من الأعمال، كما أنى مبعد عن المشاركة في أمور القصر أو قراراته ثم جلس على كرسيه مرة أخرى متحدياً الملكة، وقام بسؤالها فلما استدعائي ألي هنا؟
- أجابت الملكة في ضيق بسبب استعمالك للسحر في غير موضعه، وثانياً: هيئتك التي تغيرت وألت لما أنت عليه الآن ... وكى أعلم ما الأسباب التي دفعتك لذلك ...، أطلق ضحكة ساخراً قبل أن يقول أمير الجيوش محاولاً تهدئة أخيه أن كان هناك ما يقلقك سأقوم بعقابه أشد عقاباً وبدأت في عينية نظره غريبة ومريبة بعض الشيء.
- وهنا ضحك أمير الشعوب ضحكات هستيرية متواصلة مثل الذي أصابه مس من الجنون. ورد قائلاً وقد نظر إلى الملكة نظره

تملأها الكراهية والحقد - أحقا ما تقول - أيمن أن تعاقب أي شخص قد أساء إلى؟! وتعالى ضحكاته الساخرة مره أخرى لتملأ أركان المكان فأخذت الملكة تختلس النظرات اليه كما كان الكاهن الحكيم يفعل ذلك أيضاً الذي قال: نعم يامولاي، ولكن هل هناك من يجرو على الإساءة إلى مولاي أمير الشعوب؟! فرد عليه بصوت أشبه إلى الهمس وقد أطرق رأسه إلى الأرض، أمتأكد أنت أيضا من هذا الأمر أيها الكاهن؟! ... ثم صرخ واقفاً واقترب من عرش الملكة في قوة واندفاع وحقد، مشيراً إلى الملكة وقال: اليكم إذن من تريدون عقابه هل سألها أحدكم ماذا تفعل وكيف تدير الحكم وكيف تقيم العدل بين أبنائها؟! ثم أشار إلى أخيه قائلاً ألم تسمع يا أمير الجيوش ألم يخبرك جنك وعسسك؟ واخذ يصرخ كالمجنون ألم تسمع السخرية التي أتعرض لها في سائر المملكة؟ ألم تسمع القصص التي تحكى بالحنات والأسواق والطرقات حول أمير الشعوب الذي منعت الملكة مشاركة أخيه مهام حفظ سر قلعه المعدن النفيس. وأسندت اليه مهام ذات شأن صغير هل يمكنك أن تجيب تساؤل ألعامة لماذا فعلت ذلك؟ سأجيبك أن كنت لم تعلم! بعضهم يقول إن الملكة ترى أن ابنها الأكبر هو الأقوى والأكثر ذكاء والبعض الآخر يقول هناك شيء آخر لا يعلمه العامة وكثير من القصص المهينة، واخذ يصرخ في وجه امه يرد منها الإجابة هل أمير الجيوش اقوى وأذكى من أمير الشعوب؟ كيف؟ هل كان هناك مهام لم أستطع القيام بها؟ لماذا لم أقوم بحماية القلعة معه كما هو متبع بقوانين المملكة؟ لماذا؟ ولماذا تتعاملين معي بهذا الطريقة المهينة منذ طفولتنا؟ واخذ يصرخ في حقد وفي غل. وكلما تعالت الصرخات كلما زاد نزيف خصلات شعره لقطرات الدماء أكثر وأكثر،

وساد الصمت ساحة العرش قليلاً، ثم قطعت كلمات الكاهن ذلك الصمت فقال موجها حديثه إلى الأمير الصغير ولكن يامولاي لا تأخذ الأمور هكذا. كان يمكنك طلب مجلس ملكي لمناقشه ما يغضبك. أطلق ضحكة ساخرة ونظر للكاهن وقال: إلا تذكر أيها الكاهن الحكيم كم عدد المرات التي تم استدعائي ألي ساحة العرش ليس لمناقشه الأمور كما تقول أو كما يحدث مع أمير الجيوش، ولكن فقط لأتلقى وأبل من التائب واللوم الملكي الذي لم أجد غيره يوم من الأيام. فاذا كان الأمر هكذا دائماً فلما اطلب مجلسا اعرف ما سوف يدور فيه كما اعرف نهايته أيضاً؟

ثم نظر لأخيه والكاهن وتراجع للخلف قائلاً لقد عرفتم الآن فهل سيمكنكم عقاب من جعلني كذلك؟

انتفضت الملكة غاضبه من فوق كرسي العرش، وصاحت في وجه ابنها مشيرة اليه في ثوره غضب. كيف تجرؤ على إهانة العرش الملكي؟ لم تكمل الملكة حديثها إلا وقد التحف ملك الشعوب داخل عباءته الملكية قد اختفى تماماً مخلفاً ورائه قطرات من الدماء الذي أمتزج لونها بلون السواد قد أصبغت بلاط العرش الملكي بلون غريب من الدماء.

هنا تأكد للملكة أن ابنها خرق قوانين استعمال قواه السحرية داخل المملكة...و لم يكن الابن الأكبر للملكة اكثر حظاً من الابن الأصغر وان اختلف الأمر فان كان خطأ الملكة الأم عدم الاهتمام باحتياجات صغيرها النفسية والعاطفية في طفولته المبكرة فتراكمت أخطاءها بداخل قلبه الصغير، لتحول النفس الجريحة ذلك القلب إلى القسوة ألغاشمة ثم أصبحت القسوة هي طريقة. أما الابن الأكبر الذي نال كثيراً من الإهتمام والآثار فقد زرعت فيه الأنانية والقلب المتحجر فقد تعلم من أمة السعي ألي أهدافه حتى أن كان ذلك مروراً فوق قلوب. وان كان أخيه او أقرب المقربين

إليه. ولم يعد يشعر بمعاناة أخيه كان يعلم تماماً أن تميزه لدى الملكة أمراً يؤلم مشاعرة، ظهر ذلك في كثير من الصور منذ طفولتهم وصباهم معاً لكنة لم يعطى الأمر أي أهمية ...

كانت الملكة تعد ابنها الأكبر ليتولى مقاليد الحكم من بعدها ولم يحدث ذلك الأمر من قبل في أي من الممالك أو الملوك السابقين حيث كان الحكم قائم بالمشاركة المتساوية بين الأسره المالكة والقائمين بالحكم كما أن هناك مجلس ملكي لمناقشه أي من أمور المملكة...ولكن ما حدث الآن كان امراً جديداً و غريباً و أثار تقسيم الحكم بهذه الطريقة الراي فتحدث الخاصة والعامة في حق أمير الشعوب بكثير من الإساءة التي كانت الملكة والابن الأكبر سبب رئيسياً فيه، ولم يستطع أن يتحمل معاناه أخرى ، فتحول إلى لذلك ولم تعلم الملكة أنها صنعت بيدها عدواً أخطر وألد من أعداءها جميعاً ...

انطلق الأمير الغاضب يمارس مهام عمله كما هي المعتادة بداخل قصره لا دارة الشعوب، يمتلكه الغضب واليأس وأصبح في صراع رهيب وكأن الشياطين تستولى عليه وتعيّنه بأفكارها السوداء، فأصبح يفكر كيف يدمر من كان سبباً فيما شعر به ألان. يدمره مهما كلفة الأمر. فقام باستعمال قواه السحرية بإفراط في مراقبه كل خطوات الملكة، ولم يعلم الأخويين أن كلا منهما يقوم بمراقبة الآخر دون علمه، وقد اعد كلا منهم خططا دقيقا ومحكمة لذلك الأمر دون أن يعلم كلا منهما بأمر الآخر وفي سرية تامه، وكان دعم الملكة في جانب أمير الجيوش، الذي كان لديه الكثير من الخطط السرية التي لا تعلم عنها شيء ... وها هي الفرصة قد أنته فهل يتركها تنقلت من بين يديه؟ وهل سيقوم بتنفيذ أوامر

الملكة كما أعدتها؟ أم سيقوم بما يرى فيه صالحه أولاً وأخيراً؟ وإن كان ثمن أهدافه أخيه أو حتى الملكة شخصياً... وتساءل في نفسه قبل أن يبدأ في تنفيذ خطته قائلاً: ولكنها ما زالت الأقوى ومازال يحتاج لكثير من دعمها وكثيراً من علمها والكثير من أسرارها التي لازالت مخفية عن أبنائها.

وانتشر أخبار ذلك الصراع بين الأسرة الملكية بين الملوك وبعض قادة الحكم، ومازال كلاً منهما يقوم بمهام عملة كما يقوم بحماية الجهات الأربع من المملكة والتي مازالت أقوى الممالك وان سادها الحزن وان سادها كثيراً من التوتر أثر ذلك الصراع الدائر بين الشقيقين،

الم تعلم الملكة وهي العالمة ببواطن الأمور ما يدور بين أرجاء قصرها؟ أو لم تعلم وهي الأم ما هي حاجة الطفل؟ وما وماهي حاجة الصبي؟ وما هي حاجة الفتى؟ وان اختلفت جميع الاحتياجات في المراحل العمرية، فهناك شيء واحد لا يتغير بينهما مهما تقدم بنا العمر ألا وهو نعمه حنان الأم. ذلك الناقوس الذي لا يتغير فعاطفة الأم تظل كما هي لا يتغير دفئها وان بلغ أبنائها المشيب. ولكن هناك قلة من النساء تفقد تلك الجوهرة الثمينة التي هي اهم جواهر المرأة.

فما كان ينقص ذلك الصغير كي تقسو عليه هكذا. أكان ذلك بسبب رفته المفرطة مع كلبه الصغير حين كان يلهو معه ويقدم له بعضاً من طعامه؟ أم كان ذلك بسبب طفلاً صغير اخذ يلوح له داخل احد الأسواق حين كان يمتطى جواده وقد أحاط به الحرس في موكب ملكي صغير أثناء ذهابه للتنزه داخل أسواق البلاد وكان عمره في ذلك الوقت اثني عشر عاماً، فقام بجذب يد الطفل وأجلسه خلفه على جواده عدة امتار قليلة قبل أن ينزله مره أخرى مما أثار أعجاب العامة وغرس البهجة في قلب الصغير وأبيه،

فتعالت صيحات السعادة تملأ المكان حولهم، وهتف العامة باسم الأسرة المالكة إلى أن غادر المكان، أم كانت عاطفته الجياشة حين خرج الطبيب ذات يوماً من غرفه الملكة فاندفع خلفه يبكي بكاء الأطفال الأبرياء مطالباً الطبيب أن يسرع في علاج أمه، حتى لا يراها تتألم، وذهب الطبيب فاندفع كالرياح المرسله ليحتضن أمه واخذ يقبلها مرتعشا خوفاً من فقدها؟ ترى كانت رقة مشاعره هي التي تخيف الملكة فأخذت تقسو عليه لذلك الأمر؟ أكانت تلك الأمور هي من جعلت حياة الصغير حياة بائسة؟ أكان عليه أن يكون فظاً غليظ القلب متبلد المشاعر، أكان يعاقب لرقه مشاعره! نعم كان ذلك العقاب بسبب ذلك كانت الملكة ترى في ذلك المشاعر المرهفة خطر على أداره الممالك وخطر على الملوك. وحين فشلت في تحويل مشاعر الصبي أخذت على عاتقها أن تؤول أداره المملكة للابن الآخر الذي فقد كان ذو شخصية مختلفة تماماً عن شخصية أخته.

جلست الملكة على كرسي العرش، وأخذت تفكر في تفاصيل الماضي الذي تعلمه وعن أسباب عدم تطبيق القانون في تطبيق مناصفة الحكم بين أبنائها ولماذا فعلت ذلك؟ وإذا بالكاهن الحكيم يقطع عليها صمتها ليقول: والان يامولاتى ترى ماذا أنتى فاعله؟ نظرت اليه الملكة في تحدى غير نادمة على ما قامت به بين الأخوين ... وقالت سننتظر لنرى ما يكون من الأمر - فقال الكاهن ... عفوا يا مولاتي حاولت منذ زمن بعيد تغيير مشاعر الفتى لما يروق لكى، حاولت كثيراً وأند عاطفته البيضاء وكثيراً ما كنت الناصح الأمين كما كنت مع أبويك من قبل، وها هي الآن قد تغيرت أكثر مما أردت أن تكون بل ماتت العاطفة لدية، فهل يعجبك ذلك التغيير؟ يامولاتى كثيراً ما حاولت أن لفت انتباهك لذلك الأمر الشخصي وأن الأبناء والشعوب كما تحتاج إلى القوة

تحتاج إلى العطف فإن بقي الأمر كذلك ترى ماذا نحن فاعلون؟
أصبح الفتى الآن ذو قوة وذو بأس شديد، وقد تملكه الحقد الدفين
وها نحن نرى صراع القويين صراع الأخوين ... فمنذ تلك اللحظة
أصبحوا ندين وليس مكملين لأركان المملكة ... فلننتظر، ماذا
سننتظر؟ ثم ابتعد الكاهن قليلا عن كرسي العرش، وقد طلب
الإذن بالانصراف كي يعرف ما يدور بداخل المملكة.
ذهب وقد ترك الملكة وحدها داخل البلاط الملكي غارقة في
الأفكار ...
أما الأمير الكبير والأمير الصغير فقد دقت طبول الحرب بينهم

الفصل السابع

مضت عدة ساعات حتى كاد النهار على الإنتصاف ، فانتبه الرعية إلى صوت بوق شديد يخترق الفضاء وقد اصطف على اثره الجند على جانبي الطريق، والأبواق في أفواههم ، ونفخوا فيها نفخ طويلاً متصلاً ثم علت أيضاً أصوات قرع الطبول فعلم الرعية أن هناك موكب ملكي يتحرك من داخل القصر، و عما قليل سيغادر أحد أفراد الأسره المالكة أما الملكة الأم ،أو أمير الشعوب، أو أمير الجيوش ، فنظروا إلى الطريق بأعناق مشربئه وعيون مترقبه وأذان صاغية فمنذ كثيراً لم يشاهدوا موكب ملكي دقائق قليلة وقد تحركت طلائع الجيش تسير في صفوف متراسة على دقات الطبول ونفخ الأبواق ، يسير خلفها حاملي الأعلام ، وحاملي الأسلحة، والسيوف ، والتروس، وبعد قليل منهم فرقة للمشاة ، ثم من بعدها الخيول الذي أرتفع صهيلها الذي لفت الأنظار. كان بالموكب كبار رجال الكهنة، والقضاء، والأمراء، والوزراء، واختتم الموكب المهيب بالحرس الملكي، وتعالت الهتافات تهز أرجاء البلاد، وتصل أعناق السماء، فلم يشاهد أحد موكباً مثل ذلك من قبل منذ تولت الملكة الحكم، وانبهر الجميع الذين أخذوا يحدقون ويتسألون لمن هذا الموكب المهيب؟ فإذا به واقف وسط الركب على عربته غير ملتفتاً إلى أحد من الشعب. محافظاً على جلاله وهدوءه، ومضى الموكب من قصر أمير الجيوش إلى قصر الحكم للقاء الملكة وقاده البلاد والكاهن.... فمنذ اجتماعه بالملكة والكاهن وأخية الذي ترك ساحة العرش مختفياً فجأة مستعملاً قواه السحرية، وقد ضرب بكل القوانين عرض الحائط. بدا له منذ اليوم منافساً قوياً إن لم يكن عدواً لدود -كانت تلك الأفكار تدور

برأسه وسط ذلك الموكب - ولم يكن يعلم أن هناك أيضا من يشاهد في صمت هذا الموكب تبدو على وجهه علامات الغضب، وكان نذير بالويل واخذ يفكر ماذا سيفعل الآن؟

كان يراقبه متخفيا في صمت بين الحشود المصطفة على جانبي الطريق. لم يشعر لوجوده أحد وان كانت هناك قطرات من الدماء باتت خلفه بعد رحيله وتوارى عن الجميع. إنسحب ذلك المتخفي بين الحشود، وقد تملكه الغضب والكراهية أكثر عندما رأى ذلك الموكب المهيب الذي إتخذه أخوه فقر هاربا إلى اعلى قمة الجبل مستغلاً قواه السحرية، واخذ يفكر هل وافقت الملكة على الظهور بهذا الموكب المهيب للإيحاء برسالة معينة؟ أم قد فعلها أمير الجيوش دون الرجوع إلى العرش الملكي! حيث لم يعتاد الملوك على الظهور بذلك الموكب من قبل فكثيراً ما كانت مواكبهم أكثر بساطه؟ إذا ما سارو داخل المملكة، ولا تستعمل تلك المواكب الفخمة إلا في الاستقبال الرسمي للملوك الضيوف من الممالك الأخرى لاظهار قوه المملكة وسطوتها. كان جالسا أعلى قمة الجبل تحت أشعه الشمس الحارقة فلم يشعر بلهيبها، وأخذ يفكر ماذا سيفعل الآن؟ حتى توارت الشمس في الأفق، وامتدت الخيوط الرمادية تنتشر في الكون، فظهر وجهه الحاقد أكثر بشاعة عن ذي قبل حتى الشياطين كانت تخشى النظر ألية، واخذ يخطط ويدبر بأشياء لم تخطر على فكره في يوم من الأيام فكانت نظرات عينيه توحى بان تلك الخطة قد راقت له فنظر مائلا إلى الأمام وقد انفرجت علامات وجهه قليلا وأتخذ قراره ثم اختفى من مكانه.

كان الأمير الصغير قد قرر من قبل مراقبة أخيه، ومعرفة كل خطته في إدارة البلاد، ومحاولة إفشالها. كما كان يخطط إلى شيء آخر أكثر بشاعة لم تعرفه المملكة من قبل.

أرسلت الملكة في طلب أمير الجيوش، وأمير الشعوب، والكاهن الحكيم، والوزراء، والحكام، لمجلس ملكي واستجاب الجميع للأمر في الحال إلا أمير الشعوب فلم يتم العثور عليه.

قالت الملكة تعلمون جيدا بأمر المعدن النفيس الذي حاول كثير من ملوك الأرض شراء جزء منه، ولكن تم رفض كل الطلبات المقدمة بأجماع المجلس الموقر هنا، ونحن ها هنا الآن لمناقشه رسالة ملك الأرض المظلمة التي يطلب فيها شراء بعض من المعدن النفيس، وقد طلب هذا الأمر من قبل ورفض الطلب كما رفض ذلك الأمر من قبل أما هذه الرسالة فإن بها أمر آخر، وإن الأمر لجد خطير حيث -

أن ملك الأرض المظلمة يريد شراء جزء من المعدن النفيس أما في حاله رفض الطلب كما سبق فسيقوم بتجميع ملوك الأرض لخوض حرب ضد المملكة التي تستحوذ منفردة على ذلك المعدن الهام والذي يجب أن يقسم بالتساوي بين جميع الممالك حتى لا تكون القوة منفردة لإحد دون الآخر - هنا تكلم الكاهن الحكيم قائلاً:

مولاتي: أرى انه لا يجوز التسليم بمطلب ملك الأرض المظلمة، أو أي مطلب خاص بالمعدن النفيس حتى، وإن تجمعت ملوك الأرض فالجميع يعلم مدى قوة المملكة، وإن

الهزيمة لن تكون إلا جزء لهم في حاله انسياقهم وراء غرور ملك الأرض المظلمة. فجر ذلك القول الحماس في عروق الجميع فقالوا بصوت جهوري مؤيدين رأى الكاهن الحكيم، وقام ملك الجيوش قائلاً: نعم يامولاتى لدينا رجال عظام وأنى على يقين لن يرضى أحدا منهم بأن يسلب حقنا، ولن يرضى أحدا منهم الذل او الهوان للمملكة، ولن يفرط أي منهم فيما تركه لنا أسلافنا يامولاتى: لدينا أقوى جيوش الأرض، ولن نهاب أحدا نحن أسود الأرض وسواعدها القوية،

وإن جيشنا قادر على الانتصار على أي عدوان، وبدا على وجوه الجميع الغضب والتحفز في انتظار قرار الملكة فقد كانوا ينتظرون قرار الحرب، وتعالى أصوات الجميع - نحارب يامولاتى - نظرت الملكة إلى تلك الوجوه الغاضبة، وقالت بصوت يدل على القوة والعزم: نحن قوم لا نخاف ونرحب بالحرب فنحن المملكة التي لا تقهر، ولكن علينا أن ننتظر، وسنطلق كل جنودنا السريين لنرى فإن كان هناك سلم فسلم، وإن كانت هناك حرب فحرب.

هنا قام الجميع انحنوا إجلالاً للملكة ثم غادرا قاعه العرش الملكي في حين بقي أمير الجيوش، والكاهن الحكيم، وتلك البقع من الدماء على بلاط قاعه العرش، ولم ينتبه اليها أحد.

أمرت الملكة بإطلاق جنودها السريين من طيور البوم حيث كان يتمتع بالهدوء، وعدم لفت الانتباه والقدرة على النظر لمسافات طويلة في الظلام والضوء.

كما طلبت الملكة من أمير الجيوش إرسال رسالة عاجلة لملك الأرض المظلمة بالرفض الصريح لطلبه، ولن نسمح لأي أحد بأن يمس "المعدن النفيس" وإذا تحرش بنا متحرش حتى ولو بالقول فلا يؤثر السلامة، وأننا لن نباهي في تقدير قوتنا فالجميع

يعلمها، كما إننا لا نعجل بالشر ولكن على الجميع تحمل تبعه
أقواله، وأفعاله.

منذ ذلك الحين ارتدت الملكة لباس الحرب فسرى في نفوس العامة
موجة من الحماس واشتد الشوق لسماع الأخبار -لم يكن
العامة فقط من علموا بأمر لباس الملكة التي تم ارتداؤه، ولكن
وصل الخبر أيضا إلى ملوك الأرض جميعهم. وسماع أصداء
جيوشها في الوادي وعلموا هنالك أن الأمر جد خطير فتراجع
من تحالف مع ملك الأرض المظلمة لحرب مملكة الشمس،
والاستيلاء على ثرواتها كان الملوك على علم بقوة الملكة
الغاشمة وعرشها الذي لا يغتصب وجيشها أذى لا يقهر،
وتطير الخبر إلى أذان الملكة من جنودها أسريين من طيور
البوم فعلمت أن ملك الأرض المظلمة قد أصبح وحيدا دون
حلفاء فعلمت أن الوقت قد حان لتأديب ذلك المتعطرس وأن
ذلك لا يستعدى إلا قوة صغيرة من جيوشها.

رفع الرجال رؤوسهم بعزم وقوة، ونظروا إلى قائدهم نظرة يعاهدونه
فيها على النصر. والتحم الفريقان ودارت المعركة التي كان
الجميع يعلم لمن النصر فيها. لم تمضى ساعات قليلة إلا وقد
تم أسر ملك الأرض المظلمة وتم الاستيلاء على مملكته، وتم
نفيه حيث سجن الظلام خارج الممالك في الفضاء البعيد، وعلن
الحرس الملكي عودة الجند منتصر إلى داخل أسوار المملكة، و
تعالت الأفراح على وجوه الجميع وعمت الاحتفالات في كل
مكان إلا هو فقد اجلس في مكانه المفضل اعلى قمة الجبل
وأخذت قطرات الدماء تنتشر خلفه وبرزت بوجهه علامات
الحقد الدفين على الملكة وعلى أخيه فأخذت توسوس له نفسه
أن قوتها بسبب المعدن النفيس فقط، فأن ضاع هلكت قوه
الملكة. من أعلى قمة جبل الهلاك أمتد بصرة ألي هناك حيث

منفى الملوك المنهزمون . حيث سجن الظلام نظرة طويلة
شاردة وكان قد اتخذ قراره الشيطاني وأبتسم في دهاء.

إحتبست صرخة مكتومة، بين شفتي يوسف الذي أصبح شاحب
الوجه، والتمعت عيناه بالدموع، وأخذ يضغط بكفيه على فمه
لمنع نفسه من الصراخ، وقد أمسك بيمينه مقبض باب الغرفة
بينما يسرها قد أطبقت على فمه في إصرار عجيب - أما جسده
الضئيل فقد أخذ يرتعش حتى تحول ذلك الإرتعاش إلى زلزال
عنيف يهز كل جسده في قسوة حتى كاد أن يسقط على الأرض
من هول التوتر والخوف، وهو يتوارى عن ذلك الشبح الواقف
بحجرته يلتفت في كل مكان باحثاً عنه، وقد اخذ يتحرك في
السلاسل المقيدة بها يداه وقدماه. أيضا شعره الذي يقطر دماء.
فلم يرضى الأمير بفك سحر يوسف بمساعدة ذلك الكاهن
الحكيم الذي أتخذ من الصقر وسيلة للتخفي كما هو معتاد منذ
قديم الزمان. لم يستطع يوسف أن يتحرك من مكانه المخبأ فيه
خلف باب الحجرة فكأن من السهل أن تلتقي عيناه بعين ذلك
الشبح المخيف الذي أطلق ضحكة ساخرة، أما هو فقد أطلق
صرخة مدوية ثم ترنح قليلا قبل أن يسقط ويرتطم رأسه بخشب
الباب فيسقط مغشيا عليه. ساد الصمت قليلا قبل أن يفتح باب
الغرفة في قوة ويظهر على عتبتها أفراد أسرته التي جحظت
أعينهم وأسرعوا في انتفاضة يحملون الصغير الملقى على
الأرض دون وعى إلى سريريه. ساد الصمت بضعة لحظات لم
يسمع خلالها إلا دقات قلبه امه المنفطر على فلذه كبدها فأخذت
تصرخ فيه محاوله إفاقته ولكن باءت كل محاولتهم بالفشل فاخذ
الدكتور عوني وصديقة يتفحص الغرفة أسفل وأعلى.

وبجوار الباب والنوافذ فوجدوا تلك القطرات من الدماء بغرفة الصبي فنظر بعضهم لبعض، وقد أيقنوا من كان الزائر الذي لم يتحمل الصغير رؤيته فأغشى عليه من الرعب. ومضت عدة ساعات لم يفيق يوسف من غيبوبته التي ذهب فيها، وإن كان نبضات قلبه منتظمة كما هي حيث تحسست رضوى ساعد أخيها الذي بدا نائماً نوماً قد لا يصحو منه مرة أخرى إلا بأمر الأمير.

و مضى كثيراً من الوقت ولازال الصبي غارقاً في غيبوبته لم تجف دموع امه خلالها، فأخذت رضوى تبت في قلب أمها بعض الطمأنينة وأن هناك من يستطيع إنقاذه كما تم من قبل ، ولكن الوقت مضى أكثر من سابقه مما أصاب الجميع بالتوتر ، وظهرت تلك الأطياف السوداء الخفية التي لا يظهر إلا ظلالها الباهتة وقد التفت حول الصبي فكانت تحجب الرؤية عن جند الملكة من طيور ألجوم، وأيضاً جنود الكاهن الحكيم التي امتلأت بهم أشجار الحديقة وخلف نوافذها فكما تمتلك الملكة والكاهن قوه سحرية هائلة، أيضاً يمتلك تلك القوة الأمير الهارب ، وملك الأرض المظلمة الذي أصبح ملك الظلام فمنذ أن تم نفيه، وأن فقد القدرة على استعمال قواه السحرية كما هو متبع لقوانين سجن الظلام إلا إذا تم اتحادها مرة أخرى مع قوه خارج السجن .

وقد وجد ذلك الإتحاد مع أمير الشعوب الذي يحاول الإنتقام من أسرته، والأخر يريد القضاء على تلك الأسرة وسرقه المعدن النفيس، نعم اثنين جمعتهما روح الإنتقام، ولكن هناك من يمتلك الغدر والخيانة، وقد يكون الثمن حياه الآخر أو حياة أحدهما.

كلما مضى الوقت أكثر كلما أصاب فريضة اليأس والهلع على صغيرها فأخذت تصرخ في وجه أخيها وخطيب ابنتها صرخات هستيرية-قائلة: لن تكون حياه أبنّي الثمن _ لن تكون حياته الثمن أبدأ في ذلك الصراع. وأخذت تقبض على قميص أخيها وأخذت تهزه في عنف وتساءل ماذا يريد ذلك الشبح؟ إعطيه ما يريد. كي يتركنا نرحل من هنا. إعطيه ما يريد كي أستعيد أبنّي، وأخذت تصرخ وكان الأمر أصعب ما يكون على أم انفطر قلبها على ابنها. احتضنت رضوى أمها، وأخذت تبكي هي الأخرى إلى أن أرهقهما البكاء فجلسا مره أخرى بجوار الصغير الممتد أمامهما وانضمت اليهما سارة فلم يستطيع أحد تحمل هذا الموقف، فأشار الدكتور عوني لصديقه وابن أخيه الذي اطرق حزناً إلى الأرض لا يعلم ماذا سيفعل؟ وكيف له حماية أسرته من ذلك الغاشم الهارب؟ فانطلق الثلاثة يقطعون الحجرة ليصطدم عوني بشيء ضخم في طريقه فنظر خلفه في دهشة فإذا المكان خاليا لا يوجد به شيء إلا قطرات من الدماء بجانب تلك البقعة التي مر بها - كان الأمر قد خرج من بين أيديهم، فقد دخلوا في صراع لا يملكون فيه قدرة على مواجهة السحر والتخفي وتلك القوى الغريبة لذلك قرر العودة إلى حجره المكتبة لمراجعته الوثائق التي تم جمعها من قبل منذ سنوات بعيدة عن تلك الأسطورة التي تجسدت أمامهم فقد وجدوا ما يكون تم نسيانه. أنهمك الثلاثة في تدوين المعلومات حتى إمتلأت كثير من الأوراق فأصابهم بذلك شيء من السعادة فإبتسم ميلاد، وظهرت علامات الارتياح على وجه عوني، وعرف الجميع أن تكرار تلك المعلومة في كثير من الوثائق لهو نصر لهم وأيضا قد تكون تلك المعلومة هي السلاح لتدمير ذلك الغاصب الهارب، فهدأت نفوسهم قليلا .ولم تمضى قليل من

الثواني حتى حدث ما جعلهم يتجمدون في أماكنهم كالأصنام بلا حراك من تلك المفاجأة ، فقد كان هناك بالقرب من النافذة طيف شبح ما، في ملابس بالية وقد أحاطت به كثير من الأطياف السوداء أخذت تدور حوله في هاله مفزعة ، وقبل أن تعي عقولهم ما رأت أعينهم إختفى ذلك الشبح كما اختفت معه تلك الأطياف، وفي ذهول قد أصابهم الثلاثة . اذا بيد قوية قد أطبقت على ياقة القميص الذى يرتديه جاجان لترتفع به إلى اعلى سقف الغرفة، وهنا ظهر وجه ذلك الشرير بعينيه الحمراويتن وشعره الأسود الذى يتخلله شعيرات حمراء تقطر دماء، ووجهه الذى لن يستطع النظر إليه، وأخذ يحدق في وجهه جاجان حتى إقترب من أنفاسه فراح يهمس قائلاً: أيها الأمير المخلص إتلو تعويذة العفو...امنحنى الحرية. إتلو تعويذته العفو امنحنى الحرية ...، فاتسعت عيناه في رعب واخذ يرتعش وقد شحب لونه، وهنا اندفع عوني محاولاً جذب ابن أخيه لإسفل إلا أن أطياف الظلام قد قامت بدفعه بعيداً ليرتطم بحائط الغرفة. في تلك اللحظة شاهد جنود الملكة من طيور البوم المنتشر حول النوافذ والأشجار ما يحدث، واقبل الجميع في إندفاع نحو الحجرة فإنتباه الأمير الهارب لذلك وفر هارباً ومن خلفه أطياف الظلام. وقد أطلق وابل من التهديد بقتل أفراد الأسرة او خطفهم أن لم يقوم ألفتي بما طلب منه. تاركا جاجان يسقط في ألم مرتطم بالأرض في عنف. نظر عوني لميلاد وقد أنتبه أن هناك سر في تلك الوثائق قد نعرفه ولا نتذكره الآن، ويحاول الأمير الهارب منعنا الوصول إليه ترى ما هو ذلك السر الذي يخشاه الأمير الهارب وملك الظلام؟

في تلك الأثناء كانت هناك معركة تدور خلف الأشجار بين جنود الملكة والأمير الهارب فلننتظر ما يكون.

انطلق الثلاثة إلى أعلى حيث حجره يوسف التي خيم عليها الحزن. واقترب من أخته فربت على كتفها ثم ضمها إليه وأخذ يهدئ من روعها وان جفت دموعها، ولكن قلبها يدمى حزناً وخوفاً. فقال لها في رافة حنو، وجلس على حافة فراشها الرقد به يوسف. تعلمين أنى لا أملك من العالم سوى أسرتي انتى يافريدة وأبنائك وأبناء أخيك وان كنتي تعلمين أن قطار العمر قد تقدم سريعاً ولم يمر على محطه إنشاء أسرتي الصغيرة مثلكم، ولكن تلك المحطة نستطيع اللحاق بها في أي وقت إذا أردنا ذلك فلم يكن السبب ضياع المحطة، ولكن السبب الحقيقي لعدم زواجي ألي الآن كان ذلك السر سر الأسطورة، فقد حاولت أن احمي أسرتي بكل جوارحي منذ سنوات بعيدة حتى لم يتبقى من الوقت أكثر من عدة شهور ليكتمل عمر جاجان العشرون ليرحل السر إلى آخرين بعد ذلك، وبعد مائه عام أخرى، تعاد أحداثها مرة أخرى على يد آخرين غيرنا، ولكن لم تمضى الرياح بما تشتهي السفن، وجاء اليوم الذي كنت أظنه قد ابتعد كثيراً ولن أراه يوماً. فماذا سأفعل؟ وماذا سنفعل جميعاً غير المقاومة التي قد تستمر إلى أن يكمل الفتى عامه الخامس والعشرون؟ وقد لا نستطيع فيعود بذلك الأمير الهارب ولن نعلم أي مصير سينتظرنا جميعاً إذا تم ذلك الأمر؟ اختى الحبيبة إنني وميلاد نفعل كل ما نستطع حتى لا يتمكن الأمير من جاجان أو أميره المخلص كما يقول.

وكما قلت لك من قبل من قبل أحاول أن أتذكر حديث كبير القبيلة الأفريقي عسى أن نجد به ما يعيننا على ذلك فهل

تذكرين حين قال أن أمير الشعوب قد نظرا طويلا شاردا حيث الظلام، كان قد اتخذ قراره الشيطاني نعم أتذكر حديثة كما قال حين ذكر أن الأسطورة تقول انطلق أمير الشعوب مستخدم أقصى قواه السحرية في اختراق سجن الظلام حيث يتم نفي الملوك المنهزمين وتسلسل قواهم السحرية ، وأيضا حيث يوجد العدو اللدود لأخيه وللملكة ، فكان ملك الأرض المظلمة آخر الملوك المرسلين لذلك السجن الخاص البعيد كما تم الاستلاء على ملكة من قبل الملكة ونفية بعد ذلك ، فقد كان اكثر ملوك الأرض قوه بعد الملكة الأم . لم يخترق أحدا من قبل سجن الظلام وكان حوله كثيرا من جنود الأرض لحراسه ذلك السجن البعيد وردع أي هارب منه والقبض عليه.

ولكن بفضل قواه السحرية العظمى، التي ورثها عن الملكة الأم إستطاع إختراق ذلك السجن وتخفى بداخله حيث لا يعرفه أو يراه أحد، وبداخل هذا السجن تتعطل القوى السحرية للملوك السجناء - وأخذ يبحث كثيرا حتى وجد غايته ذلك الوجه الحاقد، وقد التف حوله بعض أعوانة الذين أصبحو جنوده بسجن الظلام، وكيف لا وهو الملك الأقوى بين الملوك السجناء فأطلق عليه لقب ملك الظلام.

إقترب أمير الشعوب من ملك الظلام الذي قد تغيرت ملامحه داخل السجن فلم يتبقى منها شيء غير تلك العبادة الفاخرة التي تدل على رتبة صاحبها من الملوك المنفيين في ذلك المكان، ذلك المكان الذي اختفت فيه الألوان ولم يتبقى منها غير اللون الأسود فتلون كل شيء حولة كل شيء إكتسى بلون الظلام، حتى عباءته أصبحت شديدة السواد،

فلم يظهر منها سوى بقايا أسنانه البيضاء حولها ظلام
الظلام ففقدت بريقها وغشيها اللون الرمادي، أما عينيه فقد
أصبحت شديده البياض واختفى اللون الأسود بها، وفقدت
نور الحياة. لم تكن هيئه ملك الأرض المظلمة فقط بتلك
الهيئة، ولكن هناك تتحول هيئة سجناء الظلام إلى ظلال
مرعبه. نظر اليه طويلاً فهو لم يرى من قبل سجين من
سجناء هذا السجن الخاص ... لم يستمر الأمر طويلاً إلا
وقد تصافح الملك ألسجين وأمير الشعوب فكلا منهما قد
سمع عن الآخر ويعلم من يكون وان لم يتقابلا من قبل إلا
في ذلك المكان، وتصافحا وقد عقدا معا صفقة العار.

تم تحرير قوة ملك الأرض المظلمة السحرية الذي لقب بملك
الظلام داخل محبسه، وذلك بفضل تحالفه مع الأمير الذى
أمدته ببعض قواه السحرية لاستعادة الملك بعض قوته السحرية
مرة أخرى وليس كلها كما تنص قوانين السجن وانطلق معا
للخارج. تتبعهم جنود ملك الظلام. واندفع الأمير الصغير في
إستعمال قواه السحرية في عنف وتحدى صارخ للملكة ألام
ضارباً كل قوانين المملكة، وماتت مشاعرة الرقيقة ولم يعد
بقلبة سوى الكراهية والحقد وأختلط عليه الأمر، فأصبح لا
يميز بما هو حقاً له ، وما هو حق المملكة فاستغل هذا
الضعف ملك الظلام الذى فاخذ يوسوس له عن ظلم أخيه
وأمه وأحقيته في حماية " قلعة المعدن النفيس " مثل أخية
وكان يعلم أن هذا الأمر يجعله يستشيط عيظاً وكمدأ ،
فاقترح عليه الحصول على جزء من المعدن النفيس الذى
يستطيع صناعة درع وسيف منه لهزم الملكة وجندها ثم
الاستيلاء على الحكم فهو من يستحق ذلك .. واخذ يبتسم

في دهاء وخبث دفين في انتظار رأى الأمير الذي أخذ يفكر بعض الوقت وقد إستساع فكرة ملك الظلام. فإلتفت إليه قائلاً: وكيف الوصول إلى ذلك؟ تعلم جيداً قوة القلعة وقوة حمايتها أيضاً. فقال له ولكن معنا جند الظلام وهم جند محجبون لا يراهم أحد فقط ظلال من الظلام. سأجعل جنودي تحيط بك فإذا ذهبت إلى هناك لن يراك حراس القلعة أما إذا استعملت قواك فقط فقد يتعرف عيك أخيك أو الملكة أو حتى الكاهن الحكيم. عند ذلك تفشل مهمتك ولن تستطيع أخذ جزء من المعدن دون أن يشعر بك أحد والعودة ألي هنا... كي أصنع لك (درعا وسيفاً) ثم نقوم بالحرب ضد أخيك والملكة فأنت أحق بالعرش وأنت أقوى من الجميع، إلا ترى كيف دخلت سجن الظلام ولم يستطع أحداً من قبلك الذهاب إليه وأيضاً الخروج منه؟ أنت لم تعلم بعد مدى قوتك أيها الأمير. وعند اتحاد قوانا ستكون أقوى ملك بل أقوى ملوك الأرض... فقال الأمير الصغير وكيف ستتحقق قوانا السحرية؟ فقال: ملك الظلام بدهاء ومكر إذا يا مولاي ما قد تم استعادة عرشي مرة أخرى هنا لن أكون ملك الظلام ولكن سأكون ملك الأرض المظلمة مره أخرى، فرداً قائلاً: ولم ينتبه إليه إنتباه كاملاً، فكان مازال يفكر في سرقة المعدن النفيس وكيف له ذلك؟ وكيف يمكنه ذلك استعادته حقاً المسلوب؟

- وأكمل حديثه ألخبيث فقال: عند اعتلائك عرش الملكة الأم تستطيع أن تعطيني جزء من المعدن النفيس كي أصنع منة سلاح أستطيع قتال من يجلس على عرشي حتى أستطيع هزيمته واستعادته ملكي وأخذ ينظر في ترقب جواب أمير الشعوب.

- أنت تعرف أن قلعه المعدن النفيس لا يتم فتحها إلا بأمر مجلس الحكم كاملاً وليس أمر الملكة فقط.

- فابتسم ونظر إليه بطرف عينيه وقال في خضوع مصطنع هناك حل آخر يا مولاي أن تعطيني جزء مما ستأخذه من القلعة بمساعدة جنودي الذي أتمنى ألا أفقدهم في تلك المغامرة، وقد اطرق ببصره إلى الأسفل في أسى وخضوع.

نظرا إليه أمير الشعوب طويلاً، ثم هب واقفاً وقال: حسنا لك ما تريد فلنضع الخطة لإختراق القلعة وأخذ ما نريد وهنا تهللت أسارير وجه البشعة فرحا وطربا لما سمعه من الأمير وقد أيقن أن خطته تسير جيدا كما يريد.

كان مقر القلعة المعدن النفيس أقصى شمال المملكة حيث الفضاء الواسع وبعيداً عن الأماكن الحيوية تحسباً لحدوث أي شيء وأيضا ليتمكنوا من سرعه الإنقاذ بعيد عن قصر الحكم والرعية فكان ذلك المكان كمدينة قائمة بذاتها وإن كانت تعد أهم أماكن مملكة الشمس وأخطرها ، فكان يمتد المكان عشرات الآلاف من الكيلو مترات يبدأ بمبنى ضخم تم إحتطاته بأسوار عالية تم طلائها بسائل من المعدن النفيس قد تمت إذابته بطريقة معينة ومعقدة لهذا الغرض مثل أسوار المملكة التي تم طلائها أيضاً فور العثور على ذلك المعدن الفريد ، كما أقيمت أبراج المراقبة على كل جهاته الأربعة يقوم بحرسها جنود المملكة بجانب جنود الملكة السريين الذين يطفون حول المكان أوقات منتظمة للمراقبة الدقيقة وخصوصا ليلاً ، كما يوجد على المبنى أبواب فولاذية طويلة الأرتفاع وكبيرة الحجم لا يتم فتحها إلا بتصريح خاص من الملكة ، و خلف الأبواب الفولاذية يوجد مئات من الجنود ومئات من العاملين على ذلك الصرح الهائل ، وبعد ذلك يبدأ المكان المهيب ببهو كبير تزين جوانبه الرسوم

الملونة لأمجاد وبطولات جيوش المملكة وانتصارهم في المعارك، تحيط ذلك البهو حديقة كبيرة من الأشجار الكثيفة العالية تحجب المبنى بالكامل عن العيون ثم تتجه ألي بهو آخر مثل السابق في نهايته قاعة كبير لمقر الإقامة ، بها كثير من الحجرات التي تمتلىء بالعاملين والإداريين وقاعة أخرى للمراقبين على تامين قلعه المعدن النفيس الممتدة تحت الأرض ، ومراقبه كل ما يدورا حولها من الداخل والخارج ، وبعد عشرات الأمتار في الاتجاه الأيمن من البهو تجد قاعة أخرى لتناول الطعام والمشروبات الخاص بالعاملين في هذا المكان ، ثم تجد ممرا أنتشر به الجند بصورة مكثفة تبدأ معه بتتبع الإشارات والعلامات الموضوعه على حوائط البهو وتحمل ألوان معينه ومع كل اشره كان الكثير من التفتي والإجراءات المعقدة كي تستطيع عبور النقطة التآليه ويبدأ الممر باللون الأخضر الذى يعنى أنك ما زلت بعيدا جداً عن الممر الأحمر ثم اللون الأصفر ويعنى أنك قطعت مائتي متر في طريقك أما العلامة ذات اللون الأزرق فتعنى أنك بمنصف الطريق ثم العلامة السوداء وتعنى انك أقتربت وبعد عشر أمتار يبدأ البهو الخاص بالممر الأحمر الذى يحيطه العديد من الجند يرتدون زي الحرب ، وقد حمل كلا منهم سلاحاً خاصاً صنع من المعدن النفيس الذى لا يقهر أمامه أي سلاح ، فاذا وصلت لتلك النقطة الخطيرة لن تتمكن من العبور بعدها إلا بتصريح خاص من مجلس الحكم الذى يتكون من الملكة وابنيها والكاهن وكبار رجال ألحكم بالمملكة ،كان الممر الأحمر ينقسم لعدده أقسام لكل قسم تصريحه الخاص والذى هو اكثر تعقيداً من النقطة السابقة في الإجراءات الأمنية فإذا أنتهيت من نقاط تفتيش الممر الأحمر، والذى يمتد لعشرات الأمتار حتى نهاية ، فهناك آخر ، وهو بهو الممر الأحمر ، فيجد القادم من الخارج باب صغير من الفولاذ لا يسمح إلا بمرور شخص واحد فقط من خلاله ثم ينتظر

الذى خلفه قليلا لحين عبوره إلى سرداب سلم النزول حيث قلعه المعدن ... وهنا قد أصبحت الآن في بهو سلم الهبوط الذى يؤدي إلى القلعة. تحت الأرض.

وتحت الأرض ستمر بساحة بهو المعدن النفيس حيث العشرات من الجنود والعلماء العاملين على صناعات خاصة بالسلاح أو أبحاث لكيفيه الاستفادة ألقصوى من ذلك المعدن الذي ليس له وجود على سطح الأرض مما جعله سلاحاً قوياً منفرداً أختصت به المملكة فزاد من قوتها وأصبحت هي الأقوى بين الممالك مما ثار حولها إما الحاقدين أو الأعداء الراغبين في الإستحواذ على ذلك الكنز النفيس أو الخاضعين من الممالك الضعيفة املاً في رضاء الملكة. كان يوجد بداخل القلعة الأرضية الكثير من الصناعات، والتي تقوم على تسليح الجند من الآلات الحرب، وأيضاً أقسام الأبحاث وهناك تلك الحجرة الكبيرة والمصنوعة بالكامل من الفولاذ القوى وضع بداخلها صناديق تحتوي بداخلها ما تبقى من ذلك المعدن الذي تم تقطيعه إلى قطع يسهل الإحتفاظ بها في مكان أمن لحين الإستعمال.

إجتمع ملك الظلام بأمير الشعوب داخل أحد الكهوف السرية، والتي اتخذ منها مخبأ خاص يستعين به بعيد عن عيون وجواسيس الملكة، وأيضاً بعيداً عن جواسيس أخيه الذي تم نشرهم حوله في كل مكان، كي يتمكن من وضع خططه وملك الظلام فكان يعلم كل العلم انه مراقب من الأسرة الحاكمة، ولكن لم يكن يعلم او يخطر على باله خاطره أن هناك من يراقبه بعيداً عن الملكة واخوه الأكبر. كان هناك من يراقبه ليس حقدأ عليه بل

أشفاقاً وأملاً أن يرجعه إلى صوابه وعسى أن يجد الوقت لملاقاته منفرداً بعيد عن ملك الظلام، فهناك الكثير لأبد من إلقاءه على سمعه فقد تكون خيوط الأمل لعودته لازالت موجودة من جديد.

ولما لا؛ وقد كان من قبل ملجأً وحناناً للطفل الصغير إذا ما ضاقت به الدنيا وأرهقت قلبه الأحزان فيجد عنده الأمان والسكينة ويعيد الأمل من جديد لقلبه الصغير، فكان الوحيد الذي يمكنه رسم البهجة على وجهه، ولكن كيف لم يخطر للأمير أن ذلك الشخص مازال موجود كما هو لم تتغير مشاعره، ولم تتغير عواطفه وحبه وحنانه، كان ذلك الشخص بمثابة الجد لأسره الملكية حتى الملكة تصغى إليه جيداً وتحترم توجيهاته فكان ذات حديث مميز يخرج من القلب فتصل فوراً إلى القلب، وكيف لا؟ وهو من قام بتربيتها وتعليمها وتنقيتها بأمر القصور و أمور مقاليد الحكم فكان الساعد الأيمن للملك الأب ولها منذ نعومه أظفارها حين قتل ولدها الملك الأكبر منذ زمن بعيد، كانت في ريعان الشباب حين جلست على كرسي العرش وبفضل تعليماته التي حفظها سرا من الملك الأكبر قام بتدريبها جيداً حتى أصبحت من أقوى ملوك الأرض، وظل هو كما كان يشغل منصب الكاهن الحكيم الأكبر وأمين سر الملكة، وقام أيضاً بتعليم أبنائها الأمير الكبير والصغير فأخذ يسقهما من علمه الغزير كما فعل معها من قبل، فكان نعم المعلم وحافظ الأسرار، ولكن بقي شيء واحد لم يستطيع التحكم فيه أو إعادة توجيهه ألا وهو حنان الأم الذي أغدقت به على الأبن الأكبر دون أخته ونسيت أن هناك من ينتظر نصيبه وحقه في ذلك الحب . نعم يحاول الكاهن الحكيم حماية ذلك القلب الصغير من الانفطار،

ويأمل أن يعيده إلى ما كان ولكن ترى هل يستطيع ذلك؟ فكثيراً من الوقت يفقد أثره ولا يعلم كيف يحدث ذلك الأمر.

كان الكهف من الكهوف السرية الخاصة بسجون الملكة، والتي تعتبر من السجون الخاصة بالخطيرين على المملكة، فكان يتم وضعهم بأحد تلك الكهوف، والتي يقوم بحراستها جنود سريين بفضل قوى الملكة السحرية فلا يرى أي مخلوق ما بداخل هذه الكهوف، و لم تكن تلك الكهوف جميعاً ممتلئة بالسجناء بل كان بعضها معد فقط لذلك لحين الحاجة إليه بعيداً في تلك الصحراء خارج أقصى حدود المملكة، حيث الفراغ والجبال والرمال وأصوات الرياح وعواصف الصحراء، ذلك المكان الذي لا يستطيع أحد الإقرب منه سوى سكانه من الوحوش والهوام، ففي ظلمة الليل تتعالى الصراخات في ذلك المكان، و لم يعرف سببها حتى الآن، ولمن تلك الصراخات المفزعة؟ على قمة ذلك الجبل الشاهق بالصحراء الواسعة يوجد أسفل ذلك الجبل كهفاً من أعظم تلك الكهوف المعدة من قبل الملكة، والذي كان تحت حراسة أمير الشعوب الشخصية لحين الاحتياج إليه... وهاهو الآن يجد الملاذ والهدوء في الجلوس اعلى قمة الجبل حيث الفراغ الذي لا يشاركه أحد فيه. ثم أسفل سفح الجبل كان ذلك الكهف الذي وجد فيه المأوى، واتخذة مقراً لإعداد خططه للقضاء على الملكة والحصول على كرسي العرش، ولم يكن يعلم في تلك اللحظة أن هناك أيضاً من يفكر في القضاء على الملكة وأبنائها والحصول أيضاً على عرشها.

أخذ ملك الظلام يطوف حول أمير الشعوب الذي ظل شارد بداخل الكهف السري وقد ساد الصمت لحظات قبل أن يقول

بهدهوء مليء بالمكر والدهاء مولاي هل وضعت خطتك لاقتحام قلعه المعدن تحت سطح الأرض؟ فالوقت يدهمنا، وقد يكون قد انكشف فراري من سجن الظلام، ويكون هناك من يطاردني الآن لأعادتي إلى السجن مرة أخرى، وحينئذ ستتوقف قواي السحرية كما تعلم بداخل السجن إلا اذا تم استدعاءنا من قبل آخرين، و هنا نستعيد جزء من قوانا السحرية وليس كلها حتى نتحرر من السجن ، وأخذ يترقب بعيون ماکرة يملأها الحقد ، و علت فمه ابتسامة خبيثة ثم قال : وكما تعلم يامولاي قوانا الآن تتحد وهي الآن قوه هائلة وأن كنت لا أملك ألا ألقيل منها ولكن أستطع أن أفديك بجنودي من ظلال الظلام ، أما اذا تم كشف أمرى ورجعت مره أخرى إلى السجن فلن تتمكن من أخذ حقلك المسلوب في كرسي الحكم .. ولن تجد من يساعدك حيث ستكون الجانب الأضعف الذي يسهل القضاء عليه من أمير الجيوش والملكة الأم.

وهنا إلتمعت عيناه بحقد دفين، وقد شاركه في ذلك الحقد الأمير الذي إستشاط غيظاً واحمرت عيناه حتى كادت أن تقطر دماء كما تقطر خصلات شعره الحمراء، والتف لملك الظلام وقد إتخذ قراره فقال نعم غدا سنذهب لتلك القلعة.

هنا إبتسم ملك الظلام، وأدرك تسرع وغباء الأمير في سرعه إتخاذ القرار الغير مدروس، وقد أيقن لماذا أختصت الملكة أخية فقط في حماية قلعة المعدن، وحرمت هذا الأمير الأهوج من بعض مهام المملكة، ولكن قال في نفسه لعل ما يحدث الآن بسبب ذلك الصراع بينة وبين أسرته وقرارته ألماتسرة ما هي ألا انتقام لنفسه وقد يكون هذا ألتسرع ليس من طبيعته من قبل في اتخاذ القرارات.

وأخذ نفساً عميقاً، وكان يعنيه الأمر كثيراً، فذلك الصراع يخدم مصالح الشخصية ويساعده على بلوغ أهدافه وتحقيق خطته التي لا يعلمها الأمير، فمضى يبيت ألفته ويؤجج النار بينهم كلما أتته الفرصة 'فاطمأنت نفسه وتعالته وجهه إبتسامه باهتة كانت تحمل معها كل معاني الشر، وإقترباً أكثر من الأمير الواقف أمامه، وقال بصوت أشبه إلى التمني. اعلم يا مولاي كما يعلم ملوك الأرض أن قوه الملكة السحرية هي الأقوى بين كل الملوك، وقد ورث أبناؤها ذلك القوي العظيمة منها، والذي لا يباريهم فيها أحد، ولكن يامولاي أريد أن أصبح ساعدك لك في ذلك الغزو أن أذن لي مولاي -تعجب الأمير الصغير وقائلاً: كيف؟ ولماذا تريد ذلك؟

فقال: تعلم يامولاي أن تلك القلعة يقوم على حمايتها جنود الملكة، والتي تشرف بنفسها على ذلك بفضل قواها السحرية كما قلت سابقاً، فإذا ذهبت هكذا بدون أن تخفي هيتك التي يعلمها الجميع كما يعلموا أيضاً وسائلك في التكر والتخفي باستخدام السحر، ومهما بلغت قواك السحرية فلن تصل ألي قوه الملكة، وهنا ستشاهدك، وسيتم القبض عليك واسرك تحت رحمة أمير الجيوش أخيك ألمغصب حقك! وحينئذ سيكون خليفة الملكة ولن يستطع أحد الدفاع عنك، أو يساندك حدث إذا أصبح أخيك خليفة الملكة رسمياً فهناك ستكون الكارثة الأكبر فكما تعلم جيداً أن الخليفة الرسمي هو فقط من يحصل على قوى الملكة السحرية كامله !! أما في حالة توزيع مهام الحكم بالتساوي بين الأبناء كما هو متبع في الممالك جميعاً هنا يتم أيضاً توزيع قوى الملوك السحرية على أبنائهم بالتساوي أيضاً. والان لك أن تتخذ قرارك وترى ماذا أنت فاعل يا مولاي؟

وهنا سكت قليلا ليرى تأثير كلماته على الأمير الذي أطرق ببصره قليلا، وقد اخذ يفكر في صمت دون حركة ثم قال، وهل تتشكك في قواي السحرية؟ فقال : لا ، ولكن قوة الملكة أعظم من أي قوة وتعلم ذلك جيدا فإن أجمع معها قوه أمير الجيوش فهو أيضاً يقوم أيضا بحراسة القلعة ، فهل تتساوى قواك معهما وأستكمل حديثه الناعم قائلاً: أنى فقط أخشى عليك- ونجح في أن أهتزت ثقة الأمير بنفسه قليلاً فهو يعرف مدى قوة امة السحرية تلك القوة التي لم ينتصر أمامها أي من ملوك الأرض ، وإن أتحدوا جميعا لفشلوا أمام قوتها الجبارة ، فاطرق مره أخرى في صمت وذهب ببصرة في حيرة ، فشاهدة ملك الظلام بطرف عينيه ، وعلم جيدا كيف يحرك دميته الصغيرة بدهاء بارع دون شك ،ودون علم الضحية بانها تقترب من نهايتها .إلتفت الأمير اليه فقال : وأن كانت الملكة تستطيع أن ترى سحري فماذا أنت فاعل ؟ وأنت تعلم مدى قوتي السحرية كما تعلم أيضا إنك تستمد قوتك منى أيضا وأن كنت استعدت جزء ضئيل من قواك ألسحرية فمازلت لا تمتلكها جميعا حتى تستعيد عرشك لمملكة الأرض المظلمة هنا فقط تستطيع استعادته هينتك كامله مع قواك السحرية أيضاً كما كنت من قبل، والى أن يحين ذلك مازالت سجيناً هاربا من سجنه أ فكيف ستصل أنت إلى هناك؟

كان ملك الظلام يعلم جيدا ما يدور بعقل الأمير الشاب فمنذ صراعة مع الملكة ألي أن هزمته واستحوذت على عرشته و قلبه يمتلئ بالعداء ، والبغض لتلك الأسرة قام بدراسة جيدة لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة حتى أيقن تماما كيف يفكر كلا منهم، وماهي نقاط قوته ،و نقاط ضعفه ، ولم يكتفى بذلك بل قام

بتحليل ودراسة المقربين و كل من يعمل لديهم ومعهم سواء من العامة ،أو الخاصة كان يخطط منذ زمن بعيد لاختراق الصفوف من الداخل حيث كان من المستحيل اختراقها من الخارج بفضل قوة المعدن الذي تم طلاء أسوار المملكة به فأصبحت المملكة المحصنة التي لا يخترق لها سور باي سلاح . ولو انتظرت الملكة قليلا لأختلف الأمر، ولكنه تذكر أين هو الآن وماذا فعلت به الملكة؟ فاستشاط حقد عليها وعلى أبنائها، وتمنى الوصول إلى غايته ويسترد ملكة ويعود إلى حلمة ألقديم في امتلاك عرش اقوى الملوك. عرش مملكة الشمس.

لم يفكر الأمير الصغير أن الأمر سيصل إلى هذه الوضع الذي وصل إليها الآن بينه وبين ملك الظلام فحين جالت فكرة الانتقام برأسه أعلى قمة الجبل، وجاءته فكرة إطلاق سراح ملك قوى من ملوك سجن الظلام ليعود إلى الحرب مع أخيه كي يعمل ذلك الصراع على أضعاف قوة اخوه السحرية، ويحرك مكانته، ويشكك في قدرته على تحمل المسؤولية في القيام بعمله كان يتلذذ بالنظر إلى هزيمته، والانتقام من سطوته. كان كل أفكاره السوداء تدور في كيفية ألحاق ألحزن بقلب الملكة، وكيف يلحق الهزيمة بأخيه. كان يفكر أن الأمر قد يستدعي بعض المناوشات والمضايقات لأسرته الحاكمة حتى وان أحد تلك المناوشات هي التهديد المصطنع بالقتل، ولم يفكر أن يكون الأمر كما هو الآن! ولكن الأمر الآن قد اخذ منعطفًا اقوى، منعطفًا أكثر خطورة فماذا هو فاعل ...؟

نظرة فريدة إلى صغيرها الراقد بلا حركة وقد أحاطته
أسرته الصغيرة ، ومازال الصمت يخيم عليهم إلا من
صوت الدكتور عوني والدكتور ميلاد في تناول سرد
سر الأسطورة .والكل ينصت اليهم باهتمام ، وأخذت
تلمس صغيرها في لوعه ،وقد عادت الدموع تملأ عينيها
فانسلات منهما في صمت ، وأخذت تهتمهم في لوعه
ولم تفارق عينيها وجه صغيرها قائله :مهجة روعي
اعلم أن طيفك لا يفارق خيالي حتى وانا نائمة ، أه لو
كان ذلك الأمير يتركك ويأخذني بدلا منك، لو طلب
روحي فداءك لقبلت بدون تردد - فاقتربت رضوى واخذت
تقبل يد أخيها في لهفه- وأخذت تلمس خصلات شعره
المنسدلة على جبهته في رقه وحنان ، و لمحتها أمها
بطرف عينا تنظر إلى وجه خطيبها الذي أطرق في
صمت تعلق وجهه علامات الحزن الأسي ، فرق قلبها
لذلك الحبيبين فنادت ابن أخيها ،واطلقت سواعدها
وأخذته في أحضانها معتذرة لما بدر منها ،فلم يكن
جاجان ابن أخيها فقط ولا خطيب ابنتها أيضا ولكن كان
في منزله أبنائها . وكل الأسرة تعلم ذلك.

إما هو فمازال واقفا بجوار باب الحجرة متخفيا بسحره
عن الأنظار يراقب في صمت منتظر الفرصة لينال
مبتغاه ويحصل على فريسته الثمينة التي تحمل حول
معصمها حرف تعويذه العفو الملكي الذي انتظرها مئات
السنين، ولن يتركها أبدا. مهما كان الثمن الذي سيدفع
مقابل ذلك الأمر. فنظر طويلا، وقد غمرت ذهنه رعدة
قصيرة من الأسي والعطف فمر بيديه على عينيها لكي

ينشط ذاكرته المرهقة، أو كي يقفز لتلك الذكرى المدفونة
خلف جفنا عينيه، وقد غمره صراع من التفكير العميق.
ذكريات حياته ألتعيسة وتعلو وجهه الدهشة من هذه
الأم، فأخذ يسأل نفسه في صمت أيمن أن تضحي تلك
المرأة حقاً بحياتها مقابل حياة ابنها؟ وأيضا مع كل هذا
الأسى الذي تحيا كيف لها أن تغدق بعواطفها على
الأخرين؟ هل يوجد أم هكذا؟

ولم يمتلك إلى أن رق قلبه وأشفق على هذه الأم،
وكانت تلك المشاعر قد ماتت لدية منذ زمن بعيد. تلك
المشاعر الذي كثيرا ما نال بسببها عقاباً صارماً...
نظر إلى فريدة في صمت ، و لم تكن تلك الشفقة في
قلبه كافية لتعيد قلبة النور من جديد فمزال هناك
السواد الأعظم محاطا بفؤاده ، فلم يتخلى عن صيده
الصغير الذى سيطر عليه ، بفضل ما علمه له ملك
الظلام من التخفي وراء الآخرين حتى يهرب من مراقبه
الملكة الأم ، علمه ملك الظلام السيطرة على الآخرين
والتنقل عبرة أجسادهم ،حتى لا يتم ألتعرف عليه ،
أو أسره هو الآخر فلم يكن جسد يوسف إلا وسيله
ليختم بها ليستطيع الوصول لداخل الفيلا كي يصل
إلى جاجان ، ولكن هذه الأم أعادت اليه ذكرياته ألحزينة
فانطلق هاربا خارج المكان لم يبصره أحد ولأول مره
منذ زمن بعيد قد أضأت احدى شعيرات راسه باللون
الذهبي مرة أخرى ، وترك وراءه تلك البقعة ألتى يتركها
دائماً ، ولكن هذه المرة لم تكن بقعة من الدماء فقط
بل كانت بجوارها أتلك البقعة الذهبية.....

برغم قلبها المفطور ولوعتها قالت فريدة: وماذا فعل الأمير الصغير بعد ذلك؟ هل تعاون مع ملك الظلال؟ ... أجب الدكتور ميلاد مبتسما: تقصدين ملك الظلام! قالت نعم هو ذلك. أكمل ميلاد قائلا نعم أخذ الملك الصغير يدور في حلقات حول نفسه حلقات مفرغة، فأخذت الرياح تهب من كل جانب نحو مركز واحد هو المكان الذي يوجد فيه، حتى تحولت ذلك الرياح إلى عاصفه كثيفة من الضباب، فأخذ يدور داخل العاصفة مغمض العينين وقد أطلق ذراعيه مثل طائر يحاول أن يطير من قلب دوامة أفكار. واخذ يركز تفكيره في أركان الجهات الأربع حيث قلعة المعدن كان ينظر أبراجه الأربعة والتي تحت حراسة الملكة الشخصية ألمشدة، وتذكر حدود ذلك المكان الضخم واشتدت العاصفة الهوائية حول الأمير الصغير في قوه رهيبه حتى تحولت

إلى حلقة مفزعه من النيران الملهبة تدور حوله وهو مغمض العينين فيدور بداخلها دون توقف، وفي لحظات كانت كل معالم المملكة وسكانها كانت قد تجسدت أمامه لتدور معه داخل اللهب كان يحاول الوصول إلى قلعه المعدن بأفكاره وحين يصل إليها تتحول الصورة إلى سراب لم يكن يستطيع الوصول إليها. وحاول كثيرا حتى اختفت كل معالم المملكة وبقيت فقط القلعة كان يحاول أن يركز أفكاره عليها فقط ولكن حماية المكان أكبر من استطاعته الوصول إليها. نظر ملك الظلام إلى المخلوق الرهيب البشع الذي يدور في حلقة النار ورأى قوه الأمير وما يستطع القيام به، فأصابه الفزع وخر راکعاً في خشوع كانت

قوى رهيبة من السحر لم يسبق له أن رأى مثلها من قبل،
لم تكن هذه ألقوه مثل قوة أي ملك ملوك الأرض بل كانت
قوة رهيبة وجبارة كانت قوة سحر الملكة.

مضى بعض الوقت الذي أخذت فيه العاصفة النارية تدور
في دائرة مفرغة ثم هدأت فجأة، وأخذ لون النيران الحمراء
المتشرب بالسواد يتحول قليلاً إلى لون أحمر متوهج لفح
وجه ذلك الراكع ألمرتعث في خشوع فلقد سمع كثيراً عن
القوة السحرية للملكة ،وأبنائها كما سمع كثيراً من ملوك
الأرض تلك القوى المتوارثة من الأجداد إلى الأبناء في
هذه المملكة ،وان توارث أيضاً أبناء الممالك الأخرى
القصص والحكايات حول تلك القوه السحرية التي أثارت
خيال القصاصين ، ولم يكن مثل ما شعر به الآن من
واقع ملموس كان حقا شيء مخيف - سحر به خطر
غامض يحمل في طياته شيء مريع . مما زاده حقدًا وغلاً
للملكة وأبنائها.

وهذا كل شيء وهنا أطلق الأمير ضحكه عالية مخيفه، ثم
أخذ يتنفس بعمق وهو ينظر ذاك الراكع في خشوع ينتظر
أوامره ... فهل كانت تلك الضحكة الشريرة ستغير حياته
التي أصبحت عليه الآن؟ أم ستجعل حياته أسطورة
مأساوية؟ وأستمر ينظر اليه مده طويله قبل أن يأمره
بالنهوض، فنهض ببطيء شديد رافع عينيه التي لا يوجد
بهما سوى الفراغ الأبيض بداخل ذلك السواد المحيط به
داخل عباءته السوداء التي غطت به كل شيء من قدميه
إلى أعلى رأسه فأمتزج بالظلام العميق - وخرجت كلماته
مرتعشة من بين أسنانه ألبيضاء المشوبة بالسواد ومازال
خائفاً مما رأى من الأمير الذي اقترب منه وقد أطلق في

أذنيه همسه مخيفة. أصابته بالهلع الذي وصل إلى أعماق عقله ونفسه، فاعلق عينيه وأطلق صرخة عالية؟ ليتبعها الأمير بضحكه متقطعة شريرة.

وفجأة توقف انتباه الأسرة للاستماع للقصة فقد بلغ أسماعهم صوت حركة مريبة بالطابق الأرضي، فتجمدوا في أماكنهم مرهفين السمع من خلال باب الحجرة المفتوح، وتقدم جاجان وأخذ يسرع في بهو غرف النوم حتى وصل إلى الدرج فوقف، وتملكته الدهشة والخوف، واخذ يصيح من أعلى من هناك؟ من في الأسفل وأسرعت ضربات قلبه من الخوف فانطلق عائدا إلى حجره يوسف حيث كانت الأسرة مجتمعة هناك، ولم يستعيد أنفاسه المتسارعة حتى اقترب صوت خطوات أخذت تصعد درجات السلم للطابق الثاني، في بطيء وقوه فأشار جاجان ومازال يلهث هناك شبح بالأسفل وهذا صوت خطواته صاعدا ألي هنا

فشهق الجميع وأسرعت ساره مندفعة فارتمت بجسدها النحيل على باب الغرفة لتعلقه لكنها لم تستطيع أن تكمل أغلاق الباب فقد دفعها للداخل ما كانت تخشى أن تراه وأصبحت وجها لوجها أمام ذلك الشبح الذي أفرعهم فاحتضنت فريدة ابنها النائم بلا حركة واقتربت منها سارة ورضوى فالتحم ثلاثتهم وساد الصمت إلا من صوت أنفاسهم اللاهثة ودقات قلوبهم التي ارتفعت دقاتها.

نظر الدكتور عوني للشبح وقد أمسك بيد جاجان وجعله خلفه تماما كي يحميه كما كان يشاركه في ذلك الأمر

دكتور ميلاد حتى صنعا حائطاً من أجسادهم اختبأ خلفه
الفتى خشية أن يكون الأمير الهارب ، ولكن كان ذلك
الشبح غريباً عليهم لم يشاهده أحد من قبل ،واقترب الشبح
فاتخذ وسط الحجرة مكاناً له كان ذو هيئه مهيبه يرتدى
ملابس فاخره تحمل مظهر ألقوة والسطوة ذو شعر
طويلاً أشيب به بعض الخصلات الذهبية اللون تتطاير
وراءه لتمس صولجانا عظيما من البرونز اللامع حمله
بيده ، وقد نقشت عليه بعض الطلاسم والحروف الغريبة
،ونظرا اليهم في تعالي نظرة كنظرات الملوك إلى رعاياها
،و ارتفع ذقنه إلى أعلى قليلا وقال : أمامكم الكاهن
الحكيم أنى أعلم فيما تفكرون ا ولكنى أتيت اليكم بأمر
ملكي فجلالة الملكة تتطلع إلى مساعدتكم حتى لا يتم
قراءه العفو الملكي ،والخاص بحرية أمير الشعوب ،و التي
تحملها يد الفتى كما نعم جيداً كل ما يدور هنا ، وكل
من يشارك في الأمر ولذلك يجيب إلا تقرأ تعويذه العفو
الملكي ، أيضا يجب عليكم حمايه زوجة الفتى -
فصرخت فريده وأمسكت ابنتها بشدة وأحتضنتها في قوة
وفزع واتسعت عيونهم من الدهشة وسأل ميلاد صديقه
متوجسا حقيقة الشبح ! فقد كان ميلاد وعوني يعرفون
هيئه الكاهن الحكيم منذ زمن بعيد من خلال قصه كبير
القبيلة الأفريقي كما كانوا على علم أيضاً بأن الكاهن
الحكيم يتخذ هيئه طائر الصقر فقط، وهو لا يتدخل إلا
مع طيور البوم الذي هم جنود الملكة السريين فقد كانت
الملكة والكاهن الحكيم وأمير الجيش يحموا ما تبقى من
المملكة التي أخفت الملكة معالمها حتى ينتهي الأمر.
لكن أن يظهر الكاهن الحكيم بهذا الهيئه!

فقد أثار ذلك حفيظتهم والتحموا بالفتى أكثر واستشعروا شيء مريب - نظر إليهم الكاهن بطرف عينيه فظهر شيء غريب لم يستطع عوني أو ميلاد تفسيره سريعاً لم تسعفهم الذاكرة على استعادة كل تفاصيل الأسطورة فقط كانوا يشعرون أن هناك شيء خطير يحاصرهم، كان صولجان الكاهن يبدو غريباً بعض الشيء برغم هيئته الرجل المهيب إلا أن هناك شيء غامض؟ لم يترك لهم شبح الكاهن وقتاً كثيراً، فقد أستشعر ما يدور بينهم وأراد إنهاء الأمر سريعاً قبل أن يستعيدوا ويتذكروا شيء من تفاصيل الأسطورة، وأشار الكاهن إلى رضوى لتجلس أمامه، وأنطلق من الصولجان الذي يحمله نورا خافتاً قال: هذا الضوء سيدور حولها لحظات ثم يختفي وذلك حتى نحميها من الأمير الهارب فلا يتعرض لها ولن يشاهدها أيضاً بفعل السحر حولها، أما غير الأمير وأعوانه ستبقى كما هي. وتوجست الأسره، وتعالق الصيحات خوفاً من أن يكون الأمر خطير، وهنا حاول جاجان اختراق ذراع عمه والدكتور ميلاد للخروج من خلفهم ومنع الشبح من المساس بخطيبته، وأرتفع الصياح والصراع ولكن ظل شبح الكاهن كما هو لا يتحرك تعليه القوة والهيبه فظل صامتا، ثم قال أريد جواباً سريعاً ألان هل تريدون حماية الفتاه؟ أم يمكنكم حمايتها بأنفسكم وتتحملوا ما يحدث لها؟

لم يستطع أن ينطق أحد كما لم يستطع أن يتحمل أحدهم مسئولية ما قاله شبح الكاهن، أن كان كلامه على حق، وكان هناك ما يهدد حياة الفتاة؟ نظرت رضوى إلى أفراد

أسرتها وانطلقت مندفعة نحو الشبح لتقول: نعم أريد الحماية ولما لا؟ إذا كان ذلك في صالح أسرتي.

اقتربت رضوى من الكاهن الحكيم الذى أمرها بالاقتراب منة أكثر قليلا، وأن تخفض رأسها إلى أسفل، وكانت نظرات الأسرة كلها متعلقة بالصولجان الذي قرية الكاهن من رأسها فلمسها من أعلى، وفجأة تحول الكاهن العظيم في لمح البصر إلى عباءه من الظلام الأسود حول رضوى واتحدا معها في قوة وسرعة، واختفى معاً تماماً في زهول الأسره الذى أرتفع صراخ أفرادها، تاركا خلفه ضحكه شريرة فقدت فريدة على أثارها ابنتها، ومادة بها الأرض ففقدت وعيها.

مضت أيام عديده، وقد أرخيت ظلال الحزن ستائرها على ذلك المنزل، وانتهى شعاع الأمل الذي تنتظره العائلة من ميلاد وعوني، وألذى فشلا ألي في حمياتهم، من ذلك الرهيب الذي لا قبل لهم به. فمنذ اقتحم ملك الظلام المنزل متخفيا ومتخذ من هيئة الكاهن الحكيم غطاء له بحيث لا يراه جنود الملكة بالخارج -

الظلام ذلك البعد البعيد خارج الأرض، والذى يتم نفي كل متمرّد، وكل مهزوم من ملوك الأرض وذو المناصب العليا بالممالك هناك يجتمع الجميع ليتحولوا بعد ذلك إلى ظلال سواد، فيتم تعطيل قوة الملوك السحرية، وأيضا يتم منعهم من استعمالها في اختراق السجن أو الهروب منة والعودة مرة إلى الممالك والعروش، ومنذ صنع السجن

الأسود لم يستطع أي سجين من سجنائه الفرار منه ،
والعودة مرة أخرى ألي عرشة ،وان لم يكن ذلك من
الصعب فمن المستحيل أيضا عليهم ،وقد كانت هناك
شروط تم وضعها في وثيقه أثناء بناء السجن اشترك
في وضع شروط الوثيقة كل من شارك في بناء السجن
من كل ملوك الأرض ليحموا بذلك شعوبهم وأوطانهم من
كل معتدى فكان المنهزم منهم يتم سجنه هناك من قبل
الملك المنتصر بشرط أن يكون هو المعتدي ،أما أن كان
هو المعتدى عليه، وقد انهزم فيترك حينذاك بدون سجن،
وكانت شروط الوثيقة تنص على ذلك أولاً: في حاله
النداء وهو استدعاء أحدا من خارج السجن ملك من
الملوك السجناء ، وسمع ذلك السجين نداء الأرض و
ذلك حسب قوه السحرية التي تم تعطيلها هناك ، فأن كان
من الملوك الأقوياء سابقا بقيت معه قليلا من قواه
السحرية ، وان كان من الملوك الضعفاء تعطلت تماما قواه
السحرية ،وهنا لن يستطع سماع النداء فقد صار ظلا
تائها يجوب في سجن الظلام .

أما ثاني بنود الوثيقة فينص على: في حاله سماع الملك
القوى النداء عليه اقترب من أحد أبواب السجن، وقد
أطلقت قواه السحرية شعاع من نور طفيف إلى الأرض
ليكون ممر للذي يناديه ليتمكن من العبور عليه ثم
الصعود إلى سجن الظلام.

أما ثالث بنود الوثيقة السحرية فهي تنص على: أن
صعد أحدهما على الممر حيث سجن الظلام فقد لا
يتمكن من العودة، وقد يظل حبيسا هو الآخر إلى الأبد

ويتحول أمره إلى ما تحول اليه الملوك السابقين وكى
يتمكن من العودة إلى عالمه مره أخرى عليه تحرير الملك
السجين الذي قام باستدعائه من الأرض، كما يجب أن
تتحد قواه السحرية مع ذلك السجين، والذي يمتلك القليل
جدا من قوى سحره السابق، ويهربان معاً خارج سجن
الظلام.

ولم ينتهى أمر الملك ألسجين عند هروبه من السجن ،
ولكنه سيجوب الأرض ظل أسود بدون روح ،وحتى يستعد
صورته مره أخرى عليه استيعاد ملكة وعرشة السابق
مره أخرى ، فاذا تمكن من ذلك عادت اليه قواه وسحرة
،وأیضا هيئته الملكية فور الجلوس على كرسي مملكته مره
أخرى ،ولكن أن مضى على هروبه مدة مولد قمرين
في السماء ، فعند مولد القمر الثاني يصبح ظلاً إلى الأبد
،ولن يتمكن ابداً من استعمال قواه السحرية مرة أخرى ،
وهنا سيجوب الأرض ظلاً إلى الأبد ، ولذلك يحاول بما
تبقى له من القليل من السحر مساعده الأمير ، وان بدا
ذلك في ظاهر الأمر، ولكن في باطنه يبدو الأمر مخيف.

هنا لاحت له تلك الفكرة السوداء الذي قصها على أمير
الشعوب إختطاف أحد أفراد الأسرة وإخفاؤه حيث يستعد
الأمير حروف وثيقة العفو الملكي بغايه السرعة قبل حلول
القمر الثاني وإلا سيتحول هو إلى ظلاً اسود يجوب
الأرض إلى الأبد، وكانت رضوى من أراد اختطافها فهي
الشرط الأكبر من قلب جاجان.

و لم يأتي اليوم بالجديد كالليوم السابق على هذا البيت فكانت الأجواء تبدو هادئة بعض الشيء مازال النهار كما هو حيث يجوب الصقر حول النوافذ ثم يتخذ مجلسه إلى غروب الشمس حول نافذه جاجان ،ومازال الليل كما هو حيث تجوب طيور اليوم متنقله من شجره إلى أخرى ، ومن مكان إلى مكان كانوا يقومون بالحراسة في دوريات مكثفه حول المكان ، و لم يكن أي شيء غير عادى في المكان منذ ثلاثة أيام مضيت منذ ذلك اليوم الحزين الذى لم تتحرك فريدة من مجلسها السابق بجوار ابنها الغارق في غيوبته ، والان ابنتها التي لا تعلم أين هي ؟ أو ماذا حدث لها؟ وقد جفت دموعها وتحجرت مقله عينيها ، فأصبحت مثل التمثال الحزين الذى لا يتحرك فأصبحت جسدا بلا روح ، ومنذ ذلك الحين لم تتركها ابنه أخيها سارة أذى انتقلت إلى حجرة عمته وظلت معها ليلا ونهار ، كما أنهمك الدكتور عوني والدكتور ميلاد ومعهم الفتى ليصبح تحت أعينهم وفى حراستهم من دراسة كل كبيره وصغيره قاموا بتدوينها خلال البعثة الاستكشافية مع كبير القبيلة الأفريقية ، أو مع أهل قبيلته ، أو أي أحد عمل معهم أثناء البعثة عن تلك الأسطورة ، وانتهوا حين وقف الجميع ، وهبت عاصفه تطاير معها كل الأوراق التي أمامهم وذهبت حجره المكتبة معها في دوامة رهيبه لمرتين متتاليتين - أجلس الدكتور عوني والدكتور ميلاد جاجان بالكروسي الذى يتوسطهما تحسبا لأي شيء قد يحدث مره أخرى ، وقد أستسلم جاجان لأمر عمه فمنذ فقد خطيبته فقد معها قلبه وروحه ، وحاول كثيرا فك وثاق معصمه واطلاق حروف المخطوطة

لنداء الأمير الهارب لقراءة وثيقه العفو، ولكن لسبب ما كان يجهله جاجان فلم يصل ما يقوم به من محاولات إلى الأمير، ثم يقوم عمه وصديقه بربط معصمه مره أخرى، ومنذ ذلك اليوم أصبح تحت حراستهم طوال الوقت ، كما أصبح غير قادر على الإنفراد بنفسه لحظه واحد لأطلاق حروف المخطوطة واستدعاء الأمير وعودة خطيبته .

منذ أطلق الأمير الهارب تلك الهمسة المخيفة في أذنيه، والذي أصابته بالهلع الذي وصل إلى أعماق عقله ونفسه فاغلق عينيه وأطلق صرخة عالية ليتبعها الأمير بضحكه متقطعة شريرة ومنذ ذلك الحين لم ترتاح نفسه ، وأصبح كثير القلق ، وأخذ يفكر وقد اتخذ ركنا في أقصى كهف الأمير الهارب ، وأنزوي على نفسه حتى اصبح مثل كتله من السواد غير محددة المعالم فضم عباةته حوله في قوة ثم أسقط راسه على ركبتيه كان يعلم أن للملكة قوة سحرية غاشمة في إستخدام الكلمات والرموز وتحويلها إلى طلاس لا يستطيع أي مخلوق المساس بها فكانت تحبس القوى الخفية في الرموز . كانوا ملوك ذلك الزمن على دراية بفنون وعلوم السحر التي أصبحت مقصور فقط على الملوك وحجبت عن العوام من الرعية خشية استعمالها في غير موضعها فقام كل ملك بجمع قوة شعبه السحرية وإخفائها تماما في مكان لا يعلمه إلا هو فقط، وأيضا فعلت الملكة مثلما فعل كل الملوك وكان ذلك ميثاق بينهم جميعا ... أما ما رآه اليوم من قوة الأمير الهارب ، فتأكد تماما وأصبح على يقين أن ما يتناوله الملوك من قدرة الملكة وأبنائها للسحر أقل بكثير مما شاهد بنفسه ، فقد رأى قوه لا

يستهان بها أبدا قوة واحده من ثلاثة قوى بالإضافة إلى قوة الكاهن فيكيف ستكون تلك القوى لو تم اتحادها معا مره أخرى؟ سيكون ذلك نفوذا قويا وسحرا رهيب.

ما الذي يجعل الآخر قادرا على قرأه أفكارك؟ ما الذي يجعله قادرا على النظر إلى شيء ما فيتحطم؟

أخذ ملك الظلام يفكر في الملكة وأبنائها ، ولم يجول بفكرة يوما أن يكره أحد أكثر من كراهيته لابن الملكة الأمير الصغير فكلما تذكر همساته في أذنيه، وضحكته الساخرة كان يشعر بالضيق والغضب والحقد ، فكان منذ لحظات ينظر للأمير الهارب في قوه ويكاد أن يطير من السعادة عندما استجاب له في كل خطته دون علمه بذلك الخطط فكان يحركه على الطريق الذي يريده دون أن يشعر بذلك ،وكانت استجابته من قبل لم تجعله يشعر او يفكر في معرفة الأمير بخطته او نواياه ، ولكن في لحظة همس فيها بأذن ملك الظلام و رد على سمعه أعلم جيدا ماذا يعنى لك مولد القمر الثاني في السماء ؟ نطقها، وانطلق تاركا إياه يسبح في تفكير قاتل . فكيف له أن يعلم بالشيء الذي يخشاه؟ كيف له أن يكشف سر نقطة ضعفه؟ وهل يمكن أن يستغل ذلك ...؟ وهل كان يعلم أيضا ما يخطط له ويسخر منة؟ وهل هناك أشياء يعلمها وأخرى قد لا يعلمها؟؟ وغرق في أفكاره السوداء التي لا تقل سواد عن سودا قلبه والسواد الذي يعيش فيه.

إقترب مولد القمر الثاني فكان عليه العمل بأقصى جهد كي يتمكن الأمير الهارب من السيطرة الكاملة على الفتى ليقرا

تعويذة العفو، ويستعيد حقة في الملك ويستعيد ملكة هو الآخر.
بدون الحاجه إلى سرقة قلعه المعدن النفيس الآن، فإذا نال
الأمير العفو الملكي بعد ذلك يمكن مساومته على كمية من
المعدن كما كان يطمح دائماً لذلك الأمر ، واقترب مولد القمر
الثاني لم يتبقى له إلا القليل من بقايا السحر الذى تمكنه من
الإختفاء في صور أخرى لكى يستطع الوصول إلى مبتغاه
فتلك هي الطريقة الوحيدة المأمون عواقبها الآن ، كما أنه لا
يستطع استعمال بقايا سحره أيضا في أشياء أكبر من ذلك
،أما اذا حاول فسيتكون الهزيمة هي مصيره المنتظر ولو
تكالبت عليه مجموعه صغير من البشر، أو الحيوانات الضالة
لاستطاعت في ذلك الوقت الانتصار عليه بسهولة ، كان يدرك
هذا الأمر جيداً ،ولذلك يعمل بكل جهدة قبل مولد القمر الثاني
من مساعدة الأمير الهارب في الاختفاء بداخل الظلام ،أم
سيكون مصير هذه الخطة ؟ حتى يتمكن من إضاءة حروف
المخطوطة المطوية على يد الفتى ليستعيد الأمير حقه في
الملك ثم يكمل هو باقي خطته. ولكن ما يخشاه الآن، وما
أصاب نفسه أيضا بالشك والريبة هل تمكن الأمير من معرفه
ما يدور في نفسه؟ ويمكر له وللأسرة الحاكمة؟ هذا ما ستجيب
عليه تصرفات الأمير الفترة القادمة.

نعم اقترب ميلاد القمر الثاني في السماء الذى يحمل معه خيرا
كثيرا لتلك الأسرة الحزينة الذى إنعزلت عن الدنيا بفضل جنود ملك
الظلام الذى أحاطها من كل جانب ،وعزلها تماما عن القرية ،
فكانت أبوابها الداخلية قد سدت وطمست معالمها بواسطة السحر أما
خارج أسوارها فكان أهل القرية يجوبون حولها ذهابا وإيابا دون أدنى

تغير في شكلها ، وعندما انقطع الجنائني عن الذهاب الأسبوعي لسوق القرية ، وأيضا عدم تردده على منزله بالقرية حاول جيرانه السؤال عنه فذهب بعضهم إلى "فيلا أمون " حيث يعمل هناك ،واخذ يطرقوا بابها فلم يستجب أحد ثم قاموا بضغط مفتاح الجرس ،ولكن هيات لم يستجب أحد أيضاً فارتابوا أن هناك أمر ما ،وقد رحل الدكتور إلى القاهرة وأصطحب معه الجنائني كما كان يفعل، واستسلموا لهذه الفكرة و رحلوا ، لم يكن يعلم احد او يخطر بقله أن حكايات الأجداد حول الفيلا كانت صحيحة وكانت أكبر وأخطر مما يخطر على عقولهم .

نعم اقترب ميلاد القمر الثاني، ولم يعلم الجميع شيء عن هذا السر الرائع الذي سيحدث انفراجه في حياتهم،

وقد يذهب الظلام الذي أحاط أسوار الفيلا إلى الفناء البعيد يذهب بلا رجعه ... أيضا لم يعلم الأمير الصغير أن مع ميلاد القمر الثاني قد يضعف سحره أيضا في مواجهة الملكة الأم، والذي تمكن منه الغرور والحدق فلننتظر وسوف نرى ما يكون من الأحداث القادمة

أما الملكة فكانت على دراية بكل ما يدور حولها عن هذا الموضوع وذلك بفضل قواها السحرية. كان يمكنها أن تنهى تلك المسائلة في لحظات قليلة، ويتم القبض على الملك الهارب من سجن الظلام. كما كان يمكنها أن تستعمل القوة المفرطة معه. ولكنها كانت تعلم جيداً ما سيفعل وما ستكون نهايته، كما تعلم أيضا ما قد وصل إليه الأمير الصغير في تلك الأحداث.

ولم يعلم أحد مما حولها سوى الكاهن الحكيم أن سحر الملكة في أدنى مستوى من القوة الآن، ولم يتبقى منه إلا القليل فكانت تساعد

به جنودها السريين من التصدي من الهجوم عليهم وحماية الفتى حتى لا يقرأ أمير الشعوب تعويذة العفو أما باقي سحرها العظيم بالإضافة إلى بعض من سحر أمير الجيوش وسحر الكاهن فقد تم اتحادهم معاً في إخفاء المملكة بشعبها وكنوزها عيون مغتصب يريد هزيمه المملكة والاستيلاء على معدنها النفيس، وإلى أن تمر تلك المحنة التي تمر بها البلاد من تخطيط ملك الظلام وأبناها السجين للعدوان على المملكة بسلام ، فقد كان أمان أحد أركانها الأربعة حتى تمكن منة الظلام ، واخذ يجوب الدنيا فسادا بعد فراره من السجن الملكي ، واستعاد أيضا بعض قواه السحرية ، والتي حجبت عنه فاستعانت بها الملكة في بعض الأمور الأخرى .

الجميع ينتظر مولد القمر الثاني بعضهم في تفاؤل وسعادة وبعضهم في رعب قاتل.

نهض من فراشه ليفتح النافذة ويعب من هواء الليل البارد، أخذ عدة أنفاس قوية، وكأن حياته رهنا بها... نظر طويلاً لتلك الظلمة التي ذهبت تلف المكان في ذلك الليل، فلم يكن مصدرها غمامة الليل. بل عباءة الحزن التي طوقت روحه فأخذ يناجى حبيبته في صمت يناجيهما بهمساته قلبه. ما عاد للحياة طعم أتلذذ به، ولا رائحة أنتعش بها، ولا حتى لون يشع بالسعادة، بات كل شيء باهت الألوان، بل شاحب كالأموات، وهل الحياة ألا هي؟

نادم يا من كنت حلمي... بدونك. نعم بدونك. لا يمكن العيش لا يمكن أن أنجح. بدونك لن تكون هناك حياة. واستمرت عبراته عبر النافذة تابعها في الهطول بعد ذلك ملوحة دموعه التي نزفت دمعه من جفنيه فانسبت على وجنتيه كأنها تواسى لوعه قلبه وتطفئ

بعض نيرانه المتقدة، فحائها بيده كان لا يحب أن يرى أحد نزيف قلبه على فقد حبيبته، ومع فقد ما نحب تفتح صناديق الذكريات المعطرة بأفخر أنواع العطور تجوب بنا في سماء الحنين والوجد والأسى. حاول أن يخفى لوعه قلبه المفطور أمام عيون أسرته فاتخذ من ستار الليل مسرحاً يجوب فيه في ذكريات الحبيبة الغالية... اخفى ذلك ولكن كان الجميع يعلم لوعته،

يجب ألا أستسلم لألم الفراق إلى آخر نفس من حياتي... يجب أن استعيد "رضوى" نداء أخترق حواجز الصمت الذي ارتداه منذ فقدتها فأخذ يصافح ذكرى الماضي، ولكنى أشعر بوهن يتقل روحي من هجوم الماضي الذي يكتسح كل دروعي المهتزة فقد كانت هي من يقوى دروعي وصاح لم أعد أحتمل" شقت كلماته المنبثقة من رحم الوجد طريقها إلى أذنه. لتجبره على رفع رأسه بتعابير تبعث بالقلق إلى قلبه مما سوف تحمله هذه الذكريات من أوجاع في طياتها. وعاد ليقطع سلسلة الصمت: "أعتقد بأنني صبرت بما فيه الكفاية" ثم صرر على أسنانه والحنق يتفشى بأوصاله، وقال يحاول أن يلجمه عن الانفجار حين تذكر ذلك الغاصب الذي حول حياته وحياه أسرته إلى جحيم لا يطاق، ثم هدأ قليلاً من ثورته النفسية قائلاً في عار: أو يكون أنا ذلك الأحمق الذي أودى بهم إلى ذلك المصير؟ وطأطأ رأسه في خزي وقال واللهيب يشعل بقلبه كم أردت بأن أريه صريعاً واحتقن وجهه بحراره الدماء.

ليهوي بقبضة يده على طرف حافه النافذة الذي يحتضننها. مغمض العينين بشدة...
في معمعة لا تنتهي من علامات الإستفهام الآتي تستجدي جواباً.
ليفتح بغتة عيناه اللتان تقذف شرراً.

وشعور يمزق روحه. يكاد يقطع أنفاسه بصله الحاد، ولم يشعر إلا وخبوط الشمس تهجم عليه رغما عنه فتتهزه من ذكرياته ومن خياله الجامح طوال الليل فأغلق النافذة وتقدم ببطيء يثقل خطواته فيستدل ستائر جفونه رغما عنه منهك القوى وقد ألقى بجسده على فراشه مره أخرى.

لا يعود يقتحمها من جديد غصبا، وقد سمع صوت عمه يعصف على أذنه، فقام من مترنحا وقد ضرب بأوجاع جسده المتألم عرض الحائط. فأى نوم سوف يزور جفونه بعد هذه الليلة !

زمن النوم قد أنتهى. وجاء زمن السهر المضرج بدماء الأحباط . حتى أن أنفاسه بدأت تصير ثقيلة على رئته، فأراد بأن يمسك حافه باب الحمام الذي بينه وبين سريره عده خطوات بتلك الغرفة الذي يرقد بها. إلا أن الباب قد صدمه بعنف. ليهز خيالي المريض بحقيقته المرة. بأنها قد باتت في عالم غير عالمه، وأن الإنتصار على عدوه أمر من الصعب إن لم يكن من المستحيل فغرست أظافره على وجه الباب، وهو يتهاوى رويدا رويدا صوب الأرضية الجرداء خلف الباب الذي وصده خلفه ببطيء، وكأنه لم يصدق أن ما يحدث حقيقي، وانه ليس كبوس تجثم على صدره .كل يوم يصحو يتمنى أن يكون حلم ولكن للأسف هذا واقعه المرير ليزيد ذلك من انكماشه في قوقعة أحزانه بدأ من ذلك اليوم الأسود كظلمة الليل، وقد أحس بأنه يجلس على أشواك زفر الهواء من صدره محاولا بأن ينفث بعض أوجاعه المحتلة كامل جسدي. وأن يغالب دمه الذي بدأ يغشي بصري بغمامته .ليخترق سكون الصمت فمازال سيات عيناها مازال يألمه واخذ يحدث نفسه آآآآآه يا قلبي . وكيف أنسى !! لقد وقع من عرشه، وصار في الأرض من روعه عليها. وهو يراها تصرخ دون أن يعرف كيف ينقذها وإختفت أمام عيني وأنا مربوط

اليدين لا أقوى على فعل شيء لها حاولت أن امسك بها. وأنا أناديها
وقلبي معي يصرخ فلم يأتني منها سوى الصمت. الذي أخترقه نظرة
من عينيها اللتان رأيت فيهما الخوف قد خرجت من محجريهما من
الفرع لأول مرة في حياتي كما رأيت كيف انسابت الدموع من عينيها
اللتان لم تهجران وجهي إلى أن اختفت، فأحس بغصة البكاء تعتلني
حنجرتي وقد جفت الدماء في عروقي، وتخدر جسدي، وأنفتحت
عيني على مصراعيهما. غير متمكن من تجميعي الكلمات على
بساط لساني من هول الصدمة أمام ذلك الشبح الأسود هنا أنقطع
آخر خيط في عقلي -لكن للأسف. للأسف الشديد أنا. أنا الطرف
الضعيف في هذا المكان ... لهذا بكل ذل العالم كم كره نفسه
حينها، وتمنى بأن تتشق الأرض وتبلعه. مطأطأ الرأس ذليلاً.

وأطلق أمة ألم أنفجرت من روحه الملتوية على جمر اللوم،
والأسى وصلت لقاع الأحزان في قلبه، ولم يشاء أن يعلم عمه انه
لم يغمض له جفنا منذ ليله أمس، ولم يعلم جاجان أن عمه أيضا
لم يغمض له جفن، فكان يرقبه في صمت منذ أن فتح نافذه
الغرفة، فمنذ اختطاف رضوى قد اتخذ ثلاثتهم عمه وهو ودكتور
ميلاد من غرفه عمه مكان واحد للنوم معا فقد كان عمه وصديقه
يجدوا بدأ من ذلك الأمر لحماية جاجان الذي حاول كثيرا فك وثاق
يده واستدعاء الأمير لقراءة تعويذه العفو وإطلاق سراح رضوى من
ذلك المصير الذي لم يعلم عنه شيء. أبتلع ريقه الجاف حين سمع
طرقات عمه على باب الحمام وقام ببطيء ممسك بمقبض الباب

وأخذت نظراته تدور بالمكان وأنتزع يده من سكونها فالتقط
منشفته وراح يغتسل، فأمتص الهواء بصعوبة وهو يرخي أجنانه
أمام تلك المرايا الكبيرة التي تملو حوض غسل الأيدي، ثم نظر
متحديا نظرة يملأها الإصرار،

فلم يفقد بعد كل وسائل دفاعه، ولم يكن ليرضى بفقد حبيبته
العمر ونور الحياة فأخذ يردد متحدياً هي لي. لي وحدي ... لن
أسمح له بأن يحدث لها أي مكروه. ما حييت، ولا بد من
إستعادها مهما كان المصير مهما كان الثمن الذي لا بد من
دفعه. لقد كان هذا صوت العزم والأصرار الذي تقشى في
داخله. يحثه على الصمود. وعدم إفلاته، وإفلاته يعني بأنها لن
تعود إلى محيط حياته البائسة، وكيف الحياة بدونها؟ وهذه
الفكرة لوحدها كانت كافية بأن تدب فيه روح الأمل روح القتال
فغرس أظافره في منشفته ودس وجهه بها الذي بات مبللاً وفتح
الباب. فالان توصل ألي يقين بأن المواجهة لا بد منها. نعم
امتلك ما يريد ويمتلك ما أريد.

بخطى تزحف زحفاً على بساط الأرضية، وصلت إلى غرفة
المعيشة. ليجد السفارة وقد جلس حولها عمه وعمه ميلاد فقط
أما عمته فريدة وأخته سارة منذ أختطف رضوى، وغيبوبة
يوسف بفعل السحر لم يبرحاً حجرتهم ونظر إلى حيث كرسي
حبيبته بجانبه مازال خاويًا وأخذ يتذكرها تترصع بلألى البسمة.
وعينيها ترسم البهجة. لتخطو مقتربة منة والبسمة لا تهجر
شفاهها اللتان كالتفاحة المحرمة. فيجد تفاحة آدم الخاصة به
تعلو بشق الأنف وتهبط. والنفس يتناقل في خطاه وراء صدره.
والقلب يرفرف لهفة وشوق لضمها. وهي بتلك الهيئة الساحرة.
برموش عينيها الكثيفة الآتي كجناحي عصفور ترفرف فيصرخ
الفؤاد لاقتناصها، والكحل العربي المرسوم بريشة فنان حول
عينيها الزرقاوين يلهب الأحاسيس الآتي يكتمها، وشعرها الليلي
الذي ينسكب كشلال مظلم لتطال أطرافه وجهه كلما تحركت
بجانبه وصوتها يحدثه بنعومة الموسيقى الحاملة بكلمات هامسه

لا يسمعها سواهم على طاولة الطعام وهي تتناول بعض الطعام لتضعه في صحنه تفضل حبيبي الفطور لن يكون له طعم بدون تواجدك ، فلم يستطع أن يبعد عينيه عن تلك الحورية التي تجلس بجواره لتمتج ضحكتها معاً في نفس المكان والزمان ،وقطعت خيط الوصل بيننا ذلك ألها رب عبر الزمان وغمد خنجر من نار في فؤاده .

أخذت يغمض ويفتح عينه بسرعة الضوء كي يتأكد بأن الذي يراه حقيقية وليس ذكريات يحيى عليها الآن وياله من شعور تغمره الفرحة اعتراه بتلك الذكرى ... جعله ينسى ولو لوهلة مصابة الجلل، وقطع ذكرياته لحظة حيرته التي مزقته وخلفت ورائها بقايا إنس صوتها وعمه ينادى ويسأله، وقد أرتسمت على وجهه علامات الإشفاق على هل هناك شيء لماذا لا تتناول طعامك؟ كان يسألنه، برفق قال : وقد أخذ بصره يمشط أرجاء وجهه، وكأنه يريد بأن يقرأ أفكاره ، وأن كان الإرتباك في وجهه قد أحدث فوضى عارمه ، وهو ينشر نظراته في أرجاء المكان بدون هداية ويضع أنامله فوق رأسي وحني رأسه للوراء ثم أطرق براسة الذي ثقل وزنه فجأة حين تذكر اقتحامه ذلك اليوم للحجرة المحرمة ، فأصطبغ وجهه بلون الخزي ... ففعلت لا يغنفر ولم يكن يعلم أن ثمن فضولة سيكون كبيراً ورهيباً بهذا الشكل الدامي وساد الصمت لثواني أنحاء الغرفة -تمني أن يفيق من هذا الكابوس فقد أصبحت جسد خطفت منه الروح ... يمشي على خيوط القهر

المُتتابعة دون أن يشذ عن مسارها المرسوم على يدين ذلك المجهول لم يعد يعلم ما طبيعة الشعور بكل ما حوله من الأشياء، أو الأيام ويكاد يجن... ثم تناول كوباً من الماء أخذ

يشربه بشرهة غير مسبوقه، وكأنه أتى من صحراء بعيدة حتى أن الماء أخذ يتسرب من زاوية فمه ... سالكا دربه على ثوبه سعياً لا رضاء حلقه المشتعل جفافاً وشوقاً للحبيبة المفقودة.

وعاد عمى ينادى من جديد، وتبادلت نظراته مع الدكتور ميلاد خوفاً وإشفاقاً به فقد كان يعلم جيداً خبايا نفسه ولوعته لفقد حب العمر وابنه عمى ورفيقه دربه.

حين رفع رأسه من حضيض الاستسلام بعد أن أخترق فكره المكبل بالوجيعه سهم قرار حاسم أنطلق من قوس صاحبه، فهل حقا يعلم عمه كل ما يدور بخاطره؟ أم هناك جديد؟ لم يعلم عمه أن هناك عهد قد أخذه على نفسه وهو استعادته حبيبته وليكن الثمن ما يكون؟

وعاد صوت عمه مره أخرى ليكسر ما تبقى من جليد الصمت فأحل مقلته من القيد الذي ربطهما واجبه قائلاً في اقتضاب: لا تخف يا عمى فمازالت أتتفس وأنطلقت زفره ألم شقت طريقها خارج القلب الذي سكنته الأحران، ورجعت عيناه تسبحان في شرود عميق -نظر ميلاد لوجهه جاجان، والذي قد أصابه الشحوب، وتبدلت معالمه النضرة بقوه الشباب، وقد تجعد محياه الذي أثار الشجن، وانتشرت بعض الشعيرات على شاربه وذقنه التي لم تهذبه أله حلاقه منذ اختفاء رضوى حتى طعامه أصبح لا يتناوله إلا بعض ألاح من عمه أو دكتور ميلاد. كان ميلاد وعزمي في هلع كبير من حزن الفتى الدفين الذي لا يبوح به أو يتكلم عنه، ولكن أصابه الصمت والشرود طوال الوقت دائماً كانت عباه السكون تدثره في جلوسه، وبنصف عين نظر

ناحيته لدقائق أحجبت فيها عنا لغة الكلمات ... مبتلعاً لعبه
في صعوبة بالغه.

كل شيء سيكون بخير يا بني لا تستسلم لليأس فسارت في
جسده رعشة نافضة ليرد على ذلك الصوت الحاني الذي يذيب
الجليد مهما كان حجمه وهب وافقا من أثر المفاجأة ، واندفع
في أحضانها وأخذ الأثنين ينتحبان في نهر من الدموع والآهات
التي فطرت قلوب الجميع فتناولت وجهه الذي أغرقته الدموع
تماسك يابني انى أراها في وجهك فلا تحرمني ذلك أيضا ،
وأخذ يقبل رأس ويدي عمته التي علمت بمدى حزنه ، وانقطاعه
عن الطعام حتى الحديث قد أمتنع عنه ، فهلع عمه ودكتور
ميلاد لتلك الحالة النفسية التي وصل إليها فقص على فريده ما
يعانى منه خطيب ابنتها وأبن أخيها ، فلم تستطيع أن تفقده هو
الأخر ، كانت فريده هي الشخص الوحيد الذى يحتاجه جاجان
في ذلك الوقت . فأخذت تشد من آزره لمواجهة ما هم فيه . فقد
كان الأمر أكبر منهم وقالت بحنان ألام: أبني أحمي نفسك فقد
صرت وحيداً" وتعالى نبرات الأسى تعلو صوتها ممتزج بدموع
قلبها قائله احمي نفسك حتى عوده رضوى اليك. ولم تستطيع
أن تحبس دموعها، وهو أيضا وتعالى أهات قلبهما المفطور -

كان خروج عمته من حجرتها لأول مره منذ اختفاء ابنتها لهو
حدث جلل حيث لم يستطيع أحد أن يخرجها من حجرتها منذ
تلك المأساة وذاده هذا الأمر تصميما على خطته لاستعادتها
ولم يعلم أحد ما يجوب في نفسه وهل سيكون ذلك هو الطريق
الصحيح الذي سيسلكه؟

الفصل الثامن

اقترب موعد ميلاد القمر الثاني، وأنتاب ملك الظلام الرهبة مخافة لا يتم إكمال بنود وثيقة سجن الظلام، ويصير بعد مولد القمر ظلاً اسود يجوب الفضاء بلا روح، وبلا سحر، وبلا عرش، ظلاً اسود منبوذ خارج الممالك ضائع، بلا رفيق، أو صديق إلى الأبد؛ إلا إذا تم النداء عليه، واستدعاؤه من جديد فقد يعود وله حق العودة مرة أخرى واحده فقط؛ إذا تم تطبيق بنود سجن الظلام ففي وثائق السجن مازال هارباً حيث لا نداء للعودة إلا مرتين ثم يصبح بعدها ظلاً إلى الأبد. و بدأت القشعريرة تزحف إلى ظهره فتكوم على ركبتيه تتوسطهما تلك الراس السوداء، فاصبح ككتلة مظلمة ملقاة في أحد أركان الكهف العجيب .كان يعلم جيداً أنها فرصة الوحيدة كما أنها أيضاً فرصته الأخيرة للانتقام من الملكة وأبنائها حيث أنها لم تكتفى بهزيمته فقط ، ولكن قامت بسجنه في ذلك المكان الذي لم يعود منه أي من الملوك السابقين المهزومين مرة أخرى إلى عروشهم ولم يستطع أحد استدعائهم بالنداء عليهم ليتمكنوا من العودة مرة أخرى حيث لم يكن يملك احد ألقوه المناسبة من السحر ليتم ذلك ، وان كانت بنود وثيقة سجن الظلام تعطى للسجين ألحق في فرصة أخرى للعودة ، فكانوا على علم أن من يستطع اطلاق النداء والاستدعاء لأي سجين لابد له من امتلاك القوى السحرية التي تفوق قوة الملك السجين ، ولما كانت الملوك فقط هي من تمتلك تلك القوة السحرية و حراس الجهات الأربعة للممالك ، كان يمكن لحراس مملكته من النداء إلا أن الملكة قامت بهزيمتهم واستولت على العرش، وتفرقوا بعد ذلك خارج المملكة التي أصبحت تحت حكم

الملكة ،كان الجميع يعلم أن لاجود لقوى سحرية أقوى من قوة الملكة الرهيبة . فإدخروا قواهم لما قد يحتاجون اليه في أوطانهم بعيداً عن الحرب. كما كان يعلم أيضا أنها فرصته الأخيرة للعودة إلى ملكه وسلطانه، فكم تأقت نفسه ليصبح الملك الوحيد العائد من سجن الظلام كما كان يشتاق لهذا اللقب كثيرا.

رفع رأسه قليلاً في زاويته داخل احدى حجرات الكهف، وألذى استضافه فيها الأمير الصغير، والتي لا تتعد كثيرا عن حجرة الأمير الملكية فلم يظهر من السواد المحيط بهذا المكان سوى ذلك الفراغ الأبيض مكان عينيه داخل عباءته السوداء فإكتسى ظلامه بظلام ليل الكهف المرعب، وإختلط الظلامين ولم يعد يستطيع من يراه ألتميز بينة وبين ظلام المكان، وأفاق قليلا من شروده ،فنظر حوله يمينا ويسار في ريبه ،واخذ يتلمس بيده شيء بجواره ،فلم يجد غير الرطوبة القاتلة الذي انتشرت بأرجاء المكان الذي لفه الصمت المرعب إلا من صوت قطرات قليلة من الماء تنزلق حيناً بعد حين من أعلى السقف .

ذلك المكان الموحش الذي أختاره الأمير ليكون مقرا للقائهما السري بعيد عن عيون جند الملكة المنتشرون خلفه في كل مكان، وهاهو ينتظر لقائه في شوق جارف هذه المرة ليزف له مفاجأته السارة التي لم يكن يعلمها، وقد قام بها دون أن يخبره بهذا الأمر حتى ينتهي، وهاهو الآن وقد أكمل مهمته في إختطاف حبيبة الفتى الغالية، والذي يحمل حول معصمه مصير الأمير، أو كما يعلم هو مصيرهما معا فتنحيز أمير الشعوب من سجنه هو أمله ألوحد الآن فهل سيسعد الأمير بما قام به ملك الظلام دون علمه؟

وماذا سيكون رد فعله على ذلك الأمر؟ فتلك المرة الأولى منذ استدعاه الأمير من سجن الظلام يقوم بعمل غير مكلف به من قبله، ولم يدري الأمير أن القمر الثاني قد أوشك على الظهور في سماء الدنيا، وإن لم يتعجل الأمر في حصول الأمير على تعويذة العفو سيكون مصيره هو الهلاك، وسيبقى إلى الأبد ظلاً أسود يجوب سماء الدنيا أما الأمير فلن يتغير معه الأمر كثيراً، وأن ناضل بعض الوقت لإستعادته عفوهُ - كانت تلك الفكرة تسيطر عليه حتى تكاد أن تفتك به من هول ما يرى مصيره المعلوم، ولكن أمثل هذا يستسلم راضياً؟ لا، كان عليه الكثير من المحاولات، وإن كان الثمن أي شيء ليحصل على ما يريد، وإن كان هناك بعض الأشياء الذي يخشى القيام بها مخافة قوة الأمير السحرية، والذي يمكنه أن يفتك به إذا أراد ذلك، فاستسلم لهذا الأمر كاره رغم أنفه، وأخذ يخطط لشيء أقل من ذلك شيء يبدو في ظاهرة صالح الأمير وأنه قد فعله من أجله، ومن أجل خوفه عليه، ولكن باطنه هو يعلم جيداً أن ما يفعله ليس من أجل أحد سوى شخصه هو فقط أولاً وأخيراً، نعم قام بخطط الفتاه ليحرك رواكد الأحداث بين الأمير وذلك الفتى - ثم عاد ليفكر لماذا لم يقم الأمير إلى الآن بالسطو على قلعه المعدن النفيس؟ ولماذا ينتظر؟

ثم هب واقفا من جلسته وأخذ يتمشى في أحد ممرات الكهف ليسأل نفسه مره أخرى عن سبب اختيار الأمير ذلك الكهف وهذا المكان الشنيع؟

لم يكن يدري أن هذا الكهف من سجون الملكة السرية، وهو تحت حراسه الأمير الصغير منذ زمن بعيد، وبعد صراعه مع

أسرته لو قام أحد منهم بالبحث عنة فلن يتوقع أن الأمير سيتخذ من هذا الكهف الموحش مقراً له.

كان الظلام يسود المكان في هذه الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف ، والتي لا يوجد بها إلا التلال ، والكثبان الرملية ، وهذا الجبل الغريب الذي هو أشبه بجماجم الموتى . إذا ما ارخى الليل أستاره على المكان ليكتسي بظلام الليل المرعب ، فتنشر الضباع ، والثعالب ، وأيضا الثعابين التي تقترب من بعض الأشجار الصحراوية ، وغيرها . كان الليل هو متنفس تلك الحيوانات ، والزواحف لتسعي بعد غروب الشمس الحارقة في ذلك المكان بحثاً عن ما تقتات عليه ، إلا أن الجبل وسفحه كان من الأماكن المحرم على هذه الحيوانات الإقتراب منها ، ولو قليلاً فاذا نظر أحدهم إليه عوى رعباً وفر هارباً مخافة شيء ما ؟ كان من المناظر الموحشة الذي يخشى النظر إليها حتى الحيوانات والزواحف .

تعالت أصوات هبوب الرياح الشديدة والعواصف الرملية في الصحراء الممتدة حول الجبل حتى إذا ما أقتربت منه كانت أقوى وأعنف ، وكأنها تريد الفرار سريعاً من ذلك المكان فتنثاثر حبات الرمال لتحملها الرياح في حده وسرعة بعيداً لتتجاوز فتحه لك الكهف المخيف يتبعها دوى صفير الرياح حول الجبل لتعزف الصحراء سيمفونية مرعبة في ذلك المكان . أما في أعلى قمة الجبل فقد كانت جلسته المعتادة حين يهرب ممن حوله لينفرد بنفسه هناك تحت نجوم السماء الذي لا زالت تتلألأ معلنة في تحدى عن وجود الأمل ، ووجود النور رغم ظلمة الليل فأخذ ينظر إليها في صمت ، وإصطبغت قمة الجبل

باللون الأحمر الذى يقطر من خصلات شعره تتخللها قطره
صغيره من اللون الذهبي لون دماء قلبه المفطور فقد ولدت به
نبضه حنين إلى ذكريات الماضي حيث أسرته وملكه وسطوته
الذى فقدهما ،وأخذ يسأل نفسه في صمت ، وفى أسى نعم
قطعت خيط الوصل بيننا بخنجر القسوة، و لم أتحمل ، ولكن
تتحمل ماذا ؟!!! هذه الجملة أوقعتني في دوامة الحيرة. كأنها
شبكة كبيرة من الألغاز التي تحد حركتي، وتمنعني عن المضي
قدما نعم هي من فعلت بي ذلك أمي وأخي، ولم احتاج يوما
منها إلا شيئاً وحدا، أكانت القسوة بدلا للعطف، وكيف يعطف
من لم يمتلك القلب؟ وها أنا قد فقدت كل شيء الآن في
البدء كان هذا المكان. فهروبي لهذا المكان كان يبعث بعض
السكون إلى قلبي. أما الآن فقد بات بلسمه بلا مفعول يذكر.
فهل يجب بأن أرفع رايه الفشل؟ هل أستسلم لألم الفراق إلى
آخر نفس من حياتي؟ أما، وما أصبحت عليه الآن فلا بد أن
استرد ما ضاع منى وما هو حقا لي لن يضيع مره أخرى فنداء
أخترق حواجز الصمت الذى أرتديه حين أسكب ألمي على قمة
هذا الجبل كل مساء والقى ببصري على حدود تلك المملكة
على حدود ذكرياتي حين كنت ادنو بخطى صغيرة. أخي وأمي.
وأنا أتبعهما بعيني شبه المفتوحتان، وكانت شراره البهجة تملأ
وجهي والفرحة تصبغ محياي لينظر إلى اخي الأكبر، وملامح
الخبائة تملأ تضاريس وجهه واللهيب يشعل في نبرة صوته،
وهو يقول حين يعلو صوتي بالضحك الأمراء لا تضحك هكذا
وأشياء كثير من هذا القبيل، فكان ذلك كافيا بأن تبجله الملكة،
وتشيد برجاحه عقله، وكنت أنا من ينال اللوم، وينال العقاب.
فكنت اكنم أنفاسي الثائرة من أن تتقاذف في وجهه لحظتها كم
أردت بأن أرديه صريعا من أوج غضبي الذي لا يسعه جسدي.

لكن بجهد جبار كبحتة، وأنا أصرخ داخلي، وأكاد أشعر بحرارة
الدماء

التي تحقن وجهي فكثير ما يلومني حتى أصبح كحبل المشنقة
يخنقني، وخصوصاً في حضور الملكة كنت أسمع كل حديثهم.
الذي حرص فيه بأن يلدغ طبلي أنني بها في كل مجلس لنا
مع الملكة الأم، وكان كثيراً من براءة طفولتي التي لا تتضج
فكانت أمي ترمي على خناجر كلامها التي تدميني دوماً بها
حتى جاء الوقت الذي صرختُ بداخلي لم أعد أحتمل، وها هو
القلب البريء قد طغى، واكتسبنا بثياب أدماء، وها قد رفعتُ
رأسي من أرض الأحزان لانطلق إلى عنان السماء لا نأخذ ما
هو حقاً لنا، ونرى الجميع القوة التي يردون أن يروها، وابتسم
في دهاء محدثاً نفسه، إلا يحبون القوة؟ إذا فلنرى، ولن يلومني
أحد، ونظراً عالياً إلى النجوم، وهب واقفاً فاتح ذراعيه كمن يريد
أن يحتضن الكون كله، أو من يريد السيطرة عليه وحده، وإنشئ
بعض الشيء، وقد اتخذ قراراً جليلاً.

لم يكن يدري إلى هذه اللحظة أن هناك من ينتظره على أحر
من الجمر ساعياً للقائه، وكان يحمل إليه خبر ما، لم يكن ذلك
المنتظر ببعيد بل كان تحت قدميه أسفل مجلسه. داخل الكهف
بيطن الجبل الذي يجلس أعلى قمته الآن، وأنطلق ليعود إلى
حيث مقره الذي اختاره داخل الحجرة الملكية بداخل الكهف ،
واتخذ مجلسه في أحد جوانبها كان لازال غارقاً في أفكاره
شارداً بعض الشيء ، وعلى ملامحه علامات القلق والاهتمام
حتى انه لم ينتبه لذلك المنتظر أمام حجرته منتظر الأمر
بالجلوس بين يديه حتى أشار إليه فدخل مسرعاً ، وبرز
بوجهه المظلم ابتسامه ، لم يظهر منها سوى ظلال سوداء و

ذالك الفراغ حول عينيه الذى فقدتا الحياه فسبحت هي الأخرى
في فراغ الظلام العميق ، واخذ يسرد في فخر ما قام به من
خطف حبيبه الفتى الذى يحمل تعويذه الخلاص ، ولم يكاد
يكمل قصته حتى هب الأمير واقفا فزعا فنظر اليه نظره
غاضبه كادت أن تؤدى بما تبقى من حياته الفانية ، فارتعشت
أوصاله وأطرق ببصرة إلى الأرض مبتعداً قليلاً خشية الأمير
ألغاضب فاتخذ وضع التابع الزليل الذي اغضب مولاه ، فأخذ
يكيل اليه بوابل من الغضب الجارف ،والذي لم يغضب مثله
خلال السنتين الغابرة لكن اليوم أنفجر ولم يستطع كبت جماحه
، فصاح قائلاً : لقد تخطيتُ كل الخطوط الحمراء بهذا الفعل
فهل أمرتك بذلك ؟ فشعر بأن قدماه سوف تتهاران من هول ما
رأى من الأمير الغاضب وأخذ يركض وراء أنفاسه، يحاول
النقاطها من الفرار من رثته المتهالكتان حتى أن أنفاسه أنقطعت
نهائياً. وكأن الموت يدنو منة فزاغت عيناه معه .ليخرج من
ورائه، فتعكس عينة وجهه. الذي شاخ خلال الساعات الماضية
عشر سنوات أو أكثر وأصبح أكثر بشاعة وأكثر رعبا مما كان،
فوقع في هاوية الذهول، واخذ يهرع إليه، وكلة فزع فوقف أمامه،
وكلمات الجزع تسابق نبض قلبه كي يعفو عما فعل دون أمره
كان ما زال لم ينسى طعم الذل الذي أذاقته إياه الملكة منذ
عقود، فمسح على وجهة فور أن التقى عينيه المتتاقلتين بعين
الأمير، وكأنه يخاف يرى ما تحت جلده الأسود، ويكشف
المستور من صرخات قلبه الشاحب المتلهف للانتقام

ثم قال الأمير: بعد طول صمت بصوت أعلاه الغضب وهو
يمر بالقرب منة. وهو يتبعه بعينية الخائفتين لقد وصلنا لبدأيه

يرتديها؟ انتظر قليلا ليستجمع أنفاسه المتبقية سائلا سيده:
وماذا يامولاي سنفعل بالفتاة؟؟ نظر اليه وقد عادت نظره
الغضب تملأ عينيه من جديد وقال باقتضاب. سأتكفل بإخفائها
في مكان لن يراه فيها جنود الملكة؟ وتقدم قليلا في وجل قائلا:
يا مولاي أتدرى لماذا قمت بخطف الفتاه؟ وعادت قسّمت
الخبائثة تملأ وجهه، فقال بهدوء وطيبه مفتعله. حتى يفجع الفتى
فيها فنقايضه بقراءة التعويذة مقابل الفتاه، فضحك الأمير ساخر
وقال: خطف الفتاه لن يضيف إلينا جديد. أتدرى ماذا فعلت؟
لقد أضفت إلى قيودنا قيّدًا جديد بسبب تسرعك وجهك للأمر،
ولم يكن يعلم ماذا سيكون مصير من يعلمون بأمر التعويذة
منذ سنين؟ فهل سيكون مصير ملك الظلام بهذا المصير
أيضا؟

جلس جاجان وسط عميه عزمي وميلاد حزينا شاردًا منذ
فقدته حبيبته الغالية، يفكر ويتهيأ اللحظة المناسبة لتنفيذ خطة
كي ينفذ رضوى دون علم أحدا عما يدور بخلة، ولكن ميلاد
وعزمي كان يعلمان جيدا ما يفكر فيه الفتى، وكيف لا؛ وهما قد
رباه صغير، ويعلمان خبيثة نفسه. فقال ميلاد أتعلم يا جاجان
ماذا سيحدث إذا تم قراءه التعويذة لأمر الشعوب او الأمير
الهارب كم نطلق عليه؟ فأنتبه الفتى، وكان تواقا لسماع أجابه
هذا السؤال فقال ماذا سيحدث؟ هل سيعود إلى عالمه تعود...
رضوى، وابتلع غضه في حلقه حين ذكره اسمها، فلا يعلم هل
مازالت على قيد أحياء أم لا؟... كما سيمحي السحر عن
يوسف، وتعود حياتنا كما كانت. فنظر مشفقا في عيني الفتى،
وقال لا، لن يحدث اى مما قلت أتريد أن تعرف الحقيقة كامله؟

فاستمع جيداً لما أقول: إذا تمكن الأمير الهارب من قراءه التعويذة سيتحرر من سجنه، ويستعيد ملكه كاملاً ولكن مع كل هذا الشر الذى أضحي عليه لا نعلم ماذا سيفعل في أسرته أو في شعبه؟ وأيضاً هناك القوة الهائلة للمعدن النفيس وماذا سيفعل بها؟ وأن كان ذلك خاص بعالمه الشخصي ولا دخل لنا به. ولكن يا بنى هناك الأخطر من ذلك فمازال هناك جزء من سر التعويذة لم تعلمه بعد يقول: إن استعاد الأمير الهارب نجاته على يد أميرة المحرر من العالم الآخر فلا بد أن يبقى هذا الأمر سراً إلى الأبد، ولا بد من هلاك كل من علم السر في أي مكان وأي زمان منذ القرون البعيد مهما كان عددهم أو بلادهم، وسيفنى الجميع بجنود هذا الأمير الغاشم، ولن يكون هناك ناجى ابداً مما علموا بهذا السر. لذلك نحن أو القبيلة الأفريقية، أو أي شخص آخر من البعثة الاستكشافية الجميع يا جاجان، سيكون مصيرنا الهلاك ولذلك يجب ألا ينال هذا الأمير منك ما يريده أبداً. فتح الفتى فاه عن آخره واتسعت عينيه من المفاجأة، فكان سيقوم الليلة بفك وثاق يديه وأستدعاء الأمير لقراءة طلسم التعويذة ظناً أنه سيستعيد خطيبته هو الآخر وينتهي الأمر، وقال محدثاً نفسه: يبدو إنني مازلت متسرعا لم أتعلم مما حدث بسببي إلى الآن. ثم قال ميلاد: أتريد أن تعلم باقي الأسطورة كي تتخذ الحيطة مما سترى الأيام المقبلة دون تسرع فقد تجد نفسك وحيدا في بعض الأوقات وقد لا أكون أنا أو عمك بجوارك. فقال مطأطأ راسه لأسفل، وكان الندم بادياً عليه وأخذ يؤنب نفسه على ما حدث، فتلك الكوارث التي تمر بها الأسره الآن؛ ما هي إلا بسبب فضوله للمعرفة دون علم. فالمعرفة بدون مصادر قويه والعلم من غير أربابه لا يقل خطورة عن الجهل، ولم يسأل عن سبب ذلك الحجب والمنع الذى كثيراً ما

حزر منه عمة من الاقتراب لتلك الحجرة، ولكن نفسها ألتواقة للمعرفة وفضوله لكل شيء أخذته هذه المرة إلى الهاوية . قال الدكتور ميلاد : تعلم أن ملك الظلام كثيراً ما كان يحاول تعجيل الأمر على الأمير الصغير في إقتحام "قلعة المعدن النفيس " تلك القلعة التي أقامتها الملكة تحت الأرض ، وقامت على حراستها جنود خاصة من جندها الشخصي ، وأيضا استعملت قواها السحرية في حمايتها فكانت تعلم جيدا كم من الأطماع الكثيرة من الممالك الأخرى مما يحولون الاستيلاء على أي قدر من ثروتهم كما حاول الكثيرون أستماله الملكة والتودد لها كي توافق على بيع أي كميات باي ثمن ، و كان يتم رفض أطلب دائما سواء كان هذا أطلب من الأصدقاء او غير ذلك ، كانت الملكة وهي سليلة أعظم الملوك ألسابقين على علم تماما أن القوى هي من تحمى الممالك من الهلاك ، ولكل نجاح يوجد أعداء كما يوجد حاقدين ، ولكن لم تؤول للأمر اهتمام ولم تخشى أبداً من أعدائها فقد كانت تثق كل الثقة في قوتها وسلاحها أالذى يخشاه الجميع .. واستمرت مملكة الشمس عشرات المئات من ألسنين تتعم بلقب المملكة العظمى وأقوى الممالك ، ولم يخشى سكانها ،أو حكامها من أعدائها يوما من الأيام ، حتى أصبح الأمر أكثر خطورة وجاء أالخطر من أالداخل حين انشق الأمير الصغير عن أمه وأخية ، وعن واجبه في حماية الركن الرابع من أركان المملكة فعمل ذلك على أضعاف قوة الملكة أيضا ، فلم تنتظر الملكة لنصائح الكاهن الحكيم بعين الحكمة والذى حذرها كثيراً خطورة الموقف ، ولكنها لم تكثر حتى استفحل الأمر بينها وبين الأمير أالصغير وبينه وبين أخيه، واستحوذ عليه الحقد فملاء قلبة وجاب الدنيا لا يحملهما سوى الانتقام والاستيلاء

على العرش الملكي، وإلى هنا كان الأمر مازال هينا على الملكة الذي استطاعت تداركه والحفاظ على أركان المملكة مما يفعله أبنها في تحدى غاشم لها ، ولكنها لم تستطع السيطرة عليه حيث كان يستعين بقواه السحرية في أي مكان وكان ذلك من الأمور الممنوعة على الأسرة المالكة من استعمال قواها السحرية إلا في الحفاظ على المملكة من أعدائها

وجاء اليوم الذي لم ترى الملكة يوم مثله، وهو يوم الضباب كما أطلقت عليه حين ساد القصر الملكي وسماء البلاد غمامة كثيفة من الضباب أغرقت البلاد في ظلام بارد وحجبت أشعة الشمس عن الحقول أيام طويلة حتى كادت المحاصيل أن تضر حينها علمت الملكة من جنودها السريين ما قام به الأمير الصغير باستعمال قواه السحرية مع ملك الأرض المظلمة في سجن الظلام وتجاهل ما فعله هذا الملك الاعتداء على المملكة والاستلاء على ثروتهم.

وأعلنت الملكة حالة الاستعداد القصوى بالبلاد، واجتمع مجلس الحكم، واطلع على تفاصيل الكارثة التي حلت بهم، ولكنها لم تعلم في كل اجتماع، أو مجلس كانت توجد قطرات من الدماء دون تعرف من صاحبها؟ أو أين هو من مجلسها؟ فكان على علم بكل ما تقوم به الملكة. وهناك أيضا كان ينتظر أن يستعيد قلب الصغير مره أخرى من ظلامه، ومن حقه الدامي في كل مكان.

الكاهن الحكيم نعم ومن سواه يهتم لإمر الأمير الصغير الذي شب وليدا على يديه وتأدب وتعلم كما فعل مع أخية وكما علم أمهما من قبل فلم يكن الكاهن الحكيم ذو سلطة عظيمة في

حكم المملكة فقط، ولكن كان بمثابة المعلم والأب الحكيم في هذه الأسرة منذ سنوات بعيدة.

في أقصى أركان القصر الملكي، وبعيداً عن العيون تتناثرت قطرات الدماء فحجبتها ستائر الحائط السميقة المنسدلة حتى الأرض، فلم يلا حظ أحد من قادة مجلس الحكم هذه ألدماء ألي أن انتهى اجتماعهم مع الملكة ثم انصرفوا جميعاً، انصرفت أيضاً الملكة من قاعة العرش ، وبقي هو فقط بقاعه العرش ، وكان هذا ما يريده الآن، حتى صار وحيداً تسلل ببطيء إلى حيث تلك الستائر الثقيلة المنسدلة ، وتقدم ببطيء وقد امسك بيده في قوه وحنان رغم سحره المختفي به عن العيون - كان الأمير مازال يحمل بين طيات قلبه بعض من الوفاء لهذا العجوز الممسك يده ، والذي شاهده رغم اختفائه داخل هاله قواه السحرية، فأرخی يده واستسلم له في اطمئنان ، وكان مازال مختفياً فاقترب العجوز من أدني الأمير هامسا أريد أن ألاقيك بالخارج فاين يكون ذلك ؟ وفتح الكاهن الحكيم فاه من الدهشة حين سمع جواب الأمير يمكننا اللقاء هناك حيث سجن كهف الجبل الأحمر التي لا يستطيع أحدا الاقتراب منها سوى سكانها من الوحوش والأفاعي. نعم تعجب أن يتخذ الأمير من ذلك المكان الوحش مقرا له، ولم يخاف إفشاء سره للكاهن الحكيم حيث كان يعلم جيدا أن السر معه لن يفشى أبداً. ترى أكان يريد لقاء الكاهن أم الكاهن هو من يريد لقاءه؟ وأغتصب فرحة اللقاء، وأنتهك شجن الحب الذي بقي من أطلاله هذا الكاهن العجوز، ودهس فؤاده المفطور. دون أن تهتز شعرة له، أو تنزف دمعة من جفنه فالعقل مضى، والقلب طغى وأمر بتخليد

الذكريات في ذلك الصندوق الأسود الذي يسكن بين أضلعه،
ورسخ فيه ذكرياته كوتد لا يتزحزح من صفحاته التي بات ليل
نهار لا يلغيها من تفكيره العقيم الذي يدور حول مركزه هو
فقط.

لم يمضي الوقت طويلا، وقد التقى الكاهن بالأمير الصغير الذي
تغير تماما، وتبدلت هيئته الحسناء ووجهه الملكي الذي ينبض
بقوه الشباب وعز الملوك إلى ذلك الوجهة البشع الذي أخذ يقطر
حقدا في كل تحركاته، والتقى الكاهن الحكيم به، وكان يأمل أن
يعود الأمير أو يعود جزء من جلاله الملكي لما كان فتقدم
بخطى بطيئة، ونظرا طويلا لمجلسه داخل ذلك الكهف، واخذ
يلتفت يمينا ويسارا مستكشفا هذا المكان المريع الذي لا يليق
بمثله أبدا ثم نظر بطرف عينيه وقال: أبنى الحبيب هل أنت
راضي لوضعك هذا؟ احترس أيها الأمير الصغير أن الصراع
بينك وبين الملكة وأخيك قد اتخذ منحى خطر، فضحك الأمير
ساخر، وقال: بماذا تقصد بمنحى خطر؟ تقصد خطر لي أم
لهم؟ فقال الكاهن مشفقا على زهوه هل سمعت من قبل أن هناك
ما جعل الملكة، أو المملكة في خطر؟ هل سمعت من قبل أي
من الملوك الت اليه نفسه مساس أسوار المملكة وقد نجح في
ذلك؟ ولتشهد أسوارنا كثيرا من مئات القصص البطولية التي كتب
عليها "مملكة الشمس" التي لا تقهر أبدا. هل نسيت يا أمير
الشعوب ذلك الأمر؟ فضحك مره أخرى ضحكة مجلجه ساخرة
أهتزت لها أروقة المكان وقال اااااا الأمير الشعوب؟! أما ذلت أيها
الكاهن الحكيم تذكر هذا المنصب؟ وقال بشجن وهل هناك من
يتذكره مثلك؟

- نعم يامولاي ومازال منصبك كما هو شاغر، ولن يمأله أحدًا غيرك كان الكاهن العجوز يتودد إليه في رقه أملاً أن يستعيدة مما هو فيه،
- ولكنى أعلم أن أخي قد شغل المنصب وأصبح يستولي على كل السلطة كما أصبح ولي العهد الوحيد، وقال: القهر يسبق كلماته اعلم كل شيء - نعم اعلم شيء.
- ولكن الأمير الأكبر يشغل منصبك مؤقتاً، وليس رسمياً كما تعلم أن كنت فعلاً تعلم كل شيء،
- وان كان الأمر مؤقتاً كما تقول فلماذا تطاردني الملكة بجنودها السريين؟ لماذا لم يتم استدعائي للقصر؟
- لقد تم استدعائك من قبل وتعلم ماذا حدث بعد ذلك لقد أهنت المجلس، وتحديت الملكة ثم اختفيت في هاله النار، أتذكر فكيف يتم استدعائك مرة أخرى بعد ذلك؟ ولم ينتهي بك الأمر إلى هنا فقط ولكنك أنهيت عملك في تسرع، وتركت مهام منصبك شاغرة سواء في حكم الشعوب أو منصبك في حماية الركن الرابع من أركان المملكة، وهل أتعلم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد حاول ملك الأرض المظلمة الهجوم على المملكة من الركن الذي تركته بلا حماية عندما رفضت الملكة طلبه لشراء "المعدن النفيس" فوسوسة له نفسه استغلال واختراق هذا الركن الشاغر بلا حماية، وقد علمت بذلك جميع الممالك الأخرى كما علمت بالصراع الواقع هنا. إلى أن قبضت الملكة على الملك المغرور وتم إبعاده ألي سجن الظلام، واخذ الكاهن الحكيم يحكى له ما حدث من صراع الملكة وملك الأرض المظلمة، ولكن كان يحرض على عدم علم الأمير بما يعرفه من معاهدته مع ملك الأرض المظلمة الذي أطلق

صراحه وأطلق عليه ملك الظلام. كان يأمل أن يرد الأمير الصغير عن هذا الأمر الخطير ويفشل مكيدة ملك الظلام. ولكن حدث ما جعله يفقد هذا الأمل إلى الأبد فأثناء حديثه توقف الكاهن الأكبر واكترت إلى طائر الصقر جاءه محلقا في سرعة عبر ممرات هذا المكان فهو الطائر الخاص، و أيضاً الحارس الشخصي له فلم يلبث أن وقف على كتفه، ونظر إليه فعلم الكاهن ما يبوح به الطائر ثم حلق إلى فناء الكهف خارج هذا المكان سريعا، ولم ينتبه الأمير الصغير لهذا الأمر فهو يعلم أن الصقر هو الحارس الشخصي للكاهن فلم يعقب على ذلك -انطلق الصقر ألي الخارج فاستدار الكاهن الحكيم ناحية الأمير واقترب منه أكثر وأكثر وقال هامسا: هل يوجد أحد غيرنا في الكهف ؟ فقال: الأمير لا _ فقال: بلا؛ يوجد يابني، فإحزار من يكون؟ ومع من تكون هذا؟ هو الخطر الأعظم، وانتظر قليلا وقال: أتريد أن تقول لي شيء آخر؟ ألا تريد أن تعود معي لمزاولة عمك وواجبك في حماية الركن الرابع من المملكة؟

لم ينتظر الكاهن الحكيم الجواب فقد اقترب هذا الظل فالترتم الصمت، وهو يعلم جيدا من يكون صاحب الظل وان كان يجهل صاحب الظل وجود الكاهن الحكيم الذي لو علم بوجوده ما تقدم هنا أبدا فهو يعلم أن في ذلك هلاكه.

اخذ صاحب الظل يقترب ويقترب حتى ما صار أكثر اقترابا ارتفع صولجان الكاهن لتضيء حوله الطلاسم والحروف التي نقشت حوله في محاوله للقبض على صاحب الظل، ولكن كانت يد الأمير أسرع من صولجان الكاهن، الذي علم ما يريد أن يفعله فدفع يده بعيدا فانتبه ملك الظلام وفر هاربا. ونظر كلاً منهما في عين الآخر ولكن كان لكل منهما نظرة

مختلفة فكان الكاهن ينظر اليه في شفقه ممزوجة باليأس
والأمير الصغير ينظر ألية نظره قسوة يملؤها الحقد، وعلم
ألكاهن جيدا في تلك اللحظة أن أمر الأمير قد انتهى تماما،
وقد أتخذ طريق الألم، فقام بدق الصولجان بيده دقه قوية في
ارض الكهف ليتخفى بعدها من المكان الذي أصبح ملتقى
الشر وأصبح خطرا على الجميع.

ابتعد الكاهن وترك الأمير غارقا في أفكاره، وعاد اليه الشر
متجسدا في ملك الظلام للتطبيق بنود المعاهدة الذي أبرمها
معه، وظلت تلك النظرة المشبعة بالغضب، والتي تعكس
لهيب فؤاده. لتلحقهما ارتخاء قبضتيه المتوحشتين والخانقتان
فقد كان يعلم جيدا أن ما قال الكاهن كان يمكن أن يكون
حقا، وكان هناك بصيص من الأمل كي ينهى صراعه مع
أسرته، ولكن هناك من يتربص فلم يدعه يفكر كثيرا في هذا
الأمر فكان ينفث في الرماد كلما هدأ لتعود النيران تشتعل
وتتأجج من جديد في قلبه ونفسه التي ملأها الظلام، وقد
وضع خطة الحرب للاستيلاء على المعدن "النفيس" بمساعدة
الأمير الهارب.

كان يرى ملك الظلام أن ذلك الوقت هو الوقت المناسب
للحجوم على قلعه المعدن فالملكة مشغولة بالصراع مع أفراد
أسرتها الطامعين في العرش وكلاً يريد يحمل وحده لقب ولى
العهد الذى سيتولى ومن بعده أبنائه قياده البلاد، وكان هذا
الأمر يحدث لأول مرة منذ قرون طويله منذ قيام مملكة
الشمس والحكم فيها يقسم بالتساوي بين أبناء الملك - لذلك
وجد ملك الظلام فرصة عظيمة لهذا الخلاف والصراع
العائلي ليصل ألي أطماعة المكبوتة، و ما تطمح اليه نفسه
الخبثية وغربت الشمس ، وأظلمت السماء وظهر القمر

فكان في التربع الأخير فلمعت بجواره النجوم المتلألأة
وباتجاه الجنوب بعيدا حيث مدخل "مملكة الشمس" الذي نطق
اسمها في همس يملأه البغض والكراهية كانت همساته تحمل
شر رهيب يريد السيطرة المطلقة على المملكة وقلعه المعدن ،
وهاهو الآن ينتظر أن تنطوي صفحه كبيرة من الليل كي
يسهل عليه التخفي في الظلام و تحالفهما معاً ضد الملكة
لن يكون بصورة حروب معتادة من جيوش وعتاد فذلك لا
قبل لهما به أمام جيوش مملكة الشمس الذي هزمت أقوى
جيوش الأرض ،ولكن حربهما ألان سيكون بصورة خفية .

واعتدل الدكتور ميلاد في جلسته قليلا، وقد رأى علامات
الاهتمام على وجه الفتى فصمت ونظر بطرف عينيه إلى
صديقه الدكتور عوني الذي فهم ما تعنيه نظرات صديقه،
فأطرق برأسه موافقا أن يكمل حديثه ويكشف المزيد من
تفاصيل الأسطورة - فقال : كانت الليلة قد أقتربت عن
الإنصاف وكان السكون يعم الأرجاء وحفيف أوراق الأشجار
يعزف لحنا مخيفا يشكل تناغم مع صوت رياح الصحراء
الملعونة تلك الصحراء التي تبتعد كثيراً عن أسوار المملكة
التي تمتد لمساحات كبيره من أطرافها كما أنها جزء من
الأراضي الكثيرة التي تتبع العرش الملكي لمدينة الشمس ،
ويقوم على حراستها دوريات خاصه غير مقيمة وكان هذا
الجزء من الأراضي تحت حراسه أمير الشعوب . كانت تلك
الليلة مختلفة عن الليالي السابقة حيث كان الأمير سيد هذا
المكان أما اليوم فيحاول السطو على ملكه مثل أحد
الصيغ فمئذ أنقلب على أسرته وصار في صراع بغيبض قد
سمع الكثير قصص يشيب لها الوليد، وتقشعر لها الأبدان

وهذه الليلة فاقت كل القصص التي تحكى عنه؛ نعم فقد كانت الليلة الفاصلة -ليه اختراق مملكة الشمس والسطو على قلعه المعدن.

كان إصرار الأمير الصغير على إتمام سرقة المعدن امر غريب، فبرغم الصراع القائم على السلطة بينه وبين أخيه كان على يقين أن المعدن جزء هام من أمن المملكة، ولكن يبدو أن لم يبقى في عروقه قطره من دم الأجداد النبلاء وأن عداوته قاربت على الجنون، وحين وقت تنفيذ خطة العار فانطلق مطلق في فضاء الكون وقد أحاطه ملك الظلام من كل جوانبه فالتحما معا وأصبحا كقطعه من سواد الليل الحالك.

كان معرفة الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة لا يزال مقصوره على عدد صغير من كبار رجال الملكة ولم يتم انتشار امر هذا الصراع بين العامة بعد فهذا الأمر من شأنه وضع الملكة في أحراج تام أمام شعبيها كما كان يعمل كثير من الملوك للممالك الأخرى وكانت الرعية تعلم أن ما حدث مع ملك الأرض المظلمة كان بسبب عدم موافقه الملكة بيع جزء من المعدن كما قيل لهم من حكامهم بهذا الشأن ، ولذلك عند وصول أمير الشعوب إلى أسوار المملكة لم يمنعه أحد من دخولها ، ولم ينتبه أيضا أحد لهذا السواد العظيم الذى خلفه ، فقد كانت أحوال الأمير مختلفة منذ مدة وقد اعتاد عليها الجميع ، وأنطلق بخطوات مسرعة داخل المملكة حتى وصل إلى المكان الذى تقام تحت أرضه قلعه المعدن . كان يعلم جيدا أن امر دخول هذا المكان من المستحيل إلا بوثيقة مختومة من مجلس كبار قاده المملكة حتى، وان كانت الملكة شخصياً، ولذلك حين وجد نفسه بجوار حائط القلعة

دون أدني اعتراض وجد أن الفرصة قد جاءت فأبتسم في
سخرية وغرور ومنا نفسه بنصر قريب، وأخذ يمشى حتى
وصل إلى بهو الاستقبال وممرات الدخول، وهنا تلفح بملك
الظلام مره أخرى واخترق المكان مثل كائن شيطاني يريد
السيطرة على المكان دون أن ينتبه له أحد الحراس كان يبدو
كل شيء أسهل مما توهم حين دخل المكان متخفياً أو كما
يعتقد ذلك!

لم يجد الأمير أي مقاومة من حراس القلعة كي يصل إلى
غرفة "المعدن النفيس" فهل كان ذلك لعدم انتشار أمر الصراع
القائم بين الملكة والأميرين؟ أم ترى لماذا هذا السكون وإخلاء
الطريق أمام الأمير دون منعه في أخطر وأهم مكان بالمملكة؟
و أقترب من احد الصناديق فتناول أحدهما ودسه في ثيابه ثم
توارى في الظلام ، وانطلق هاربا خارج المكان بكل ما يملك
من قوة واخذ يلتفت إلى الخلف من وقت لآخر مذعورا يركض
وكأن الموت خلفه كان يعتقد انه مازال متخفياً تحت استار
الملك الهارب من سجن الظلام ، و لم يكن يدري أن حال عبوره
إلى اعلى الأسوار المحيطة بالمملكة بالقرب من الصحراء كان
الخبث قد توارى للخلف تاركا أمرة وقد كشف لعيون الملكة
حتى بدا الصراع بين الأمير وجنود الملكة نزع الصندوق من
الأمير وفر هاربا وهنا أكتمل نسيج خطته الدنيئة الذي
أعدّها منذ البداية ،و لم ينتبه إليها الأمير ، وظل يركض ،
وبينما هو كذلك رأى بعيداً شعاع من الضوء الأصفر فأقترب
منة ،فعلم أنه ترك أسوار المملكة وأبتعد عن سمائها فأطلق
سريعاً عبر الصحراء الملعونة حتى وصل ألي مقره داخل
الكهف ، وفجأة أحس بقشعريرة وعندما استدار وجد خلفه

الأمير فاتسعت عينيه من الدهشة ولم يعلم كيف تخلص الأمير من جنود الملكة ؟ وكيف وصل قبلة ألي الكهف؟ ولكنة لم يسأل ولم يفكر كثيراً سوى في حماية الصندوق الذي أستولى عليه ، علم أن الأمير أيقن خيانتة ولن يغفر له ذلك الأمر فأخرج من عباءته سيف من نار وحاول أن يطعنه حتى لا يستعيد منة الصندوق ، واسرع في مطاردته ، واطهر وجهه الحقيقي في تلك اللحظة وجهه القبيح الذي كثيرا حاول إخفاهه عن الأمير لينال هذا الكنز من صناديق المعدن ، وحين ارتطما بأحد الصخور الجبلية الغربية والمخيفة أثناء فرارة خارج الكهف ، كانت تلك الصخور أشبه بقطع من السواد قد أحاطت بالمكان ، ولم يكن يعلم أن تلك الكتل السواد الملتصقة بالجبل فوق الكهف ، لم تكن سوى جنود الملكة فقد تركت الأمير يقوم بما يقوم به دون مقاومه حتى لا ينتشر خبر الصراع الدائر في المملكة هناك وسط الجنود ووسط العامة كما كانت تخطط لشيء آخر ! وأرسلت قبله جنودها من طيور البوم جندها الخاص وا قوى أنواع الجند لديها وذلك للقبض عليه بعيد عن العيون كما كانت تعلم بأمر شريكة ملك الظلام والذي لم ينتبه لذلك أثناء هروبه بالصندوق لداخل الكهف فقد كان هدفه الأول القضاء على الأمير وسرقه الصندوق . و التحم في صراع دموي حتى وصل معاً أعلى قمة الجبل ويشاهد جنود الملكة المعركة أطمحنة بين ملك الظلام ، الأمير ولكن لم يتحرك أحد منهما حتى ترسل لهم الملكة أمر ألتحرك من موقعهم ، و اصبحا حلفين امس عدوين إلى الأبد... لم يرث الأمير الصغير أقوى أنواع السحر عن أمه فقط بل كان يجيد فنون القتال ،وكيفية التعامل مع الجن والسحرة المهرة ، والقائلين من معلمه الكاهن الحكيم، كان لدى ملك الظلام القليل من قواه السحرية ألتى

ضعفت مع الوقت ، وقد اقترب موعد القمر الثاني فكان يعلم أن قواه أبدا لن تنتصر على قوة الأمير السحرية في ذلك الوقت ، ولكنه قاتل بشراسة و ضراؤه طامعا في الصندوق الصغير وكيف لا وهو الأمل الأخير له قبل بزوغ القمر .حتى يستعيد ملكة و مجده المفقود عند أبواب النهاية، و في لحظة كهذه يتأرجح بقائه فوق حبل يشرف على هاويته ونهاية عالمه مواجهها غريمه ، ومسكونا بنوايا الاقتصاص والانتقام من الملكة وأبنائها كان يتعطش لدمائهم .لم يكن السطو على الصندوق فقط ما يريده... بل الرغبة ، الحاجة الشديدة المؤلمة في الإيذاء ، و نشر الخراب في هذه المملكة ، والممالك الأخرى، والسيطرة عليها وبيتسم صاحب العينين المظلمتين والقلب الأكثر ظلاما ، وهو يعلم حجم الأذى الذي لحق بالأمير الثائر الذي قد اطبق بيده على الصندوق الصغير ، واصبح يقاتل باليد الأخرى وقد وضحت أمامه النوايا الخبيثة لملك الظلام الذي لم يستطع المقاومة كثيرا أمام ما يملكه الأمير من قوة رهيبه فهوى من قمة الجبل إلى أسفله ، و خارت قواه فلم يستطيع حتى الإمساك بصخور الجبل ثم عادت اليه قوته فجأة وتهلل من فرط دهشته و صدمه سعادة بالصندوق الذي أخذ يسبح بجواره في الفضاء الفسيح ،وقد أختفى الأمير تماما ، فنظر لقمة الجبل أثناء سقوطه للأسفل ليجد طيور البوم قد أحاطت بالأمير في أعداد كبيرة حتى أحتجب الأمير تماما عن الرؤية ، وتم القبض عليه وأسرته ، والعودة إلى ساحه العرش الملكي ، ولكن لماذا لم يتم القبض عليه هو أيضا ؟ولماذا لم يسترجع جنود الملكة الصندوق الخطير ؟ لم يحاول أن يفكر في أي تفسير لما يدور حوله ولكن قبض بكلتا يديه على ذلك الصندوق وفر هاربا.

وبينما هو يفكر من هول المفاجأة سمع صوت خلفه يطلق
ضحكة ساخرة فتزى من يكون صاحب تلك الضحكة الغريبة؟

انطلق ملك الظلام إلى المكان الوحيد الذي لا يعلم غيره منذ
هروبه من السجن كما كان على علم بأن هذا المكان هو الأكثر
أمانا له، وكان يعلم كل شيئا به ويعرف مداخله وممراته فقد قضى
وقتا كافيا مع الأمير فيه ذلك حتى أصبح يحفظ كل جزء به،
وانطلق إلى كهف الصحراء الملعونة ... ولكن هذا المرة ليس إلى
حجرته الحقيمة التي أصبحت لا تليق به الآن بل إلى الحجرة
الملكية فقد رأى بعد القبض على الأمير هو أحق بها حيث يمتلك
صندوق القوة الآن، وأصبح كل شيء لديه أكثر مما خطط له، أو
كما يظن ذلك.

كان على أعتاب الكهف ذلك الطيف لصاحب الضحكة الساخرة؟
والذي لم يكتفى بضحكاته فقط، ولكن انطلق خلف ذلك الظلام
وهو ينظر آلية قابضا على كنزه الثمين ليرى ماذا سيكون من أمره
وماذا سيفعل به بعد القبض على الأمير؟

جلس ملك الظلام سعيدا على كرسي الأمير بحجرته الملكية
بالكهف ، وكان خياله المريض قد نصبه إمبراطور على كل
الممالك ، ولم يكتفى بذلك بل سرح بالخيال ، فرأى نفسه وقد
جلس عرش الملكة ، و سيطر على قلعه المعدن ، وأشار بعيدا وهو
غارقا في أحلامه فأمر بقتل الملكة والأميرين معا ، ويتجول
بعينيه بين الرعية والقادة فيأمر بقتل هذا ويعفوا عن ذاك حتى
تلتقى عينه بعين الكاهن الحكيم ليشير بيده ويأمر بإعدامه فوراً
، ولكن في تلك اللحظة تقع عينه على الصندوق القابع في ارض
الكهف وقد توسط الحجرة الملكية تمام فأستيقظ من أحلام اليقظة
التي كان جال فيها ، واقترب من الصندوق ليقوم بفتح غطاءه ،

ولكن نظر طويلا له فلم يتتسى له النظر اليه منذ اختطفه من الفضاء حين هوى من الأمير فاذا به صندوق صغير الحجم غريب الشكل ، ولكن ما أغرب ذلك الصندوق ، أذى تحيطه النقوش الغريبة من كل جانب ، ولم يعلم كيف يفسر أي من حروفها التي كتبت بها فلم تكن مثل لغتهم ، أو كتابهم ، أو حتى مثل طلاسـم السحر الذى يعرفها الملوك في ذلك الوقت ، وهى لا تشببها كثيرا فاخذ يتسأل ما هذا ؟ أهى طلاسـم سحريه من حضارات مختلفة؟ أم هذا سحر خاص بملكة مملكة الشمس هي فقط ما تعلمة دون غيرها من الملوك؟ واقترب من الصندوق ليحمله ولم يعنيه امر حجم الصندوق كثيرا فهو يعلم جيدا أن اقل جزء المعدن النفيس سيكون كنزا تمناه كثير من الملوك - ولازال يفكر في امر تلك الطلاسـم والعلامات الذي جهلها تماما - واقترب من الصندوق لقيوم بفتحه ومد يده في هدوء . ولكن هيهات يحاول نزعـة من الأرض ... حاول وحاول وقد اتسعت فجوات عينية من أدهشة واخذ يسأل هل التصق الصندوق بالأرض؟ فاخذ يحاول عدة مرات وحاول كثيرا وكل محاولاته باءت بالفشل فقد أصبح الصندوق والأرض قطعه واحده والتحما معاً، ولكن كيف تم ذلك الأمر؟

حاول نزع الصندوق من أرض الغرفة مره ثانيه، ولم يستطع كما حاول استعمال ما تبقى من سحره، ولكن أيضا فشل فشلا زريعا، ومضى كثير من الوقت حتى أصابه الإرهاق والتعب. في محاوله نزع الصندوق من الأرض وهنا ارتفعت الضحكات الساخرة مره أخرى من خارج الكهف فاستدار حوله فلم يجد غير الظلام أنيسا في هذا المكان فجأته خاطرة حين تذكر أن لا حاجه له

بالصندوق ولكن الأهم ما بداخل الصندوق اذا فليتم فتح الصندوق في موضعه الذى لصق فيه، واقترب بحرص شديد ليفتح غطاء الصندوق الصغير ومدته يده في رهبة، وقلق ففتح الغطاء معه في يسر في موضعه فشعر بالغبطة والسعادة التي لم تلبث أن تحولت إلى صرخة عظيمة انطلقت منه من اثر المفاجأة الهائلة، الذى وجدها داخل الصندوق ...!

وتقدم المنتظر صاحب الظل الجالس خارج الكهف، وأطلق وابل من الضحكات الساخرة فقد كان ملاحقا للصوص الهارب بشيء ثمين وقد استحوذته خياله انه يستطيع النجاة بما فعل، هيهات لم يتسنى لأقوى الملوك فعل هذا من قبل واقترب صاحب الظل إلى أن أصبح وجها لوجها أمام ملك الظلام الذى فزع وأطلق صرخة مدويه تفر من هولها الوطاويط الذى سكنت المكان إلى الخارج، وتراجع قليلا إلى الخلف من هول الصدمة وقال في ذهول: الكاهن الحكيم! وتراجع أكثر إلى الوراء يحاول الفرار مخافة أن يتم القبض عليه ويقيده الكاهن الحكيم بصولجانه الذى يستعمله في الدفاع عن الجهة الغربية للمملكة، والذي يقوم بحمايتها، وانتبه الكاهن لما يقوم به ملك الظلام وتراجعته إلى الخلف في خطوات بطيئة متأهبا للفرار فقال ساخرا، ولما الهرب والى أين؟ اطمئن لن اقبض عليك بل سينتهي أمرك سريعا فور بزوغ القمر الثاني في السماء ونظر له وقال ساخر كما تعلم أيضا لم يتبقى إلا القليل من الوقت. ثم نظر إلى الصندوق وقال أسرفت في أمالك وأحلامك كثيرة. ولكن كما ترى كل أحلامك ذهبت أيضا كما ذهب ما بدخل هذا الصندوق... فلم يجد ملك الظلام سوى قطع من الطمي بداخل الصندوق الصغير الذى التصق بأرض الحجرة الملكية. ثم استدار وسأله قائلاً: أتعلم لماذا تعد الملكة اقوى

الملوك، ولم ينتظر إجابته بل أجاب على سؤاله أيضا لم تكن قوه الملكة في هذا المعدن كما تظن أنت، وغيرك من الملوك، ولكن قوتها فيما تملك، وتحسن أدارته. فهي تمتلك العقل، والراي الرشيد، وألاهم تلاحم رعايتها، وأشياء أخرى لا أظنك تعرفها كملك مهزوم هارب من سجنه، وأن كنت تظن أن زلة الأمير الأصغير ستجعلك تخرق هذا الكيان فأنت واهم فخلف كل جدار يوجد أمير ويوجد محارب عمره فداء لتراب وطنه. وأن نصبك خيالك ألمريض إمبراطور على الممالك، أو قaddock تفكيرك قتل الملكة كما كنت تتخيل منذ قليل، وأبتسم في سخرية، وقال فانت واهم. وتخطى خيالك حدود قدرتك وألتي مكانها سجن الظلام أن نسيت.

- ثم قال: كانت الملكة على علم بما يدور بينك، وبين الأمير كما كنا نرى ما لا يراه هو وما لا تراه أنت أيضا، وكان الكاهن الحكيم قد أباح للمملكة كل ما دار بينه وبين الأمير الصغير حين ذهب اليه في الكهف لأول مره، حين رأى طيف ملك الظلام فقام بإبلاغ الملكة عن هذا الأمر الخطير فاجتمعت بقيادة البلاد مجلس لمناقشة الأمر"

لذلك قامت فالملكة بحفظ المعدن بطريقه ما.

وهذا ما حصل عليه الأمير وهذا ما تراه هنا في ذلك الصندوق وعاد معتدلا ونظرة نظره مخيفه لملك الظلام الذي فر هاربا خارج الكهف، ولم يهتم الكاهن الحكيم بأمر هروبه فقد حان بزوغ القمر الثاني وهنا سيتحول إلى الأبد طيفا اسود يسبح في ظلام الكون إلا إذا استدعاه أحد مره أخيره فقط.

انتبه جاجان وتسارعت ضربات قلبه من فرط الهول مما سمع من عمه ميلاد الذي إنتبه أيضا إلى اهتمام الفتى بباقي الأسطورة فسأل نفسه ترى أي كارثة كنت ستفعل هذه المرة؟ وما هو الشيء الذي جعلك تتراجع في تلك القصة؟ همس عوني وميلاد همسا لم يصل ألي سمع ألفتي، وكان يبدو حديثا عابر لأحدى الذكريات التي مرت بهم أثناء بعثتهما منذ زمن بعيد إلا أن الفتى لم يمهلهما للإسهاب في هذا الحديث، واخذ يلح على عمه ميلاد أن يكمل باقي أحداث الأسطورة وما حل بالأمير، وملك الظلام لاحقا...فارتشف عوني رشفه من فنجان قهوة كان أمامه ثم قال:

أنطلق ملك الظلام هاربا خارج الكهف منتظرا مصيره الذي يعلمه مسبقا، و انهارت أحلامه، وخططه تماما مع القبض على الأمير، وأيضا قصه المعدن الذي أخفته الملكة بطلاس من السحر القوى حين سمعت عن تحالف الأمير مع ملك الظلام ، فرسمت على الصناديق المحتوية على قطع المعدن بعض الطلاس الخاصة ، فلن يستطع احد سرقتها ، ولن تفتح إلا في مكانها داخل حدود المملكة أما ، وإذا تمكن أحدهم من سرقتها فسيختفي المعدن بداخلها تماما ، ولن تبقى إلا قطع من الطمي وضعت بجوار المعدن ، وكان الطمي حاجز سحري استعملته الملكة ليمنع السارق من رؤية ،أو سماع أي شيء في وجوده ،وسيكون مخفيا ومكبلا عن عيون الآخرين فلن يستطيع أحد مساعدته لحين البث في أمرة ، وقد قام الأمير بسرقة الصندوق ولم يعلم عما قامت به الملكة ، و كما سمعت ترك الكاهن الحكيم ملك الظلام يهرب أمامه فلم تكن به حاجة لمحاكمته ، فقد أقترب انتهاء أمره ألي الأبد ، ولكن بقي صندوق المعدن ملاصق ارض الكهف لم يستطيع احد انتزاعه أبدا . حتى عادا الكاهن الحكيم وفتح الصندوق مره أخرى، ووضع به شيء صغير بقي قرون

عديده باخل الصندوق الذي التحمل بأرض الغرفة الملكية بالكهف

وعادل الفتى يسأل عمه هذا ما حدث لملك الظلام فماذا حدث
للأمير؟ فقال: أحاط العشرات من طيور اليوم الأمير ، و قامت
بإخفائه كاملا فلم يظهر منه شيء حتى القى به داخل البلاط
الملكي الذى خوي إلا من الملكة ، والكاهن الحكيم فقد كانا
الاثنين في انتظاره ، و التقت عيناه بعين الملكة التي لم تر أمامها
ابنها بل رأت مجرم يجب عقابه فلم يعد الأمر صراع شخصي
بل اصبح الأمر أخطر من ذلك، أمر يخص أمن المملكة ، و
يخص سمعه الأسرة المالكة منذ قرون طويلة - أيضا لم يرى
فيها ألام بل رأى الملكة فقط ، والتي رأت منصب الملكة أهم من
منصب أمومتها ، ونسيت أن ألام هي من تغرس ألود فيخرج
عظماء، وهي من تغرس البغض لتخرج شياطين ، وأشارت الملكة
إلى الكاهن الحكيم بأصبعها ، ترمق أبناها ببغض فتتنزل عليه
كالسياط الملتهبة فكان يبادلها ذات البغض لما وصل ألية ، وقام
الكاهن بفتح وثيقه مطويه بيده ثم قرائها على سمع الأمير كان
بالوثيقة توثيق لكل ما قام به من مخالفات منذ اخترق سجن
الظلام ، وتحرير ملك الأرض المظلمة ، والتعاون معه ضد
المملكة لسرقه ثروتها ، وكانت هذه الاتهام هو الأعظم أم غير
ذلك من المخالفات ألتهم فقد رأتها الملكة مخالفة يمكن نقاشها ،
وهنا أطلق ضحكة ساخرة وقال .. مخالفه يمكن نقاشها. كيف؟
ومتى أيها ألكاهن كان لديكم وقت لمناقشه الأمور مع أمير
الشعوب؟

لم يرد أحد عن سؤاله بل قام ألكاهن بسؤاله: عن صحة ألتهم
ألموجه له مما سمع. فلم ينكرها بل أزداد عنادا وسيعيد الأمر
حتى ينتقم ممن سرق حقه في أداره البلاد، وجعل الرعية تسخر

منه واخذ يصرح، ويكيل اللعنات، ولم تنتهي ثورة غضبه إلا، وأمتلئ المكان بطيور اليوم فأشارت لهم الملكة فقادوا إلى خارج قاعه العرش حيث المكان الذي اخترته الملكة وتم وضع الأغلال بيديه وقدميه وقيد بسلاسل حديديه، وأصابه الذهول مما حدث، فاطرق راسه إلى أسفل، ولم يعلم من حوله اهى أطرافه ندم؟ أم إطرافه حقد وعناد. وابتعدت طيور اليوم بعيدا بالأمير، وهنا اطرق الكاهن الحكيم حزناً حين رأى تلك الخصلة الذهبية الصغيرة، وألتي لم يرها أحد بين خصلات شعره التي أصبحت تقطر دماء وتذكر ذلك اليوم الذي جاها ليعيد الأمير ويعيد معه نقاءه وخصلاته الذهبية التي تقطر خيرا ونماء، وباء سعيه بالفشل فكان هناك قوى شريرة تحالف معها لنهاية الطريق ولم يستطيع إنشاء الملكة عما تقوم به تجاه الأمير الصغير، وعدم الأقساط بينه وبين أخيه فقد كان يعلم تعنتها وعدم تراجعها عن أي قرار تم اتخاذه.

وكان هذا هو قرارها الوحيد منذ أبيها الملك السابق الذي لم تشارك فيه الكاهن الحكيم فكما كانت السلاسل الحديدية مفاجأة للأمير كانت اشد مفاجأة له، فألتجم عن الكلام، وتساءل في صمت: فهل ستبقى لمحمة النور الصغيرة بداخلة والتي ظهرت في خصلة شعره الذهبية؟ أم ستتطفئ أيضا ليمتلئ قلبه بالظلام؟

قاد طيور اليوم الأمير إلى حيث أمرت الملكة، وفي هذا الوقت أيضاً أعطت أمرها المباشر لقاده الجيوش للاحتشاد باكراً في الساحة الكبرى لتدريب الجند، ولم يمضي وقت قصيرا حتى امتلأت جميع الطرق المؤدية إلى هناك بمعدات القتال الثقيلة والعربات التي تجرها الأفيال، والخيول، والسباع، والقلاع العالية تمشى أمامها أفواج كبيره من الخيالة الذي يسبقها عشرات المئات من الجنود

المشاة أما فوقهم فقد امتلأت السماء بطيور البوم والصقور خشيه أن يكون هناك مكائد، أو سحر من الأمير الصغير.

كان الجنود يسيرون ببطية، وكانت أصواتهم مثل قعقه صخور الجبال القوية أن لم يكن هذا الجند أقوى من الجبال نفسها، و كان الليل قد انتصف وظلمته قد أصبحت اشد سواء، و أخذت الجيوش في التدفق ليكونوا صباحا بساحة الكبرى ساحة المعارك كما كانت الأوامر الملكية، و رغم طول الطريق، وصعوبة المكان المؤدى لتلك الساحة في الصحراء الكبيرة على اطراف المملكة، لم يكن هناك قلبا بينهم يشعر بالخوف، أو الرهبة، و أن كانوا على علم أن الجيوش لا تتجمع معا في تلك المكان إلا لحدث جليل عظيم فمضت الألسن تتهامس فيما بينهم وتسال ما سبب الاحتشاد ؟ وارتفعت الهمسات لتصل إلى أسماع قادة الجيوش الذي اتخذوا مواقعهم في الأمام وعيونهم يملئها الأسى والحزن فقد كانوا على علم بما يدور داخل العرش الملكي، واشفقوا لوضع الملكة في تلك الكارثة الكبرى - انقشعت ظلمه الليل، وأرسلت السماء خيوطها الرمادية معلنه قدوم يوم جديد قاسيا على المملكة، و اصطف الجنود الذي خرجوا مجموعات من الطرق المختلفة لللتقابل معا في الساحة الكبرى كما اصطفت العربات التي تجرها الأفيال والخيول وعربات الحرب الثقيلة والقلاع العالية الذي تضاهى الجبال طولاً وحجماً فكانت منظراً مهيباً يثير الرعب والخوف في من يراه، وعاده الهمسات مره بين الجيوش عن سبب حشد الملكة لهذا القوى الذي غالباً ماكنت تقوم به في حاله استعراض قوى بلادها عند وجود أي خطر يدور حول المملكة فكانت تلك رسالتها الصامته لمن تؤل له نفسه المساس بالمملكة - وليس استعراض الجنود والعتاد هذا اليوم ككل مره تستعرض الملكة قوتها أمام غيرها من الملوك فتوجس الجميع شيء ما فالحكيم منهم قد رأى أن

الملكة يمكن أن تتنازل عن العرش لابنها الأكبر ...والآخرون يخالفوهم الرأي فالملكة لا يمكن أن تقوم بمثل هذا الأمر حيث سيشتعل ذلك المعارك داخل البلاط الملكي ... ثم انتظر الجميع ليروا ما هو الأمر .

واصطفت الجيوش في منظر مهيب أمام كرسي العرش الحربى، والذى اتخذته الملكة لمقابله الجند في ساحتهم كما كان لها أيضا كرسي العرش الملكي بالقصر لمتابعه شئون البلاد، واصطف أيضا كبار المسئولين ، وكبار القوم ، وعامه الشعب ، وكان مكان الأميران بجوارها على اليمين وعلى اليسار، ولكن اليوم بقى مكان الابن الأصغر جهة اليسار خاليا ، ولا يوجد غير ابنها الكبير أمير الجيوش ...كما يوجد بالقرب منها في ساحه العرش الحربى الكاهن الحكيم "مستشار الملكة وحافظ السر الملكي " فاتخذ مكانه بجوار الملكة وبيده الصولجان العظيم وأيضا حامى الركن الرابع من أركان المملكة فقد امتلك قوى سحرية عظيمة تضاهى قوة الملكة قد وهبها له أبيها الملك السابق كما أهدته الملكة أيضا بعض من القوى السحرية الخاص بها نظير ما يقوم به سواء للأسرة الملكة، أو خدمه البلاد ، لم يكن هذا الحشد جديد على الجيوش ، أو الرعية ، فقد رآه من قبل في مناسبات ، أما ما أصابهم بالدهشة والفرع اليوم هو أقامه هيئه القضاء التي كانت بكامل هيئتها و اتخذ الجميع مجلسه ، وانطلق حامل البوق معلنا الانتباه ، فأشارت الملكة بأصبعها لآحد الجند الذى ذهب ، و اسرع الخطى بطريقه رسميه يملأها الهبه والوقار، فأتى حاجب السجون ، وقد احضر معه صندوق حديدي ضخم تسحبه الخيول وخلفة عدد من الجنود لم يظهر منه سوى عجلاته المتحركة ، وباقي أعمده حديده ظهرت من اسفل ذلك الغطاء الذى يغطى القفص الحديدي ويخفى ما فيه عن

العيون المتلهفة لمعرفة ما بداخل هذا الشيء ؟ ترى ماذا يكون
بداخل هذا القفص ؟ أسئلة كثيرة تم طرحها بين الجند والعامّة
... فانتاب بعض الرعية الوجوم وتجلى على وجوه كبار القادة،
وصاحب الذبول وجه الملكة فكأنها كبرت بالعمر سنوات عديده
فور دخول القفص الحديدي إلى ساحة المحكمة حيث مجلس
القضاة، ومجلس الجيش، والكاهن، وأمير الجيوش، وكبار رجال
المملكة لتحديد مصير ما بداخل الصندوق... ثم انطلق البوق مره
أخرى ثلاث مرات متتالية ليعلن بدأيه المراسم الذي يجهلها الجميع
فتقدم كبير الجيش يحمل سيفاً عظيماً وبيده وثيقة قام بقراءتها
....

صاحت فريده بأعلى صوتها فاسرع ثلاثتهم يقطعون الدرج المؤدى
للطابق الثاني في هلع إلى حجره فريده فشاهدو بمنصف الحجره
وعلى مقربه منها ذلك الشبح للكاهن الحكيم، و الذى صرخوا فور
ظهوره بالغرفة فلم تمضى أيام قليله منذ اختطاف رضوى ، وهاهو
الآن يعود مره أخرى ترى ماذا سيحل عليهم اليوم مره أخرى ، وترقب
الجميع ، وساد الهرج فأخذت ساره وفريده يلقيان الكاهن بأي شيء
بالحجره تصل اليه أيديهم من أنيه للزهور ، أو أكواب المياه لمحاوله
أبعاده وإخراجه من الغرفه ، ولكن وقف الكاهن صامداً لم يهتز له
طرف ، وتلقى كل ما قذف به في صمت ، وتحمل الكثير اللعنات
صامداً لم يتكلم مما أصاب عوني وميلاد بالدهشة فسأله ميلاد : من
أنت ؟ وماذا تريد مره أخرى؟ إلا يكفي ما حدث منك؟ فأجاب
العجوز قائلاً: جئت مساعداً وأنى حقا الكاهن الحكيم وليس ملك
الظلام. نظر اليه عوني متوجساً ثم قال له: لو حقا ما تقول

صحيحاً ابتعد عنه خطوات إلى الخلف ... فنظرت إليه فريدة
وساره ولازال الرعب،

والخوف يمتلكهم وأحاطت فريدة صغيروها بقوه فمزال تحت سحر
الأمير الهارب راقداً في غيبوبته باليد الأخرى أطبقت يدها بابنة
أخيها ابتسم الكاهن الحكيم ابتسامه خفيفة ثم قال: وهل تعلم هذا
الأمر؟

أعلم أنه ليس من الأنصاف ما حدث معكم منذ فترة بدون فصل. وأنا
أعتر مسبقاً على هذا الشيء وأتمنى أن ينتهي الأمر فلا ذنب لكم فيه
إلا بسبب أنكم حماه السر كما أتمنى إلا تموت ابنتكم أيضاً. فصرخت
فريدة، وقالت في استجداء للكاهن الحكيم - هل تعرف أين ابنتي؟
اطلب ما شئت وإن كنت أنا الثمن في عودتها سأقبل ما تقول. هنا
اطرق الكاهن ووضع عينه إلى أسفل، وتأثرت ملامحه بما قالت فريدة
التي تريد أن تقدي ابنتها بنفسها. واخذ يسال نفسه في صمت ترى لو
كانت الملكة مكان هذه الأم أكانت ستفعل ما فعلت ... ثم تذكر أن ما
فعلته الملكة هو احدى الأسباب الذي كانت سبباً مما تعانيه تلك
الأسرة الآن، وهم أن يتقدم للأمام فاستوقفه عوني مره أخرى، وأعاد
عليه نفس الطلب أن يعود للخلف عده خطوات - فقال الكاهن: أعلم ما
تريد معرفته أيها الباحث في امر التاريخ والأمم السابقة. فحفظت عين
الدكتور عوني من الدهشة التي شاركه فيها ميلاد. فابتسم العجوز
مره أخرى ثم قال: أعلم كما تعلم أيضاً ... لم تفهم فريدة أو أحد من
المتواجدين بالغرفة ما يقول الكاهن وما يقوله عوني سوى الدكتور
ميلاد فقط.

كان جاجان غارقاً في دوامه أفكاره بعيداً عن الجميع يحاول أن يتذكر
أين سمع هذه الصوت من قبل؟ نعم لقد سمع هذا الصوت عده مرات
ولكن ماذا كان يقول؟ وهل كان ذلك في اليقظة أم في النوم؟ ولم ينتبه
لما يدور حوله بالغرفة، بل يحاول أن يتذكر، ولكن. تبخرت كل

الأفكار، ولم يعد هناك أي ذكريات مستقرة بعقله منذ اختفاء خطيبته وابنه خالة وحنا طرفي شفتيه، واخذ يعتصر جبينه بأصبعيه مطرقا إلى حيث الفضاء الواسع بالقرب من النافذة.

فاستدار إليه الكاهن وقال

هنا الطريق إلى مدينه الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

جحظت عينة على وقع هذه الكلمات. فقال بصوت عالي يجسد الصدمة التي تملكته من الرعب نعم أنت هو صاحب الصوت الذي كآآآآآ بالحنة الممنوعة، ونظرا إلى أفراد أسرته وقد انخفض صوته قليلا فقد كان يشعر بالخزي والعار لما هم فيه الآن ثم أسرع إلى عمه قائلا انه هو من قام بإنذاري أكثر من مره، ولم انتبه لما يقول لقد كان حقا هو الطريق إلى مدينه الأحزان مدينتهم هم، وهنا بقي لنا الألم على هذا الطريق. فقال الكاهن: نعم كنت هو صاحب الصوت الذي أتاك من بعيد، وليس من داخل الغرفة كان يأتيك عبر الصحراء، وجبالها، وصخورها، ورمالها.

حاول الكاهن أن يخفف قليلا على قلب الفتى الملتاع وأفراد الأسرة ولكن أنذره عزمي من الاقتراب من أي فرد منهم مره أخرى إلى أن يتحرك للخلف كما طلب منه، ولم يعقب الكاهن على ذلك الأمر فكان يعلم جيدا أن الأحداث الرهيبة التي تعرضت لها هذه الأسرة في فتره قصيره لا يحتملها أحد هذا الزمان.

كانت فريده قد انكشمت أكثر على فراشها بجوار يوسف، وسارة كان شبح الكاهن يذكرها بيوم خطف ابنتها، و الكلمات تخلف ورائها شظايا في قلبها فتجعله ينزف كما لم ينزف، وقد شردت هي الأخرى فأغمضت عينيها، و اخذ الألم يعتصرها فأحنت رأسها

ليلاصق جبين ابنه أخيها الملتصقة بها والمكتسي بتجاعيد الوجعية
وسلسبيل دمعها الملتهب يتسابق فوق وجنتيها على تلك الغالية
المفقودة ، و الذي صاحبه الحرقه والحنين، وهنا تقدم الكاهن
الحكيم خطوات إلى الخلف كما طلب منه الدكتور عوني الذي
اسبل عينه إلى مكان الكاهن الذي كان متوقف فيه منذ لحظات
... وجحظت عينه من الدهشة ... وقال بصوتاً مرتفعاً موجهه
كلامه إلى الدكتور ميلاد . هل بعد كل هذا القرون يمكن أن يكون
لازال موجودا؟ ولكن كيف ...؟ لم يكن الدكتور ميلاد أقل دهشه
من صديقه، فقد وجد كشفا أثريا رهيبا مره أخرى منذ سنوات
تضيف لذلك الأسطورة أشياء جديده

فقال الكاهن ردا على تساؤلات العالمين نعم كل شيء يمكن أن
يكون أنتم أيضا تملكون الدليل فلما التعجب مما ترى -فنظر
ميلاد وقال: إذا كيف؟ فقال الكاهن: أو ليس لديك حضارة منذ
الآلاف السنين، وقد شاهدتها في الطريق اليكم هنا أوليس بها بقايا
من أشياء إذا تحكم بها المنطق والعقل لا استحال أن تصدقها؟
ولكن مازالت قائمه، وكلما اكتشف شيء منها سترى بعد ذلك أنك
لم تعرف سوى القليل، والقليل جدا أيضا. كما هي أسطورتنا لم
تكشف منها سوى القليل جدا، وأيضا كان ذلك حين أردنا نحن
ذلك، وكان أيضا يمكن إلا يكون أبدا، وكنت حينئذ لن تعلم أنت
او غيركما أي شيء عنا. فلكل تاريخ حكايته، وأساطيره وعلومه
أيضا ... ثم ابتسم وقال: قد تكون أنت أيضا أسطورة بعد مئات
السنين من يعلم إلى أن تأخذك سراديب أسرار العلم... فكما قلت
لكل عالم أسطوره الخاصه ثم أتبع قائلا مثلا

لو قال لنا أحد أن هناك من صعد إلى القمر كنا لن نصدقه بالرغم
أننا نملك الكثير من السحر، والخوارق الأخرى، ولكن هذا الأمر لم
يطرق ببال أي منا من قبل، ولكنكم الآن قد صعدتم إلى هناك إلى

حيث المستحيل والغريب لنا. اترى أن لكل عالم أسراره. فلا تتعجب من وجود تلك القطرات الذهبية التي تسقط من خصلاته شعري ألي الآن كما ترى، وكما شاهدت من قبل قطرات الدماء تسقط من خصلات الأمير ... ثم نظر إلى الفتى وقال أما أنت أيها الأمير المخلص سينتهي أمرك إذا حصل الأمير الهارب على تعويذه العفو، فلا تقرأها أبدا لان الأمر سيكون أكبر مما يحتمله عالمكم ... وليس أسرتك فقط ثم نظر إلى عوني قائلاً: كنت تعلم أن الكاهن من يمتلك القطرات الذهبية أما ملك الظلام فلن يخلف وراءه شيء أبدا سوى الظلام فإنتبه لا سرتك أيها العالم الجليل. ورفع صولجانه إلى اعلى ليقوم بلمس أرضيه الحجرة ليختفي في الحال كما ظهر هكذا، ولكن قبل اختفائه قد وعد فريدة بشيء لم يسمعه غيرها حيث اقترب من أذنيها وهمس ببعض كلمات لتتفرج أساريرها وتهبط واقفه متعلقة به لتقوم بسؤاله _ لتجده قد اختفى تماماً فكادت أن تطير من فرحتها، ولكنها لم تخبر أحد كما قال لها قبل اختفائه ...!

انطلق البوق مره أخرى ثلاث فانتبه الجميع لذلك الأمر إلا الكاهن الحكيم فقد ذهب بعقله إلى تلك الليلة الأخيرة. ليله علم بتحالف الأمير مع ملك الظلام، و ذهب الجميع، ولم يتبقى ببلاط العرش سوى هو فلم يستطع أن يتركها في وضعها الذى راها عليها تلك الليلة فلم تبرح كرسي العرش، ولم تشعر أيضا إنني لازلت بجانبها لم ابرح قاعه العرش كنت أرى أن عقلها الصارم ربما يكون قد قهره الحزن والندم فقد ظهرت أخيرا دموع في ذلك الوجه الذى كان في وقت من الأوقات لا يعرف الدمع ، ولا يشعر بالندم ، واقترب

متلعثما فقال لا تبكى يا مولاتي ... فنظرت له وقد كان يرى أفكارها فقالت : لقد أرسلني ابني إلى الجحيم وقادني إلى هذا الخطر العظيم ها هو قادننا إلى ما نحن عليه الآن هل ترى أن كان لهذا الوضع من ضرورة إلى ما نحن فيه الآن ؟ وأخذت تصرخ وكان شياطين الدنيا قد أمسكت بها - ثم سكنت مره ثانيه وقالت: وقد نالها القهر فظهر في نبرات صوتها. أن سلالاتي وسلالة أجدادي الملوك العظام ستنتهي. لقد نالت مملكتي القهر الذي لم يقدر عليه أعدائي-ثم قالت ساخرة، وقد امتلأت عينيها بالدمع يبدوا أننا وأنت سنكون آخر من يحكم هذه المملكة أيها الكاهن فقال مسرعا محاولا أن يهدئ روعها ومصابها، ولكن يامولاتي مازال هناك الأمير الأكبر أمير الجيوش وولى العرش أيضا يا مولاتي مازال هناك امل.

فقالت: ساخرة أين هو الأمل تعلم جيدا أن سر قوه مملكة الشمس يمكن في ترابط أسرتها أفراد الأسرة المالكة كما تعلم أيضا يامعلمي ومعلم أبنائي أيها الحكيم أن ذلك من أسرار دوام ملكنا. ثم ابتسمت نصف ابتسامه حزينة وقالت الم تعلمني ذلك السر؟ حين أمرك أبى بذلك ... كما تعلم أيضا أن انشقاق الأخوة ستكون معه النهاية تعلم ذلك أيها الكاهن كما اعلم جيدا ... فقال لها يامولاتي ولكن لم يطلع الأميرين على هذا السر بعد فذلك السر يعلموا في وقت لم يحين إلى الآن ... قالت: وما الفائدة منة ألان لقد انتهى كل شيء، وأطرقت حزينة وكأنها في عالم غير عالمها -ثم سألتها، ولكن ماذا ستفعلين الآن يامولاتي. فنظرت بعيدا شارده ولم تجيب سؤال الكاهن الحكيم، وقرعت الطبول بعد النداء الثالث للبوب فانتهى الكاهن لهذا الصوت وأيضا قد علم الإجابة على سؤاله التي لم تجابه وهاهو الآن يرى أجابتها وسط الحشود المنتشرة في كل مكان من جند وعوام وكبار القادة.

أخذت الطبول تدوي بصوت اعلى في جموح كأن لم يكن بالمكان غيرها حيث لا صوت ولا ضجيج ثم هدأت قليلا لتعود معلنه عن النداءات الثلاثة فكان الرنة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، ألتجم الجميع وربطت السناتهم، وتجمدت أنفسهم، وتحجرت العيون على ذلك الصندوق الحديدي الضخم المغطى أمام منصة القضاة كان الجميع في ترقب لمعرفة متى يتم نزع الغطاء على هذا الصندوق عدى هي فقط من بينهم جميعاً كانت تنتظر هناك حيث الفضاء الفسيح شارده النظرات وقد علا الحزن وجهها فكانت تبدو أكبر من عمرها.

ثم انتهى الدقات الثلاثة للطبول لتطلق صيحه في ساحه الجند ترتفع بعدها قعقه السلاح ويتقدم احد الجند ليرفع الستار عن الصندوق الحديدي وهنا ينزل الخوف العظيم على الجميع وتكاد تخلع نبضات الرعب قلوبهم وتمذقها تمزيقا حين رأى الجميع من يكون بداخل القفص الحديدي الكبير ... وعلى الرغم من وجود حشود الجند، والقادة، والرعية ، إلا أن اليوم بدا ساكنا لا هواء فيه ولا رياح ، و لا أصوات إلا من همسات بين الحين والآخر تتناثر من بين العامة ، ولكن بقيت جميع العيون مترقبه ما بداخل القفص فكان هناك يراه الجميع، ولم يستطيع أن يرى احد ممن حولة فكانت يديه مكبله بسلاسل حديديه شد وثاقها إلى أعمده القفص الحديدي فارتقت إلى اعلى كما كبلت أيضا قدماه و شد وثاقها إلى أعمده القفص مثل يديه فكان منكس الراس إلى اسفل لا يظهر من وجهه شيء حيث غطى شعره الأسود الطويل كسواد الليل المطبق على المكان فراح ينسدل على كتفيه يتخلله بعض الشعيرات الحمراء التي تقطر دما على ملابسه الباليه ، وان كانت تبدو مثل ملابس الشخصيات الهامه بالمملكة فمزال بها لمح من مجد قريب أما في نهاية قيوده الحديدية توجد قطعه كبيره

من معدن اصفر اللون كتبت عليها رموز وطلاسم مثل الرموز الذي أعلى تاج الملكة وأيضاً صولجان الكاهن الحكيم ، وتبادل القادة بعض النظرات المبهمة فيما بينهم ، وكانت العيون المترقبة للملكة في ذلك الوقت تحمل كثيرات من تعبير المواساة والعزاء، وان كانت لا تنتظر لتلك أليهم، ولكنها إثارات الشك والقلق بين عامه الرعية فتعالت الهمسات السائلة مره أخرى من يكون ذلك الشخص المسجى بالقصص الحديدي بهذا الوضع ؟

تقدم الحاجب حيث مجلس القضاة، واخذ من كبيرهم وثيقة ملفوفه بعناية تامه وتم ختم أطرافها بختم ملكي ثم وقف في مكانه المخصص له بجوار مجلس القضاة الذي تكون من خمس أشخاص مهابي الهيئة كانوا قد اصطفوا بجوار بعضهم البعض بالقرب من مجلس الملكة وتوسطهم أكبرهم عمراً رئيساً للقضاة، والمحكمة الكبرى. تلك المحكمة التي اختصت بالقضايا العليا لشئون المملكة كما كانت هناك المحكمة الصغرى لباقي القضايا المتداولة لفض المنازعات بين عامه الناس، وذلك أيضاً ما أثير التساؤلات كثير من يكون بداخل القفص الحديدي الذي سيحاكم في المحكمة العليا؟ هل هو أحد الغزاة من الملوك حاول السطو على المملكة؟ وارتفع النداء ليلتزم الجميع الصمت التام رفعت رأسها أخيراً. وكان الانكسار ينعكس على مقلتيها، والذي أثار التعجب ثم أغمضت كالأطفال عينيها. وحبست أنفسها. وأطلقت أشاره من أصبعها .. وهي تخنق أناملها المتشابكة فشاهد ذلك الوقفين بالقرب منها لتبدأ المحاكمة دون أن تلتف لهيئة المحكمة او لذلك السجين الذي لم يفصله عنها سوى خطوات قليل من مرمى البصر بينه وبينها والذي ظل مطأطأ رأسه فهل كان العار والخزي يتقلها أم ترى هناك شيء آخر؟ وانتظر الجميع حتى يرفعها ويكشف هوايته ومن يكون؟ وفض

الحاجب الختم الملكي وبدى في قراءه نص حيثيات الإدانة بتلك الوثيقة ...

الذى بدا من حيث اطلاق الأمير لملك الظلام من سجنه ثم التعاون معه لسرقه ثروه المملكة من المعدن النفيس _ فتعالت الأصوات غير مصدقه لما يقال ، وكيف حدث ذلك، وساد الهرج بين الجميع فانطلق البوق عاليا مره أخرى معلنا للجميع التزام الصمت التام ، وهنا قام ذلك السجين برفع رأسه المطأطأ لأول مره منذ دخوله لهذا المكان في بطئ شديد لتظهر عيناه الحمران كالنيران المتقدة وقد علا راسه شعره الطويل الأسود الفاحم الذى تخللته تلك الخصلات الحمراء التي أخذت تقطر بالدماء فتناثرت على ثيابه وبعض من وجنتيه فكان بهذا الهيئة اكثر شبها بمرده وشياطين الأساطير والحكايات الخرافية او مثل شبح من أشباح الجحيم .. وقد سلسل بتلك السلاسل الثقيلة المكبل بها، وبالرغم من ذلك المشهد المهيب الذي ترتعد له الأوصال إلا أن ذلك السجين لم يبدو خائفا أبدا مما يرى أو يسمع، أو من أي أحد من المتواجدين، ورفع رأسه المحمل بجراح الماضي الآتي أضيفت لها جراحا أعمق حين وطأة قدماه ذلك القفص الحديدي بأمر من امه الملكة فنظر اليها، وقد أدركت راسه كل الذكريات الأليمة وكيف أوصلته إلى هنا إلى هذا السجن فتسال الم يكن لديها بعض الوقت لا بنها؟ لو نسيت أمرها كله وتذكر لحظات حالها كأم فقط هل كنت سأكون هنا الآن؟ وارتسمت ملامح الغل على وجهه فقال يبدو أن الأمر لا يعنيه أبدا وما يعنيه فقط شأن ملكها وقوتها التي تتباهى بها دائما في ذهو وافتخار ... لم يسمع كثيرا لهمسات العامة او صيحاتهم التي تعالت أحقا هو الأمير؟ أحقا هو أمير الشعوب؟ ايكون هذا حقا ابن الملكة؟ لم يستمع لاحد، ولم ينظر لاحد كانت فقط عينيه قد أوقفها الزمن والذكريات الأليمة فلم تعد تتحرك عن هذا الوجه هناك؛ وجه الملكة التي مازالت مطرقة لم

تلتف، ولم تستطع النظر اليه حيث الأغلال قد قيدت وثاقه، ولكن تلك النظرات المملوءة بنار الحقد والكراهية لا تريد التخاذل والاستسلام أرد بأن يصرخ بأعلى صوته. ولكن كانت الذكريات الثقيلة تكتم على أنفاسه. فلم يقوى على رفع صوته فمذ طفولته لم تقدر على احتواء خوفه الكامن في صدره، أو احتواء طفولته البيضاء الذي كانت السبب في سوادها وضياعه معها فكانت عيناه ترسل شرارا - وكان الكاهن الحكيم يرقب ما يحدث في صمت تام منتقلا ببصره في هدوء غير ملحوظ لاحد من المتواجدين بين الأمير السجين والملكة التي عصف بها الانكسار - فهل تراها قد انكسرت على صفاء صفحات مجدها الذي لوثها أميرها الصغير أم تراها قد كسرت على فلذه كبدها السجين، والتي تعلم جيدا ما هو المصير الذي ينتظره من امثاله أمام المحكمة الكبرى؟

أنهي الحاجب قراءه حيثيات الإدانة ومازال الصمت يطبق على هذا المكان بشكل مخيف حيث قد كتم الجميع أنفاسهم لسماع حكم المحكمة فلم يرى أحد من قبل منذ مئات الأعوام التي توالى فيها الأسرة المالكة الحكم من الأجداد والإبء تم اعتقال أي من أفراد أسرتها او أمرائها فقد سمع الجميع حيثيات الحكم ولكن لم يعلم أحدا منهم السبب الذي أدى بالأمير ليقوم بذلك، وان كانت العيون لازالت تسال في صمت، وارتفع البوق معلنا - حكم المحكمة على الأمير السجين

الفصل التاسع

كان الكاهن الحكيم قد وعد فريدة بمفاجأة. لكن طلب منها في مقابل هذا مطلبان اثنان أولهما: ألا تخبر أحدا بما وعده لها إلا حين أن يسمح بذلك والأمر الثاني: هناك شيء ما سيطلبه منها في مقابل المفاجأة التي أعدها لها من قبل والتي ستسعد قلبها المفطور، وبدون تردد وافقت فريدة ما قيل لها، وها هو قد قام بالوفاء بوعده وقد أتى لها كما قال سابقاً، فهتفت على أخيها فأسرع مُلبي ندائها، وانطلق إلى حجرتها مسرعاً يدعو خلفه صديقة ميلاد، وباقي أفراد الأسرة؛ خشية أن يكون شيء ما قد حدث لها أو لابنها يوسف الذي مازال تحت السحر.

ودفع عوني باب الحجرة ففتحه مسرعاً ودخل خلفه أفراد الأسرة يمتلكهم الخوف مما سيكون داخل الحجرة هذه المرة أيضاً.

فكما ظهر وأختفي منذ أيام ها هو قد أتى زائر من العالم الآخر فأسرع عوني بسؤاله في دهشة ككل مرة يرى أحدهما فقال: من أنت؟ وإنّبه الكاهن الحكيم أن الريبة، والخوف قد سيطر على أفراد الأسرة منذ أن أتخذ ملك الظلام ألتخفى في صورته فلم يعد الجميع يثق فيه وأختلط عليهم الأمر بين الكاهن الحقيقي وملك الظلام من يكون الاتي لهم من العالم البعيد، ورفع يده إلى أعلى قائلاً: ها أنا هو سأذهب بضع خطوات إلى الخلف لترى ما يكون حتى تتأكد أنه أنا وليس أي آخر كما فعلت سابقاً، وتقدم خطوات للخلف، فرأى الجميع تلك القطرات الذهبية فهدأوا قليلاً. لم يتيح لهم الحكيم فرصة أخرى للحديث، وتوجهه بحديثه لفريدة قائلاً: كنت قد وعدت سابقاً أن هناك مفاجأة ستسعدك بخصوص ابنتك، ولكن لن يرى المفاجأة إلا أنت فقط فهل توافقين على ذلك... فقالت والهفه تملأ كل كيائها

نعم نعم أوافق-قل ما تعرفه عن ابنتي وأين هي هل مازالت حيه وكيف صحتها وكيف تز؟ لم يدعها الكاهن تكلم وابل الأسئلة التي طرحتها والتي ظلت بدون أجابه ولكن قال لها ستعرفين كل شيء كما سترين بنفسك كل شيء انظري إلى هناك فنظرت فريدة حيث أشار الكاهن ولكن بهتت وتراجعت للخلف وأصابتها الدهشة فقالت له متسائلة إلى ماذا انظر تريدني أنظر لحائط الحجرة؟ فقال لها انظري وانتظري قليلا دون كلام واعلمى أن ما ستره لن يراه غيرك هنا. أنت فقط كما وعدت. ونظرت فريدة للحائط مره أخرى فاذا بالحائط، قد تحول إلى شاشه عرض وظهرت عليه صوره جبل عظيم غريب الشكل أحد يقترب من الشاشة شيئا فشيئا فاعتدلت فجاءه وحدقت إلى شيء ما، وقالت في دهشه ورعب. ما هذا؟ ماذا هناك الحائط ماذا به؟ وحاولت أن تقوم بلمس الحائط ولكن منعها الكاهن الحكيم فظلت مكانها تنتظر ... تشاهد في رعب ولهفه حتى ظهر هناك ذلك الظلام الدامس في دائرة كبيره غير مستويه فكان بابا لكهف ما داخل الجبل ... فشهقت فريدة، وقالت مره أخرى أهذا كهف؟ فأما لها الكاهن بالإجاب، وقال نعم هذا باب كهف عظيم داخل الجبل فشهب عوني وميلاد عند سماع هذه الكلمة ونظر لهما الكاهن بطرف عينه فقد كان يعلم ما سبب شهقة الرعب التي علت وجهه كلا منهما فور سماع كلمة الكهف، وهذه أيضا سبب ما جعل فريدة ترى وحدها ما يكون هناك خشيه أن يتدخل أحدا منهما في حرب الملكة والأمير. إقترب الظلام كثيرا فانتشر بداخل الصورة التي يبيتها الكاهن لداخل الكهف إلى أن لاح هناك ضوء قليلا. كان هناك شخص ما. لا تظهر ملامحه ولكنه كان مثل ظلًا عظيمًا لرجل مخيف قد نظر نحوها فلم

تظهر منه سوى عينين حمراوين مثل قطع الجمر المتقدة، فصرخت فريدة من الرعب وابتعدت قليلاً إلى الوراء، وقالت مرة أخرى مندهشة ما هذا الذي أراه؟ فرد عليها الكاهن تملهي قليلا ولا تخاف. ما جئت إلا لطمأنتك، فصاح عزمي على أخته ماذا تشاهدين بداخل الحائط؟ ماذا تشاهدين؟ فنظرت إليه ولم تستطع الإجابة على سؤاله حيث وعدها.

الكاهن أن ترى ابنتها، ولكن فقط وحدها من سترها وها هي قد رأت كثيراً مما يدمى القلب على ابنتها رعبا وقلقا، ولكن انتظرت قليلا فظهر من خلف الظل المخيف الذي تحرك قليلا إلى الأمام قطرات من الدماء الحمراء ا تتأثرت خلفه، قد تساقطت من شعره أينما ذهب، واقترب الظل المخيف للمخلوق البشع من أحد أركان الكهف التي كانت تبدو من هيئتها الفخامة ، وقد انتشرت بها عدة وسائد حريرية وبعض الأطعمة والفاكهة كما كان هناك مكانا لم يظهر قليلا من بعيد يبدو أن فراشا صغير الحجم لا يتسع سوى لشخص واحد ، وقد اكتسى بالحريز رغم أن حوائط الكهف تبدو غريبة الشكل ككل الكهوف التي تعلوها بقع الرطوبة والصخور الجبلية ، فكانت شيء غريب وسط هذا المكان البغيض فقالت متسائلة هل يوجد من يسكن هذا المكان ؟ ولماذا يسكن أحد هذا المكان ألا يوجد مكان في الأرض للحياة غير هذا المكان البغيض الذي أشبهه بالسجون؟ وكيف تكون الحياة في مكان لا حياة فيه؟

فقال الكاهن: انتظري سيدتي ستعرفين كل شيء، وهنا صاح الظل قائلاً: يجب أن تتناولين طعامك يجب أن لا تموتي هنا اعلم كل شيء عنك، وقد أتيتك بطعامك الذي تفضلين في عالمك، وهنا صرخت فريدة من الرعب وتسارعت ضربات قلبها، وقالت أتكون ابنتي؟ أتكون هي من يكلمها هذا الظل

البشع؟ ... وتعالى صرخاتها، فاحتضنها أحيها، وقد أوشكت على السقوط فأجلسها على حافه فراشها بجوار أبنها الممدد، ولم يعي شيء حتى الآن، فعاد الكاهن يقول: انتظري سيدتي، ولا يسبقك الخوف مما ترى انتظري.

فصرحت فريده وقالت: انتظر ماذا؟ هل ابنتي مع هذا المخلوق في كهف داخل الجبل؟ إنها تموت رعباً كل لحظه هناك. ألا ترى؟ وتوهج ضوء بالحجرة من نار حمراء بداخلها أضواء برتقالية لامعة مما أضفت بعض الهدوء والسكينة على هذا المكان الموحش، واقترب الظل قليلا من ذلك الفراش الذي إكتسى بالسرر الحريية، فمد يده بانية الطعام الذي تناولته في هدوء تلك الفتاة أالجالسة هناك.

وظهر وجهها قليلاً فكانت ابنتها رضوى، والتي رأتها فريده فكادت أن تتوقف نبضات قلبها، وكانت ستقعد وعيها في الحال. أخذت رضوى الطعام من صاحب الظل المخيف، وقد توارت مره أخرى حيث مجلسها في فراشها، ثم تناول طعامها ببطيء شديد، وقد أخذت تتذكر أسرتها وضحكة يوسف وساره حين قامت برسمها أثناء نومها، وأمها، وهى تتقدم تسبقها ضحكها الحلوة الدافئة، فكانت ليالي الشتاء الباردة تتحول في حضنها إلى ربيع، وسعادة، وحكايات عمها عوني وميلاد، وصرخات أم محمود من شقاوة يوسف حين يمسك بأطراف غطاء رأسها الطويل الذى يكاد يمتد إلى أطراف قدميها، ولم تكن تستطيع فعل شيء حيث كان يفعل ذلك معها وهى محملة بأواني الطعام ... وزهور أبو محمود الذى لا يكاد يمر يوماً إلا وقد أخذ منها لكل منهم زهره فاطلق عليها اسمه قبل أن يعطيها له. أسرتها تفتقدها بشدة وهو مازالت لهفة عينيه الملحقة بها حين خطفها الظل الأسود ترى ماذا يفعل الآن جاجان؟ كان واقفا على عتبه

الباب. حين أخذ يدنو مني بخطى صغيرة، وأنا أتتبعه بعيني شبه المفتوحتان الذي امتلأ رعباً وهلعاً حيث ذهبت إلى المجهول الذي لا اعلم ما هو إلى الآن. يد اعتصرت أصابعي، وقادتني مجبرتا للهرولة نحوه. رفعت رأسي لأرى هوية قائدي، فاذا به ظلاً اسود لم اعلم أكان هذا لونه أحقاً؟ أم هذا هو سواد قلبه البغيض؟ وهو محققاً بصره الذي يطلق سوداً إلى للأمام ولم يرق قلبه لما أصاب أسرتنا في ذلك اليوم ألم يكتفى بما فعله بيوسف؟ وتساءلت في صمت ترى هل مازال تحت سحر هذا الظلام؟ ولم تكن تدري ماذا حدث لأسرتها بعد ذلك؟

ورق قلبها لحال أمها حين تذكرت يوسف أيضاً فإنزلقت دمعة من عينيها كانت مثلها أيضاً على وجنتي أمها وهي ترى ابنتها وقد أصاب وجهها الذبول وإمتلاً عينها بالحزن. أطرقت رضوى إلى الأرض في نظرة آسى ونظرت إليه من بين دموعها التي كانت تغطي عنها النظر، ولكنها كانت تستطيع لمح طيفه وهو يتحرك في أنحاء الغرفة بعصبية شديدة. كانت تنتفض في كل مرة إذا تحرك خشية أن يقبل إليها في الغرفة أثناء ذهابه وإيابه فيها. قبل أن يتوقف فجأة، وينظر للأرض ثم إنتفت إليها بعد أن توقف ليجدها تنتظر اليه بصمت، وهلع وخطواته تقترب منها. تابعت إقترابه منها بصمت حتى توقف بالقرب منها قائلاً: سأغادر الآن، وسأغلق عليكى الباب مثل كل يوم، ولم يكن هناك أبواب للكهف سوى أبوابه الذي صنعها بقواه السحرية ثم قال: وإذا أردت شيء فقط نادى سأسمعك أينما كنت، وتحرك ليخطو خارج الكهف مغادراً. إعتدلت، وقالت: ومن تكون حتى نادى باسمه. فالنتفت إليها وامتلت عينه بالحزن العميق فقال: أنا لا اسم لي ولكن قريباً سأسترد.

أسمي واسترد حقي، وأحطم قيودي. لم يكن الأمير الهارب يهتم بخطف أحد ما، أو قتل أحد ما، فما زالت يده لم تلوثها الدماء من قبل وحتى الآن كان حريصا كل الحرص ألا تصيب يديه دماء أحد من حافظين سر المخطوطة كان يعلم جيدا سبب ذلك كما يعلمه الكاهن الحكيم، وأن هناك دائما مفتاح للأمل في إصلاح أي شيء، أو خطأ أما إذا ما تلوثت يده بدماء الأبرياء كما يعلم، ويعلمه الكاهن والملكة فلن ينال عفوه الملكي وسيصبح منبوذ ألي الأبد.

وفى حالة حصوله على تعويذة العفو فسيتم عقاب كل ما حمل سر التعويذة والمخطوطة الملكية، ولكن لم يعلم أيكون عقابهم بيده هو؟ أم هناك غيره من سيتولى ذلك الأمر؟ كما يجهل تمام من قام بوضع هذا البند في بنود العفو الملكي، ولماذا تم وضع هذا الشرط المجحف لأحد لم يكن يعلم عنة حين سجن وحين كتبت الملكة تعويذة العفو؟!، ولكن هل يعلم ذلك أيضا أيا مما حملوا سر التعويذة؟، ولذلك كان رافضا كل الرفض مما قام به ملك الظلام من خطف الفتاة ولذلك قام بالاعتناء بها وحده، كما منعه من دخول حجرتها حتى ينتهي هذا الأمر. أما ملك الظلام فكان يتخبط فيما يقوم به في ذلك الوقت ليس داعما له أو حبا في الأمير الهارب، ولكن من أجله هو وهو فقط فمع اقتراب ظهور القمر للشهر الثاني يصبح لا أمل له أبدا سيتحول بعدها إلى ظلام فلا نداء آخر ولا فرصه قادمة....

سألت فريدة ترى لمن هذا الظل البشع؟ وهل هو من قام بخطف ابنتي؟ وهو أيضا من أصاب يوسف بهذا السحر إلى الآن؟ ولأول مره يجيبها الكاهن على إحدى أسئلتها ، فقال : لا سيدتي لم يكن هو من قام بخطفها ، فحمدت الله وقالت : اذا من يكون من يعتنى بابنتي؟ وماذا يريد منها أيكون أحد من الجان؟

ثم صرخت وقالت هل الأمر كذلك؟ فرد عليها أيضا وقد هدأ من روعها: لا ليس الأمر كما تظنين. انتظري قليلا وشاهدي بنفسك ألا ترين أن ابنتك بخير، وإن ابتعدت عنك قليلا. فقالت: لم أعد أحتمل " شقت كلماتها المنبثقة من رحم الوجع طريقها إلى أذنه، فقال لها صبرا سيدتي ألم يطمئن قلبك قليلا عن قبل؟ فقالت: نعم لا أنكر ذلك ولكنى من يكون هذا الظل؟ فرد عوني، وأصابه القلق على أخته، وقال: صفيه لي كي عرف من يكون هذا الظل فأخذه تصفه كما رآته قبل أن يرحل، ويترك ابنتها التي مازالت ساهمة في أفكارها. حتى أن وصلت إلى قطرات الدم قد علم عزمي من يكون، فحمد الله أن لم يكن ملك الظلام، فقد كان يعلم أيضا بنود وثيقة العفو الملكي التي ينتظرها الأمير ليعود حرا طليقاً إلى عالمه. لذا هو يقاتل قتلا شرسا للمحافظة على الفتى من أن يصعب أو يستحوذ عليه الأمير وحده ليقراه التعويذة ... كان يعلم عدم أن يتمكن من ذلك هو حماية للأسرة وأصدقائه جميعا أستعد الكاهن الحكيم للرحيل وقد فقام بغلق النافذة السحرية على حائط الغرفة مشيرا لها بالصولجان الذي يحمله فأنطلق منه شعاعا أزرقا لامعا وعاد كل شيء كما كان، مازالت فريدة تناشده أن يتركها ترى ابنتها بعض الوقت ولكنة رفض، ووعدها أن يقوم بذلك مرة أخرى. فجلست تحتضن ابنها ونزفت عينها دموع قلبها المحترق على أبنائها، فإقترب منها جاجان وقام باحتضانها وبكيا معاً لفقد الحبيبة الغالية، ودق الحكيم الصولجان بأرض الغرفة دقه واحده ليختفي بعدها.

مازالت عيون الرعية تسأل في صمت كيف أقدم الأمير الصغير للقيام بهذا؟ ولماذا؟ هل يمكن أن يسرق أحد ملكه؟،

وأصابت الحيرة الجميع بين مصدق وبين غير مصدق لهذا الحدث. وارتفعت الأصوات تتساءل لماذا تبدل الأمير الحنون وصار يفرغ الرعية؟ وانطلق البوق ليعلن حكم المحكمة.

وهنا انتفض وافقا في قفصه الحديدي الذي وضعته به الملكة فأصبح كالأسد الجريح الذي لو إنطلق لم يبقى في هذا اللحظة على أحد فأخذ يتنقل بعيونه الحمراء الذي أطلقت شرارها على الجميع بنظرة سريعة ليرى لأول مره الحضور الذي أتى من كل مكان بالمملكة ليحاكم أمامهم مثل أعتى المجرمين، فكان حقا منظراً مهيباً لا تقوم به الملكة إلا لأمر جلل، وكان هو الأمر الجلل في ذلك اليوم. وها هي قد استعرضت قوتها فهل لتلقنه درسا دون قتال كما كانت تفعل مع الملوك السابقين؟ حيث إذا أراد أحدهما شراء جزء من المعدن كانت تجالسه هنا ثم تقم باستعراض قوتها قبل أن ترفض طلبه حتى لا تؤل له نفسه إستعمال القوة، أو إعادة الطلب مره أخرى، فهل تراه الملكة كذلك هل كانت تخشى قوته وهو جزء من قوتها أما كانت تخشى الأسرار التي يعلمها، فمن يعلم كل شيء ثم تحول إلى عدو أصبح أشد خطرا على الجميع، وتجمعت العبرات في عيني الملكة التي تسبح في الفضاء بعيون لم تستطيع أن تخفى ما بهما من قهر وألم فكانت تنظر في ذلك الفضاء الشاسع متحاشية النظر إليه، وإن كانت نظراته اليها تلهبها فارتجفت.

وسرت رعشة باردة في أوصالها وحسيت أنها تمر بحلم مزعج، فأخذت تصغى إلى السكون الذي يسبق حكم هيئه القضاة. أما أميرها الأكبر، فلم يعد يدري أيسعد بوصوله إلى تلك المكانة، وتفرد به كرسي العرش في الحكم الذي سيكون بعد ذلك لأبنائه دون شريك في الملك؟ أم يحزن على الخزي والعار الذي دنس ثوب الكبرياء لديه بين الممالك الأخرى؟ ، وتعال

الوجوه وتلاقت عينيه بعيني أخوه داخل القفص الذى قد رأه سببا
أخرى للوصول إلى ما هو فيه الآن فلم يكن ينصره مرة واحدة
أمام الملكة منذ صغرهما بل كان سبباً من أسباب معاناته إلى
أن شابا أقوى فرسان المملكة ، فقد كان يتميز بالقوة والبطش ،
وكنت أتميز بالرقّة والحلم كان فقط العقل من يحركه في كل
الأمر ، وكنت أشعر حتى بالألم الذى يصيب الطير
والدواب كان أخي يحب الظهور وسط العامة ملكا ، وكنت
غير ذلك حتى انخرطت معهما حتى النخاع فأعيش في أفراحهم
وأحزانهم فنظرات عيونه الحمراء الملتهبة لم تكن تنظر في
وجهه أخيه، ولكن كانت تخترق نبضات قلبه، وتساءل في
صمت حين تذكر يوم تسابقا معا في الغابة ، وكنت
صيحتهما الفتيه تسبق طيور السماء حين أخذ الأمير الكبير
يطارد إحدى الغزلان البرية ، وهو يتوسل إليه إلا يقتلها ويتوسل
إلية مستعظفا أن يتركها ترحل ، ولماذا يقتل هذا الجمال
البريء ولكنة يأبى له فجذب القوس من يده ، وانتهى الأمر
وفر الغزال لداخل الغابة بعيدة عن ملتقى عينيه. وكان ذلك
سببا من أسباب ثورة الملكة حين رجعنا، واستقبل أمه بوابل من
الشكوى لمنعه عن التدريب للصيد، فقلت لأمي: تعلمنا أن
نصيد الحيوانات المفترسة، وليس الحيوانات المسالمة فقال: في
ذلك الوقت: دخلنا إلى عمق الغابة، ولم نرى حيوانات مفترسة
إلا ذلك الغزال ونسى أخي الأكبر. أننا قد تجاوزنا كثير من
الذئاب والثعالب، والسباع أمانا، وأخذ يسترسل في كثير من
الكذب، ولم أكن أدري لماذا يفعل ذلك؟ حتى علمت السبب
الرئيسي وراء ما يفعل، فهل لم تنتبه أمي لهذا الأفعال؟
فأصبحت تغدق عليه من الرعاية والأمومة ولم تسأل يوم هل ما
قاله الأمير صحيح أم لا؟ فلم يتسنى لها سؤلي، وكيف تسأل

وهي المصدقة له في كل شيء، وأن الأمير الأكبر يكذب أبداً؟
التهمت نظراته أخيه الذي أطرق رأسه إلى الأرض وحاول أن لا
تلتقي عينيه بعين أخيه مرة أخرى، فتوقفت عينيه الحمراءين،
والتي أخذتا تلمعان ببريق خاص. أعاد عليه ذكرى ما فعلته
أمه وأخيه والتي أخبرها بحقائق كثيرة كانت لا تصدقها. عن
ذلك القصر وساكنة ماذا ستكون ردة فعلها إن علمت
بالحقيقة؟ وإن ما كنت أقوله حقا ولكنها ترى ما تريد وتصدق ما
تريد؟ ولكن لماذا تفعل هذا الأمور؟ فهل كانت على علم
وتمادت في غيها أما ماذا؟ كان الخوف يملاني بعد كل لقاء
أدافع به عن نفسي أمامها ، لزممت حجرتي لأيام كثيرة وأنا أقنع
نفسي بأن الأمر سننتهي و سيختفي ذلك الصراع الطفولي مع
نضوجنا من الوجود فكانت بالنسبة لي مسألة وقت لا
أكثر كنت أحاول إقناعي نفسي بهذا ، وعشت كثيرا أيام من
الوحدة لا يشعر بوحدي أحدا ثم أعود كما كنت سعيدة مع
نفسي متناسيا ما حدث ، وأقول لذاتي حتى وأن كنت سترى
نفسك ملوما من الآخرين بسبب خطأ لم تعرفه واضح كوضوح
النهار لا ذنب لك فيه حتى أن صمتك الضعيف أصبحت تلام
عليه حتى كانت الإهانات القاتلة والتهكم الذي يصيب القلب
مباشرا ، ومن رحم الأنين ولد العناد والاحتجاج الذي كان
كالسوط يلهب النفس ليلا ونهار ذلك الأنين الكريه الفياض
بالحقد والكراهية والبغض والبشاعة غير مستكين يلهب العقل
والفؤاد ملتاعا للإنتقام ليقلق الجميع ويذيب قلوبهم ويذهب النوم
من عيونهم فكانت نفسي تشتاق إلى الإنتقام ..
كم كان يدهشني أولئك اللذين يستطيعون أن ينتقموا ممن
يهاجمهم وأن يدافعوا عن أنفسهم وترى كيف يفعلون ذلك، وقد
تملكتهم رغبة الإنتقام تملكا بحيث لم يبقى فيهم أي دوافع أخرى

غير الإنتقام فكان يندفع إلى هدفه مثل الثور الذي يقاتل، ولا يقف أمامه أحد في ميدان المعارك كثيرا، ما كنت أرى هذا الشخص أحق لا يميز بين طبيعة المخلوقات، فينتقم دون وعى حتى كاد أن يكون أقرب إلى مخلوقات الغابات منهم إلى البشر كنت أندش كيف يموت الأنسان كريها، وقد مقته كل من حوله؟ فهل حقا العاطفة طرف فائض عن الحاجة؟ ولم أكن اعلم أيضا أنه سيكون هناك وقتا ما أكون فيه أشبه بشياطين الأرض ، وليس مخلوقات الغابات فمخلوق الغابات ، لا عقول لها، أما الشياطين ، فلم يكن لها إلا قلوب من ظلام...

هل تعرضتم يوماً إلى الاختيار؟ أتعرف ماذا يعنى الاختيار؟ الشيطان تعرض للاختيار، ويعلم ما هو الإختيار؟، وكذلك أنا اعلم نتيجة ما أقدمت عليه، ولكن من أنا؟ لقد ولد شخص آخر أتى من رحم الأنين هل كان بدا من إظهار بعض الفوضى لينتبه الجميع؟ ولكن هل الفوضى تتفق مع القوانين الطبيعية للحياة؟ ولكن هناك من يحبون الفوضى فليكن ما تريد الملكة وابنها المدلل، ولقد أعطيتكم جزء صغير مما تحبون، ولكن مازالت هنا على قيد الحياة، وإن كنت مكبلا بالسلاسل، فعندي الكثير لم ترونه بعد.

وكلما تذكر زاد إحمرار عينيه حتى كادت أن تقطع من مكانها كان يتمنى أن تطرف عينيها في تلك اللحظة وتتنظر إليه. كان يتمنى أن ينظر في أعماقها ليقول أنا هنا أنا من عدلتي صناعته، وأدخلته عليه كثيرا مما تحبين، فلماذا لم يعجبك ذلك؟ نظر إليها وقد قال أبدا وقت الحساب لن يمر بعد، ولو بعد مئات السنين. أما الكاهن الحكيم فقد أخذ ينظر للجميع بطرف عينيه، وقد علم أن الأمر لن ينتهي هنا، ولن ينتهي ابدأ. وكان بصفته أحد أركان حكماء المملكة الأربعة

كان له حق نقض الحكم أو التماس التخفيف أو إضافة شيء أو إستثناء شيء منه فيتم المداولة بين القضاة للموافقة أو الرفض إلا إذا تدخلت الملكة، أو الأبن الأكبر بالموافقة على ذلك كانت لهم الكلمة العلى، ويتم الموافقة على ذلك، وهنا انتظر الكاهن الحكيم نتيجة الحكم الذي كان يرى أن في كل شر شعاع من النور، وفي كل خير شعاع من الشر، فهل كان هناك متسع من الوقت لما يفكر فيه الكاهن الحكيم؟ فنرى ما يكون أولاً من هيئة القضاء التي سئدلى بحكمها، فترقب الحكم كما كان يترقب الجميع ذلك أيضاً.

إصطفت هيئة القضاة التي توسطها كبير قضاة المحاكم الذي يمثل " العدل " و" الحق " و" الخلق الطيب"، وهنا رفع القاضي صوته، فأطرق الجميع ليقول:

حكمتنا بالعدل على أمير الشعوب الأبن الأصغر لملكة البلاد وحامية مملكة الشمس العظيمة بالنفي إلى مملكة الظلام نفيًا دائماً إلى الأبد.

وهنا أرتفع الأصوات في كل مكان، وساد الهرج حيث لم ينالها أحد قط تلك العقوبة كما أنها القضية الأولى من نوعها التي يحكم فيها على أحد أفراد الأسرة المالكة ورأى البعض في هذا الحكم إجحاف كبير، وأطرق بعضهم صمتاً، وانتهى القاضي من قرار حكمه، ودق الكاهن الحكيم بصولجانه ثلاثة مرات فإنتبه إليه الجميع.

فقال الحكيم مخاطباً هيئة القضاة بما له من صلاحية نقض الحكم للصالح العام فأثنى الكاهن الحكيم على هيئة القضاة وعدالتهم ونزاهتهم التي ليس عليها أي شائبه في هذا الحكم أو

الأحكام السابقة ثم أكمل حديثه قائلاً: ويحق لي من مركزي في حماية الأركان الأربعة للبلاد أن انقض الحكم للأسباب التالية:

سيدي القاضي لو تم إرسال أمير الشعوب إلى منفى الظلام ، فسيكون نتيجة هذا الحكم الاتي : مقابلة الأمير هناك مع الملوك المهزومين من مملكتنا العظيمة وذلك سيمثل خطراً عظيماً على المملكة لسببين الأول : قد يقوم أعدائنا اللذين تم نفيهم هناك بقتل الأمير انتقاماً منا وستكون بذلك وصمة عار لنا جميعاً وسيسجل تاريخنا أن أعدائنا لم ينالوا منا على أرضنا ، ولكنهم قتلوا أميرنا ، والخطر الثاني : قد يقوموا باستغلال الأمير لما يتمتع به من قوى سحرية عظيمة لا تزول بسجنه ولكنها تضعف قليلاً ويصبح هناك تحالف آيا كان نوع هذا التحالف فلن يكون في صالح أي منا ، ولذلك أرى أن نضع سجيننا هنا داخل بلادنا ، وليس مع أعدائنا هناك.

كما أقترح سيدي القاضي كما قلت من قبل وحتى لا تكون وصمة عار في تاريخنا القوي. كما أرجو أن تكون هناك فرصه أخرى للأمير ولكن، وتعالى المهمات والصيحات المؤيدة والرافضة من الجميع ليختلط الأمر فكان أقرب إلى الصياح.

فانتظر الكاهن قليلاً ليهدئ الجميع ثم عاد وقال : لم أعنى بذلك رد حكم هيئة القضاة نعم جميعاً أن لا رد لحكم قضائنا ، ولكن سيكون الأمر مختلفاً قليلاً سيتم سجن الأمير داخل أرض المملكة للأسباب التي قد ذكرتها سابقاً ، أما الأمر الآخر وهو تقديم فرصة أخرى للأمير ستكون فرصة مشروطه، وكما ذكرت سيكون ذلك في صالح تاريخ البلاد - أما الفرصة التي أقصدها هي أن يتم سجن الأمير داخل سجن من سجون الملكة الخاصة ، وليكن سجن الصحراء حيث الكهف الأحمر بجبل

الهلاك سيكون هناك مقر سجن الأمير الإنفرادي حيث لا سجناء إلا هو أما الفرصة فهي مخطوطه العفو الملكي ، وهي تعويذة سحرية سيكون هذا في حالة أن هناك من قام بالنداء وإستدعاء الأمير كما يكون في سجن الظلام من إعطاء فرصه أخرى للسجين للحرية . وسيكون ذلك الشخص الذى يبحث عن الأمير ويناديه هو الأمير الذى سيحرره و يخلصه من سجنه كما سيقوم بقراءة رموز التعويذة بمساعدة أمير الشعوب ليعود حرا بعد ذلك إلى ملكه ومملكة ، وقد عفى عنه من الجريمة نهائيا ، ولكن هناك شرط آخر ، وهو عمر الأمير المخلص يجب ألا يتعدى العشرون عاماً وإذا مر يوم واحد على ذلك قبل أن يتمكن أمير الشعوب من جعل الفتى المخلص يقوم بقراءة حروف التعويذة السحرية و يعود إلى سجنه مرة أخرى مكبلا كما كان في قيود حتى يمر مائة عام أخرى فقط فرصة واحده كل مائة عام يستطيع الخلاص فيها فقط عند نداء أحدهم أو البحث عنه في أي زمان وأي مكان .

ثالثا: إذا وافقت هيئة القضاة على ذلك .

فسيكون تأمين سجن الأمير تحت حراستي الشخصية وجنود الملكة الشخصيين أيضا ، وذلك تحسبا لأي أمر فقد يعلم أحد أعدانا ذلك السجن ، فيقوم بإيذاء الأمير أو خطفه، ولن يستطيع في ذلك الوقت إستعمال سحره الذى تبقى لديه القليل منه داخل سجنه وسيكون ذلك أيضا ضمن مخطوطة العهد حيث لا يعود إلى الأمير قواه السحرية كاملة إلا في حاله النداء عليه ، وهنا تعالت الأصوات بالموافقة على رأى الكاهن الحكيم كما راق الأمر إلى هيئة القضاء فوافقت على ذلك ، وتم اقتياد الأمير السجين إلى حيث موضعه الجديد بالكهف الأحمر بجبل الهلاك

فترى ماذا سيجد هناك في قلب الصحراء ؟ ابتعد قليلا بداخل
قصره الحديدي ومازال ينظر للملكة، وقد زاد حقه إلى اقصى
درجاته والتي كانت تتفادى النظر إليه نهائيا لكيلا ترى هاتان
العينان فهل كانت تخشى ألا تستطيع أن تغمض عينيها بعد
النظر اليهما أم كانت تخشى أن تحترق بلهيبهما -انطلق
موكب السجن بالأمير إلى حيث جبل الهلاك، وانطلقت هي
مسرعة إلى الخارج حيث موكبها الملكي لتتطلق عائدة إلى
قصر الحكم.

لم تنتظر أمير الجيوش أو الكاهن الحكيم الذي صاحبها
للحضور في الموكب الملكي منذ قليل، ولكنها هاهى تعود
وحدها كما ذهب هو أيضا وحيدا إلى عالمه الجديد في قلب
الكهف فلم يدري هل سيعود يوما؟ أم سيظل هكذا باقي عمره؟
انطلق أمير الجيوش، والكاهن الحكيم في موكبهما أيضا
عائدين إلى قصر الحكم فقد كانت هناك الكثير من الأمور لم
تتكمّل بعد. كما كان يعلم أن الأمر أقوى ما يكون الآن على
الملكة الأم.

تمتت محدثة نفسها، وهي تنظر إلى هذه المرآة الكبيرة التي
تتوسط غرفة نومها الملكية قائلة: نعم أنا بالتأكيد أنا. ثم لمست
أطراف أصابعها إحدى زجاجات العطر المنتشرة على حافة مرآة
التزين الخاصة بها فقضبت عليها بيديها في حنق وقام بقذفها
في إحدى حوائط الغرفة لتنتثر شظاياها في كل مكان، وقد
انسكب ما بها من عطر على بلاط الحجرة فنظرت إليها
قائلة نعم، وأنا أيضا مثل زجاجتي هذه اليوم فقد إنكسر قلبي
وتتأثر فؤادي وإنسكب دمه كما إنسكب هذا العطر. ثم هدأت

قليلا من غضبها وقالت: وأنا تناثرت كلى أيضا وان انسكبت كل دمائي، وليس دماء قلبي فقط أكون قد استحققت هذا منة؟ او أكون من فعلت ذلك به؟ ... أنا من قدته إلى النهاية ولم أرمي له يوما حبل النجاة. لغبائي، وكبريائي.

ثم صرخت مرة أخرى، وهي تجوب غرفتها ذهابا وآيبا كالوحش المجروح أنا من يجب أن تعاقب؟ نعم فقد قمت بصناعة هذا الوحش يوما بعد يوم. كنت أراه يوما بعد يوم يزداد سوءاً ولم أكن أكثرث للأمر، لم أكن أدري يوما أنى أشارك في نهايته نعم فنحن الأمهات قد نصنع الأبطال، وقد نصنع أيضا الوحوش نعم نحن صناع الأجيال وهذه عملنا الأهم حتى، وان كنا ملكات. كانت صورتها في المرآه أمراءه شديدة الجمال مليحه البشرة كحيله العينين كثيفة الرموش التي كانت تقوم على حراسه هذه العيون التي تفيض سحرا وفتنه كان كل شيء فيها يوحي بالفتنة والجمال والكبرياء أيضا كان جسدها البديع كأنه يقاوم الشيخوخة كانت ايه من آيات الحسن الأنثوي الفاتنة ، ولكن هذه الملكة كانت غريبه الأطوار فبرغم من فتنتها وأنوثتها الطاغية الظاهرة كانت لا تلبس سوى عباءه الرجال في تصرفاتها ، فقد نشأت كمنشاء الفتيان وليس مثل الفتيات في سنها والذي قام بذلك ولدها الملك السابق حيث لم ينجب من الأبناء سوى الإناث ، فلم يحظى بوريث للعرش من الذكور ، فقام بتدريبيها كتدريب الشباب حتى أصبحت فارسه من أمهر الفرسان وقائدة من أمهر قادة الجيوش في عصر أبيها ، ولم يكتفى والدها بذلك ، فألبسها ملابس الرجال فلم تعد تعلم من تعليم النساء شيء ولم يبقى لها سوى قوة الرجال وتذكرت حين وقع في غرام أمير قدر ، وقد إعترض أبيها على ذلك الزواج حين كانت لأول مره تحس بما يحسه به الفتيات في مثل عمرها

من عطف وحياء، ولم يشاء أبيها أن يقتل هذه المشاعر
لصغيرته وإن كان يعلم أنها ستكون حياة زائفه مع الشخص
الغير أمين عليها ، فوافق على ذلك بشرط ألا تترك ابنته
قصرها وعاش بعض الوقت معها ذلك الأمير الذي أختاره قلبها
ذلك الأمير المخادع إلا أن ظهر وجهه القبيح وأطماعه
في ملكها وملك أبيها ، فعانت الكثير مما تعانى منه القلوب
المنكسرة إلا أن انتهى الأمر بقتله في إحدى المعارك ، فعادت
راضيه إلى لبس عباءه الرجال من جديد وأقسمت ألا تعود مرة
أخرى لمسالك النساء وإنكبت على حكمها وتربيته
أبنائها بطريقه تظن إنها تليق بأبناء الملوك بعيداً عن أي
عاطفة وأي مشاعر فقط القوة وصوت العقل ونسيت تماماً أن
الأزهار حين تتفتح تحتاج إلى الهواء وإلى الماء ونور الشمس
ودفئها ، ولم تكن الملكة تمتلك سوى غابات من الجليد قد
أحاطت مشاعرها وسدت أبوابها قلبها البارد - وإن كان بعض
الأزهار يستطيع مقاوم برودة الثلج إلا أن هناك أزهار لن
تستطيع أن تزدهر إلا في وقت الربيع - ذلك الوقت الذي لم
يكن يعرف بلاط الملك إلا الشتاء حيث كان يسكنه الضباب
الدائم وبروده الثلج القاتلة.

وهاهي الآن ترى بعينها أن إحدى أزهارها قد زبلت إلى الأبد،
ولكنها تذكرت الكاهن الحكيم، وما قام به هناك. فقد مر على
سمعتها بعض الكلمات، ولكنها لم تنتبه إلى كل ما قيل هناك،
وأطرقت في صمت وقالت لنفسها. حتى إنني لم أنظر إلى
عينيه، ثم اندفعت إلى خارج حجرتها منطلقة إلى أسفل البهو
تتلفت يمينا ويسارا عسى أن تجده قد عاد فقد كانت تبحث عن
الكاهن الحكيم.....

أمر ذلك الحارس المنتصب أمام بوابة السجن الكبير، فقام على الفور بفتح البوابات أمام الكاهن الحكيم الذي أخذ يسرع الخطى يتعبه إثنين من حراس السجن في زيهما الرسمي، وكلا منهما يحمل بجانبه سيفاً كبيراً قد وضع في غمده وإنطلق خلف الكاهن الذي فاقت خطواته خطواتهما، فكان يسرعاً خلفه في خطوات أشبه بالهرولة السريعة إلى أن وقف أمام إحدى البوابات، فقاموا بفتحها لينطلق إلى داخلها، ويقوم بغلق الباب خلفه مرة أخرى. نظر إلى السجن الذي مازال واقفاً في سلسله الحديدية، وقد ألصق وجهه إلى حائط زنزانته. لم يلتفت خلفه عندما سمع فتحها ولم يقيم للأمر إهتماماً ولمن دخلها أيضاً، ولكن تسأل من يكون ذلك الذي غلق باب زنزانته ولم يأبى شيئاً حيث كان جميع الحرس يهاب تلك الحجرة، ويخشى من بها أيضاً. إقترب الكاهن من الفتى متسائلاً: يامولاي حتى هذه اللحظة لم اعلم كيف أقدمت على هذا الأمر؟ فإستدار إليه الأمير وابتسم إبتسامه يملأها الحقد والسخرية، وقال: ألم تعلم بعد أيها الكاهن الحكيم؟! نظر إليه الكاهن قليلاً، ولكنى أريد أن أسمع منك حيث إنك لم تتطرق كلمة واحدة أمام المحكمة، أو تدافع عن نفسك من التهمة المنسوبة إليك. كان الكاهن الحكيم على علم بكل ما يدور داخل القصر أو خارجه في كل شبر كان يعلم ما يدور بالمملكة.

ولكن كان يريد من الأمير أن يتكلم أن يعلم منه ما يريده، فهناك شيئاً آخر دار بخاطره وأتى ليعلم هذا الشيء، وأجاب الأمير: -اعلم أنه فعلاً مزموم ثم نظر للكاهن قائلاً: وقد إقترب منه فعلت أصوات جر سلسله الحديدية بالأرض، فنظر لها وقد إمتلأت عينيه بالغضب الشديد، وقال غاضباً ولكنى كنت اعلم كما كنت أنت أيضاً على علم بذلك كما هي تحب السطوة

وتحب القوة، كما تحب أن يراها أيضا الآخرين وها أنا ذا كما ترى أصبحت أقوى ما بالمملكة جميعا كما أرادت ذلك دائما فلماذا اللوم إذا؟

ثم تراجع إلى الورا قليلا وقد إستند إلى حائط زنزانته، وقال ساخراً: ليدشني قليلا تلك التعاسة التي قد إرتسمت على وجهها أثناء المحكمة ثم ارتفعت ضحكاته المتقطعة الساخرة لتتهتز لها أركان الزنزانة، وأكمل حديثه قائلاً: ولكن كيف لها بهذا التعاسة؟! فقد إستعرضت جيشها وشعبها كان أقوى إستعراض للقوة لم تراه المملكة منذ زمن بعيد فهل اشتاقت لاستعراض قوتها؟ فقد كانت لا تقوم بهذا الأمر إلا أمام من تريد إرهابه من الملوك الآخرين أو من يحاول أن يعلو صوته فوق صوتها، وأيضا تقوم بإرسال تلك الرسائل الناعمة دون حروب لمن يحاول أن ينال منها. حتى وإن حاول أحدهم التقرب منها كأنثى غلقت كل الأبواب.

إلى أن مات الحب داخل قصرها الملكي. طرق الكاهن قليلا في أسف فقد كان يعلم أن أبناء الملكة لا يعلمون عن أبيهم سوى قتله في أحد المعارك ولم يدري منهم كيف عانت معه ويلات الخيانة الكثيرة التي لا تتحملها أي امرأة مهما كان شأنها، وأصبح ماضيها سرا من أسرارها لا يعلمه سواها والكاهن الحكيم الذي انتبه لضحكاته الساخرة قائلاً ترى مما خافت الملكة فأخذت تستعرض قواها بهذا الأمر في أكبر ساحة من ساحات التدريب على المعارك؟ هل كانت تخاف قوتي؟ أم كانت تخاف أن يعلو صوتي على صوتها فلا تعد تستطيع إصدار الأوامر لي بعد اليوم؟ أما ترى إنني أصبحت أقوى مما تريد، ولن تستطيع بعد ذلك التنازل عن ولاية العهد

لأحد الأمراء دون الآخر؟ أما كانت تخشى أن يفقد ابنها الأكبر مكانته فلا يستطيع بعد ذلك أن يحكم شيرا واحداً بالبلاد؟ وإنطلقت منه ضحكة أشبه بضحكات الشياطين.

أسهم الكاهن قليلا في الأسئلة التي طرحها الأمير السجين، وقال هامسا: ليس أي مما طرحت من الأسئلة، ولكنها تعلم أن أخطر الأعداء من كان جالسا في دارك، ويعلم كل أسرارك وخفاياك ثم يتحول إلى عدو وهنا تكون ضربه اكثرها الأما واشد وجعا. ثم سكت قليلا كان كمن يبحث عن الكلمات، فكان مضطربا بعض الشيء، ولكن كان لابد من إكمال مهمته التي جاء من أجلها فقال هنالك أمرا آخر يامولاي أود الحديث بشأنه ثم أطرق ساكتا مره أخرى، فقطاع الأمير عليه حيرته، وقال تقصد الحديث بشأن سجن الصحراء تفضل أيها الكاهن أسمعك جيدا كما أود أن أشكرك إنك قمت بمنع تنفيذ عقوبة سجن الظلام، فانتسعت عيني الكاهن بالدهشة، وقد علم مدى قدرة الأمر على تحمل هذا الموقف الشاق ولكن تراه هل كان الأمر كذلك؟ أم ترى ماذا كان يدور بعقل الأمير السجين...؟ ثم أكمل حديثه قائلا: نعم يا مولاي سجن الصحراء، فكما تعلم ونعلم جميعا لا أحد منا يعلم تحديدا المدة الذي ستقضيهما كانت قصيرة أم طويلة بجبل الهلاك حيث هناك مخطوطة بها بنود فك أسرك كما تعلم أن هناك ستكون تعويذة سحرية لن يستطيع قراءتها إلا من يناديك، أو من سيبحث عنك لتتال بعدها حريتك حسب بنود المخطوطة. التي سيتم وضعها هناك داخل زنزانتك، وإذا شئت معرفة أي شيء عن هذا الأمر سأكون هناك من حين لآخر كي أتفقد جنود حراستك التي أتولى أمرهم شخيصة -أيضا تعلم أن عبور سجن الصحراء نادرا ما يتم طبقا لتقديرات كثيرة كما ستكون هناك وحيدا فأنت

السجين الوحيد إلى الآن الذي تطأ قدمه سجون الملكة
الخاصة فنظر بحقد كامن إلى الكاهن قائلاً: اعلم سجون
الملكة.

الخاصة لا يدخلها سوى مجرمي الدرجة القصوى ، وهاهي
تراني كذلك ، لم يعلق الكاهن على ذلك ولكن أردف قائلاً : أن
الأمر لن يدوم إلى الأبد كما تعلم ، وسيكون ذلك الوقت كافي
لمراجعة أمركما أنت والملكة أيضاً لن تكون وحيدا فقط داخل
سجنك البعيد ، ولكن ستفقد جزء كبير من قواك السحرية أما
إذا نادى أحدهما أو بحث عنك هنا يجب أن تتبع أميرك
المخلص ، فان إستطعت جعله يقرأ نص تعويذة العفو
الملكي كاملة سيعود بعد ذلك ملكك كاملاً كما ستسترد
رتبتك الوظيفية بالمملكة ، وأيضاً ستسترد قواك السحرية كاملة
مرة أخرى كما أتمنى أن تسترد نفسك أيضاً ، فقد قسوت
عليها كثيرا وذلك أفقدك الكثير ، وهنا انطلق تاركاً الأمير وقد
أغلق حارسه باب الزنزانة مرة أخرى مسرعا ، فقد كان يخاف
الجميع النظر إلى عيني ذلك السجين الذى تتقدان باللون
الأحمر مثل لون الجمرات المشتعلة إلى أن يتم رحيله من هذا
السجن المؤقت إلى سجن جبل الهلاك في اليوم التالي.

كان بالخارج رذاذا لمطر خفيف بدا ينهال، رفع الكاهن الحكيم
رأسه إلى السماء فكانت زرقاء بلا غيوم فأصوبته الدهشة من
وجود المطر في ذلك الوقت من العام ثم أردف قائلاً: يبدو كل
شيء غريبا هذا اليوم ثم أستسلم للأمر، وعاد إلى مركبته
وإنطلق مسرعا إلى القصر الملكي، لمتابعة باقي إجراءات
السجين من ختم تعويذه العفو التي لم تقم بختمها الملكة حتى
الآن، والتي لابد أن يتم وضعها داخل غرفة الأمير السجين
بالكهف الأحمر.....

أخذت تجوب البهو الملكي ذاهبا وأيبا يملكها التوتر والعصبية في إنتظار الكاهن الحكيم الذي لم تعلم أين يكون حتى الان؟ ولماذا تأخر بساحه المحكمة إلى هذا الوقت؟ أيضا لم يحضر أمير الجيوش فأين يكون ذهب الجميع؟ وبينما هي كذلك عاد إلى ذهنها إقتراح الكاهن الحكيم على هيئة المحكمة حيث قد وصل إلى سمعها بعضا من الحديث الذي لم تستطيع الإلتباه إليه كاملا، فلماذا تريد أن تسأل في بعض التفاصيل كانت أيضا قد تذكرت بوضوح وجوه العامة والجنود حين نطق القاضي بحكمه على الأمير حيث سجن الظلام، فلمعت عيونهم ببريق من الصدمة فور وصل إلى سمعهم حكم القاضي حيث يعلم الناس أن سجن الظلام هو أشد السجون التي لا يسكنها إلا من أرسلته الملكة شخصا إلى هناك ، فارتفع الهمس والتساؤل فيما بينهم أتكون الملكة من أرسلت الأمير لهذا السجن ؟ حتى عرض الكاهن لهيئة القضاة أرتفع معها الصيحات مره أخرى بين مؤيدة ومعارض ل طرح الكاهن الحكيم، ثم انتهى كل شيء. ثم انتهت أن هناك خطوات قوية تخطو نحو قاعة العرش، فتهدت فقد كانت تنتظر صاحبها على أحر من الجمر، ثم قالت فور ظهوره: -

أنت أخيرا هذا أمر غير معقول وغير مقبول و لم تكمل جملتها ليرد عليها الكاهن الحكيم مولاتي لم يكن الأمر كما تظنين وأخذ يقص عليها كل ما قام به في ذلك الوقت كما قص عليها أمر المحكمة بالتفصيل ، وأيضا مقابلته مع الأمير السجين فور انتهاء المحكمة ، وأخيرا يامولاتي لم يبقى إلا وضع الختم الملكي على مخطوطة حكم المحكمة ، وأيضا تعويذة العفو الملكي فمن خلالهما سيحصل الأمير على حريته مرة أخرى كما لكل سجين فرصه ثانية في العفو الملكي

والعودة إلى حياته سواء بالمملكة او سجن الظلام ، ولكن قد يختلف الأمر مع قضيه الأمير قليلا حيث لا وقت لها فقد يمتلك حريته غدا ، وقد يمتلكها بعد عشرات السنين حيث لا وجود للزمن داخل مملكة الشمس ، ونظرت له عندئذ قائلة: ولكن أيها الحكيم أليس لديك أسباب أخرى قد جعلتك تقوم بهذا الرأي على المحكمة ؟ فقال لها نافيا: لم يكن هناك أي شيء آخر، ولكن قد أطرق ببصره بعيداً فقد كان يعلم جيداً أن هناك سبب آخر قد أقدم لفعل ذلك من أجله بجانب الأسباب الأخرى التي ذكرها للهيئة القضاة.

أخذ الكاهن المخطوطة ووثيقة العفو، وقد قيام الملكة بوضع ختمها الملكي عليهما، وأنطلق سريعا حيث جبل الهلاك وحيث السجن الملكي للأمير الصغير

تحرك الركب بالسجين الملكي أول سجين بالأسرة الحاكمة ، فاصطف عامة الرعية بجميع الطرقات التي أخذت مسار موكب السجون منطلقة إلى سجن جبل الهلاك على وجههم الدهشة مما يحدث بالمملكة ، وإنطلق الموكب عابر المملكة إلى حيث الصحراء الشاسعة حيث جبل الهلاك فبدأ في الأفق سلسلة غامضة من الجبال والهضاب المنتشرة على مرمى البصر أيضا كانت هناك بعض الحيوانات التي تسكن الصحراء تفر هاربة عند اقتراب الموكب منها ، ثم لا تردف تقف ساكنة ، وقد تعلقت عيونها بالموكب الملكي الذي أخذ يعبر عبر ديارهم بهذه الصحراء وكانت أيضا الحيوانات تتعجب من ذلك الأمر كما بدت بعض الشجيرات الشائكة على مسافات بعيدة ، وكثيرا من الكثبان الرملية ، وانتشرت أشعة

الشمس الحارقة فيما عدا كل هذا لم يكن هناك غير
العدم - كان يجلس ساكنا داخل موكب السجن بدون إبداء أي
شيء من الاهتمام مما يدور حوله أو ما يقابله في طريقه فقد
كان بعيدا جدا عن الواقع الذي هو مقبلاً عليه كان شارداً في
شيء آخر شيء أبعد من ذلك الصحراء ، ثم توقف الموكب أمام
جبلًا هائلا كان هذا جبل الهلاك الذي بداخله الكهف
الأحمر سجنه الخاص الذي سيتم وضعه به إلى حيث لا يعلم
أحدهم سيقضى هناك. انزله الحارس في اهتمام بالغ فقد كان
يتوخى الجميع الحرص والحذر الشديد عند القيام بهذه المهمة
مع هذا السجن الملكي أما هو فترى هل أستسلم للأمر
بعد؟ نزل ببطية شديدة حث وطأت قدماه تلك الرمال
الحارقة، فنظر لهذا الجبل الكبير الذي يعمله جيدا فكم من
المرات إتخذ من قمته مجلسا هادئا حيث كان يريد الاختفاء عن
الجميع.

تقدم حراس السجن إلى ذلك الجبل العجيب، وكان يسمى جبل
الهلاك لم يكن يعلم الجميع نبأ عن ذلك المكان حيث كان من
سجون الملكة السرية التي لا يعلم أحدا شيء عنها سوى بعض
الأشخاص المقربين للملكة والقائمين على نظام الحكم وحماية
أركان المملكة من العدوان. مشى الجميع عدة أمتار بداخل
الصحراء الحارقة وقد بدأ التعب على الوجوه حتى إقترب الجميع
ومعهم السجن من حافة الجبل الذي بدا مثل كثيرا من
الجبال إلا فتحه كانت تلك الفتحة هي بوابة الكهف الغريب
بداخل الجبل، والذي اتخذت صورة على هيئة مخلوق بشع
فإقترب الموكب، وقد أصابهم بعض الخوف من أثر ذلك
المنظر ولكن مازال الجميع يتقدم حتى دخل الجميع لذلك
الكهف حيث كان يتمتع بألوان غريبه تمنحه شكل جذاب،

ومثير للربح. في نفس الوقت.مشى الجميع في دهاليز طويلة داخل الكهف المظلم الكبير والذي يبدو أن قوى الشر قد اجتمعت فيه كان السكون يخيم على المكان ، وإن كان الجميع قصد أصاب ببعض الخوف إلا أن هذا المكان لم يبدو قط غريبا على الأمير السجين كان هناك ممران بداخل الكهف فكانت بعض الأنوار الخافتة في إحدى الممرات قد علموا منها أن هذا الممر هو الذى بنهايته سجن الأمير كان هذا الممر طويل يؤدي إلى حجرة مجصصه ومطلية بالطينى كان يتوسط الحجرة صندوق صغير قد كتبت على جوانبه بعض الطلاسم والحروف كالتى توجد فوق صولجان الكاهن ، وأيضا كالنقوش التى على تاج الملكة ، هنا بإحدى أركان تلك الغرفة إتخذ الأمير مجلسه الأمير فوق مقعد وبجواره فراش صغير ، وقد ترك له حرية الحركة في سلسله المقيد بها داخل هذا الكهف الذى انتشرت حوله حراسة مشددة خاصه تتبعه الكاهن الحكيم وجلاله الملكة ، وانطلق الجميع إلى الخارج . عائدين من حيث أتوا حيث السجن الكبير داخل المملكة.

وانتشرت طيور البوم بأعداد كثيره، وأحاطت بكل جوانب جبل الهلاك، وكان هناك يتربص، ويتجسس محاولاً الدخول إليه إلى حيث الأمير السجين.

لم يهتم أحداً بأمر ملك الظلام الذى أطلقه أمير الشعوب من سجنه البعيد، وقام بعقد تحالف شيطانى معه لمساعدة في إفشال خطط أمير الجيوش لى يتم وضعة في موقف مهين

أمام الملكة، وأيضا أمام العامة، ولكن قام ملك الظلام بوضع خطة حقيرة بدلاً من ذلك تتناسب مع أطماعه، وما ترغبه نفسه من عوده ملكه وهلاك الملكة وأبنائها، فأقترح بسرقة قلعة المعدن إلا أن تم القبض على الأمير وفر هاربا حيث إكتسى بالظلام، فلم يراه أحد الحراس ولكن هذا ما كان يظن، وكانوا على علم به، ولم يهتم أحدا بأمره بناء على تعليمات قادتهم.

حيث يعلمون أن مع ظهور القمر الثاني بالسماء تنتهي الفرصة الممنوحة لملك الأرض المظلمة الهارب بمساعدة الأمير من سجن الظلام ليتحول بعدها إلى ظلام يجوب الدنيا، ويكون انتهى أمره إلى الأبد إلا إذا ساعده أحد الملوك أو الأمراء مرة أخرى، ومرة وحيدة فقط. فهل يترك فرصته فما زالت باقيه حتى ظهور القمر الثاني؟ فاخذ يتتبع أخبار الأمير، ألي أن وصل ألي هنا حيث سجنه بجبل الهلاك، فأنتظر حتى رحل موكب السجون، وعاد يحوم حول جبل الهلاك منتظراً فرصة للدخول للكهف الأحمر حيث سجن الأمير الصغير، ولكن باءت أحلامه بالفشل الزريع حيث أحاط جنود الملكة وجنود الكاهن الحكيم كل شبر حول الجبل فلم يستطع الإقتراب من فتحه الكهف، كما لم يستطع الإقتراب منه جنى أو أنسى حتى حيوانات الصحراء تخاف تقترب من هذا الجبل الذي أصبح يتلحف بجراس أشداء قد أحاطوا كل شبراً به.

إقتراب الكاهن الحكيم من الكهف، فابتسم ساخر فقد كان يعلم أن هناك من يراقبه كما يراقب هذا الكم الهائل من جنود الملكة، واقتراب الكاهن الحكيم حيث السجن الملكي، وتقدم نحو صندوق صغير كان قد التصق بأرض الحجرة، فنظر الكاهن إلى الأمير قائلاً: أتذكر يا مولاي هذا الصندوق؟ ولكن كيف له أن ينسى

هذا الصندوق الذي أخذ من قلعه المعدن ثم ظهر الوجهة القبيح لملك الظلام فذهب سويا في صراع دموي كي يستحوذ وحده على الصندوق، ولم يعلم بعد ذلك ما حدث له حيث تم القبض عليه وهروب ملك الظلام، فنظر وقد اندهش من الأمر وقال متسائلا: أهو ذلك الصندوق؟ فقال الكاهن: نعم، فتسال الأمير مرة أخرى: وماذا حدث لملك الظلام؟ هل تم القبض عليه هو الآخر؟ هل أعيد إلى سجن الظلام؟ فقال الكاهن: كلا لم يتم القبض عليه، وأخذ يقص له ما حدث من أمر ملك الظلام إلى أن يظهر القمر الثاني في السماء، فيتحول إلى طيفا من الظلام الهالك يجوب الدنيا، ولكن أتعلم لماذا لم تسترد الملكة الصندوق حيث قلعه المعدن؟ ستري بنفسك ما قد يحتويه الصندوق وما قاتلت من أجله، وما جعل ملك الظلام يصاب بالهول مما رأى بداخلة. ولكن قبل أن نقوم بفتحه هناك صندوق آخر يحتوى مخطوطة الإدانة ، وحكم القضاة في أكثر قضيه مثيرة للجدل تمر بالمملكة حتى الآن ، وقام بوضع الصندوق في إحدى حوائط الكهف الذى التصق به فور وضعه كما قام بتغطيه بكثير من الطمي فتوارى الصندوق داخل فتحة حائط الكهف الأحمر ، واقترب الكاهن من الصندوق الذى التصق بأرض الكهف فقام بفتحه ، و إتسعت عين الأمير في ذهول حيث وجد أن الصندوق قد إمتلاء بقطع من الطمي الجاف ، ولم يكن به أثر لأى قطعه من قطع المعدن النفيس ، وهنا أدرك أن الملكة كانت على علم بخطه ملك الظلام نعم فقد كانت تعلم كل شيء ، ولكنها أنتظرت أيضا ، ولم تقم بمنع أي شيء نظر الكاهن إلى الأمير الذى بدت عليه الدهشة مما رأى، وقال ها هو الطمى الذى يمنع أحدهما من أن يسرق السمع أو يرى شيء هنا كما

يعمل كذلك على حجب كل شيء خارج المكان عن السجين في ذلك الكهف، حتى ينفصل عن العالم وينفصل العالم عنه ليعيش في وحدة تامة، وهاهى تعويذة العفو الملكي سيتم وضعها بجوار الطمى، وسنرى متى سيتم النداء؟ ومن سيستجيب له؟ ثم قام بغلق الصندوق، ووقد وضع كثيرا من الطمى حوله، فقال الأمير: وان كنت لن اسمع او أرى ما يكون وكذلك الآخرين فكيف سيتم النداء؟ فنظر له الحكيم وأبتسم وقال قد يكون النداء عليك مما يعرفك او لا يعرفك وقد يكون النداء اليوم أو بعد حين.

وانطلق الكاهن الحكيم خارجا الكهف الأحمر عائدا إلى البهو الملكي وهنا أدرك الأمير السجين أن الأمر أصبح حقا وأن هناك فرصة أخرى قد يحصل عليها فيستعيد حرته وملكه مرة أخرى، ولكن لم يكن يعلم أن هناك أمرا آخر حيث سيتم النداء أولا على من يستطيع حماية المخطوطة، وحماية تعويذته العفو حتى لا يستعيد الأمير الصغير حرته مره أخرى فترى من قام بوضع هذا السحر، وهذا البند وهل تعلم الملكة بأمر هذا الشيء؟ ولماذا؟ وما هو مصير من سيقوم بحفظ سر التعويذة أيضا؟

كانت العائلة مجتمعة كعادتها عقب الإفطار في حجرة المعيشة الحجرية المجاورة لحجرة الطعام، وقد توقفت كل الأجهزة الالكترونية بالبيت كما توقف ساعات الحائط منذ سيطر ملك الظلام على المكان، وعزلهم عن العالم الخارجي، فكانوا لا يعلمون شيئا عن الأحداث الدائرة أو حتى كم مضى من الوقت سوى تعاقب الليل والنهار والظلام والنور. أما الدكتور

عوني قد غير جلسته الصباحية بالحديقة كعادته دائما ، وقام باستبدالها بالذهاب إلى حجرة المكتبة فور انتهاءه من قهوته اليومية على طاولة الطعام ومعه صديقة الدكتور ميلاد يتبعهم الأمير المخلص أو الفتى جاجان ، فيبدأ في مراجعة المخطوطات وأجنده الملاحظات القديمة المحتفظ بها منذ سنوات منذ البعثة الإستكشافية بجبل الهلاك والكهف الأحمر وأيضا المعلومات التي أمدهما بها كبير القبيلة الإفريقي ، أما فريدة فكانت تتناول إفطارها على عجل دون شهية لتتطلق مسرعة إلى غرفة يوسف ، فتظل بجواره إلى نهاية اليوم لتتبعها ابنه أخيها ساره ، فتظل برفقتها أينما ذهبت إلى قد توقفت تماماً عن النزول للطابق الأول ، وبقيت بجوار ابنها الصغير وقد إنتبها حزن عميق . كما كانت ساره تفتقد صديقتها وابنه عمتها رضوى

كانت السعادة التي غمرت هذا المنزل قد ذهبت بعيدا ، وذهبت كل ضحكة وبسمة كأننا تملآن المكان حتى شقاوة يوسف التي كانت كثيرا ما تعاني منها أم محمود قد إشتاق إليها الجميع ، فلم تعد العيون تلمع إلا بالخوف ، ولا الشفاه لا تتحدث إلا رعبا ، اثر صرخات الفرع ، وأطبق على المكان صمت غريب ، وأسدلت ستائر الحزن والوجد لصوت الاحبه ، وفجأة ارتفع ضجيج صاحب اهتزت له جنبات البيت صوت طرقات عنيفة تكاد تدمر البوابة الحديدية للفيلا ، والتي كانت مواجهة تقريبا للباب الرئيسي وقد تجمع عدد من أهل القرية بجوارها يحاولون معرفة ما يجري وإين كان أبو محمود ، فأسرع الدكتور عوني وصديقه يتبعهما جاجان في خطى سريعة خارج المكتبة لمعرفة سر هذا الضجيج ، فشاهدوا الجنيني يسرع اليهم إلى حجرة المكتبة ، ففرع الجميع من هيئته فقد كان مرتعش الأيدي

يضحك ، ويبكى في أن واحد في صورة هستيرية يكاد لا يصدق مارأي ، والنقطة نظرات الجميع ، و ساد الصمت لحظه إبتلع خلالها ريقه الذى جف من فرط المفاجأة ، فقال عوني متسائلا بتوجس : ماذا حدث ؟ ما حدث؟

فأشار خلفه دون أن يلتفت قائلاً: الباب ياد كتور - الباب - باب الفيلا موجود وجيراني جاءوا للسؤال عنى ... إنهم بالحديقة الآن بجوار الباب. إنطلق عوني يهرول، وقد علا وجهه الدهشة يتبعه ميلاد وجاجان أما فريدة وسارة، فقد إندفعا أيضاً لأسفل الدرج درجات لمعرفة ما يدور وانطلقوا خلف الآخرين، لمعرفة سبب هذا الضجيج، ولماذا يهرعون إلى الحديقة خلف الجيني؟ وتملكتهم الدهشة والفرحة فقد كان هناك عدد من سكان القرية بداخل الحديقة حضروا للسؤال عن جارهم الجيني وتوجسوا خوفا من رؤية دكتور عوني وأسرته فهم على علم منذ زمن طويل أن الدكتور لا يختلط بأي أحد منهم منذ أن أقام في هذه الفيلا ولذا ابتعدوا قليلا للخلف، و هموا بالذهاب ومغادره المكان إلا أن صاح عليهم عوني وأوقفهم بل وطلب دخولهم إلى حيث المنضدة التي يجلس عليها بجوار حمام السباحة، فكانت هذه أول مره يتعامل مع جيرانه بالقرية كما إنها أول مره أيضا يدخل أحدهم إلى حديقة الفيلا. أجلسهم الدكتور عزمي ، وجلس أيضا بجوارهم ميلاد وجاجان فنظر بعضهم لبعض توجس القرويين بالريبة فقال أحدهم : عفوا يا دكتور فنحن منذ أيام لم نعلم ما قد حدث لأبو محمود فلم نراه منذ مدة حتى السوق لم يعد يذهب إليه كعادته الأسبوعية منذ سنوات منذ أن أغلقت أبواب الفيلا نظل يوميا نأتي فنطرق أبوابها ، ولم يستجيب لنا احد حتى ظننا أنكم مسافرون إلى القاهرة واليوم كعادتنا قمنا بطرق الباب ففتح لنا أبو محمود

فعرفنا أنكم أتيتم من سفركم ، وحمدا لله على سلامتكم كنا فقط نريد الاطمئنان على جارنا وفتح عوني والأخرين عيونهم ، وأفواههم من الدهشة ثم قال احدهما :عفوا ياد كتور هل يمكن أن يأتي أبو محمود معنا ليلا ؟ ففي اول هذا الشهر العربي من كل عام يقوم الشيخ محروس بعمل وليمة لأهل القرية منذ أن إستجاب الله دعائه في أن يرزقه بالولد إلى أن تضع زوجته هذا المولود، فهل يمكن أن يأتي معنا؟ فأومي برأسه بالموافقة ، ومازال لا يصدق ما حدث ولكن نظر للسماء قائلا : إذا هذا ميلاد القمر الثاني كانت السماء ترسل خيوطها الرمادية معلنة عن حلول دخول الليل ، فجلس الجميع حول المنضدة بجوار حمام السباحة ، وقد ارتفعت عيونهم إلى السماء في إنتظار ظهور القمر الذى يحمل معه الأمل ، ولأول مرة منذ أيام بعيدة ارتفعت صوت ضحكة أمل قد أتت داخل أركان هذا البيت فمع ميلاد القمر الثاني كانت الفرصة الممنوحة لملك الظلام قد إنتهت إلى الأبد فلن يستطع مساعدة الأمير بعد ذلك في الحصول على قراءة طلاس التعويذة كي ينال العفو الملكي ويستعيد هو عرشه مرة أخرى وأيضا هذا المرة هي الأخرى حيث لا نداء أو استدعاء و سيبقى دائما إلى الأبد ، وقد تحول إلى ظل اسود يجوب الدنيا دون أي قوة يمتلكها فقط أصبح مثل الأشباح التي تملأ الكون ، وهاهو سحره أيضا قد فقده إلى الأبد ، وهاهو سحره التي ألقى به على أسوار الفيلا أيضا قد انتهى ثم تذكر عوني يوسف فأخذ يجرى جريا سريعا كأنه قد أصبح شابا في ريعان الشباب وصعد الدرج يعدو خلفه أفراد الأسرة في ذهول ، ولكن ميلاد وحده كان يعلم ما يفكر فيه صديقه حتى إقترب من حجرة يوسف فاقتحم الباب وقام بفتحه ليرى المفاجأه التي فكر فيها فأخذه بين أحضانه

وذهب يقبله في كل مكان بوجهه الصغير ، وتعالى الصرخات
لتملأ المكان ولكنها كانت لأول مرة منذ أيام بعيدة صراخات
سعيدة ، وليس صرخات رعب فقد ذهب السحر أيضا عن
يوسف واستيقظ من غيبوبته مع اختفاء ملك الظلام ، والتفتت
فريدة صغيرها بين راعيها وراحت تحتضنه بكل خلجات قلبها
ونفسها أما الصغير ، فقد علا وجهه الدهشة لما يحدث له ، فلم
يكن يعلم ما يدور حوله سوى أنه قد استيقظ منذ وقت قصير
وأخذ يتطلع إلى وجوه الجميع التي كانت بين ضاحك وباكي ،
والجميع ينظر إليه في سعادة.

تقدم عوني من أخته الذى مازال وجهها يعلوه سمات الحزن ويبدو
ذلك واضحا جليا في نظرات عينها ، فإقترب منها قائلا : حمد لله
على عودة يوسف ، وإن شاء قريبا ستعود رضوى ، وتنقش الغمه
عن المنزل ، فلم تتمالك أعصابها وانطلق الدمع هاربا من
عينها فإحتضنها أخيها وأخذ يهدئ من روعها قليلا إلى أن
هدأت فقال لها : وهنا نادى على ابنه أخيه ساره فجلست على
كرسي بالقرب من حافه فراشها بجوار عمته فقال
عوني محذر : أن الخطر مازال قائما لم ينتهى بعد حقا قد إنقشع
السحر عن أسوار الفيلا ، ونستطيع الدخول والخروج إلى أي
مكان ، ولكن أتمنى أن لا يحدث ذلك فورا يجب أن ننتظر
بعض الوقت فلا ندرى ماذا سيكون بالخارج ، فهنا نحن تحت
حراسه الملكة والكاهن أما في الخارج فلا نعلم من سنواجهه وأكمل
قائلا : نعم لقد شاهدت وميلاد أسراب البوم التي مازالت
اعلى فروع الأشجار ، وأيضا سنرى هل مازال الصقر بجوار
نافذة جاجان أم رحل ؟ وكما نعلم أن الصقر هو جند الكاهن ،

وأحيانا يكون هو شخصا كما تفعل الملكة كذلك مع اسراب
اليوم قد تكون احدهما ، ولذلك مع وجود حرس الملكة فحتما
مازال الخطر موجود حيث لم يتم القبض على الأمير الهارب الذي
سيعود ويحاول الحصول على تعويذة العفو الملكي ، ولن أخفى
عليكم ، وأذكركم مرة أخرى إذا نال الأمير سر المخطوطة ونال
عفو ، سنكون جميعا من الهلكة لن يبقى منا أحد ، و الأمر
متروك لنا في الحفاظ بكل ما أوتينا على جاجان حتى يتم الأمر
، فاذا انتهى الأمر بخير ستعود رضوى أيضا إلى هنا وسينتهى
كل شيء فقالت ساره ، ولكن يا عمى قد قلت من قبل أن الظلام
قد انتهى بوجود القمر الثاني ، وهاهو قد زال سحره عن يوسف ،
والبيت فليس هناك من سيساعد الأمير ، فكيف سيعود إلى هنا
مره أخرى فرد قائلا : لا نعلم إلى الآن ماذا حدث له ، ولكن
الأمر أخطر مما ترون فذلك الأمير يمتلك قوة سحرية هائلة وإن
تبقى له القليل منها فمازالت بالنسبة لنا قوية ولا نعلم كيف يفكر ،
فقالت فريدة ولكنى اعلم أن ابنتي داخل كهفه بعيدا جدا ، ترى
ماذا سيفعل معها هناك ؟ سكت عوني قليلا ثم قال أرجو أن ينتبه
الجميع الفترة القادمة ويجب أن تهتم بيوسف ، ولا تجعله يبعد
عن عينيك أو يتجول بالحديقة وحيدا فلا نعلم ماذا سيكون غدا .

كانت رضوى مازالت حبيسه ذلك الكهف المخيف لدى الأمير
الهارب الذى لم يظهر له أثرا داخل الفيلا منذ هلاك ملك
الظلام بظهور القمر الثاني في سماء الدنيا ، وكان لذلك الأثر
قد أبطل تعاويذه السحرية فقد عاد يوسف إلى طبيعته ، وعاد
النور إلى الفيلا أيضا ، وانسحبت الظلمة المحاطة بها ، والتي
حجبتها على العالم فإستطاع الخدم الدخول والخروج لقضاء

حاجات الأسرة مره أخرى من الأسواق كما إنتظم عمل الأجهزة الإلكترونية التي توقفت عن العمل أيضا ، فلم يستطيع أحد إرجاء يوسف وسارة عن ألعاب الكمبيوتر الذى قضى وقتنا طويلا في ألعبهما سويا ، فعادت بعض البهجة المفقودة داخل البيت من جديد أيضا كان هناك الكمبيوتر الخاص بالعمل والأبحاث بالمكتبة فإنكب عليه وصديقه الدكتور ميلاد يبحثان عبر شبكه الانترنت ، وأخذ يتواصل مع أحد أفراد البعثة الإفريقية الذى كان معهم لمعرفة بعض التفاصيل الخاصة بتعويذة العفو وهل هناك بعض المعلومات التي تم تدوينها بواسطتهم يمكن الإستفادة منها إلى جانب معلوماتهم هنا وأرسل البريد الإلكتروني وانتظروا على أحر من الجمر ردا على رسالتهم ولم تمضى عدة دقائق حتى ، أرسل إليهم بعض الوثائق والمعلومات والملاحظات المدونة بخط اليد حيث تم تصويرها ، وإرسالهم لهم في الحال ولكن مع الأسف لم تكن تحمل أي إضافه أو جديد فقد كانت مثل ما معهم من معلومات ثم ظهرت رساله أخرى على شاشه الكمبيوتر فقام بفتحها على عجل وإذا هي مجموعة من الصور صور تم أخذها لجبل الهلاك قبل دخول البعثة إلى الكهف الأحمر وذلك فور إختفاء ركاب "السيارات" في ذلك المكان ، فنظرا إليها طويلا ... نعم فقد شاهدنا هذا الجبل أثناء البعثة البحثية مع فريق العمل ذلك الوقت ، ولكن كانت تفاصيل الصورة قد اختفى بعضها مع مرور السنين فلم يعد يتذكر كل شيء عن شكل هذا الجبل ، فأخذ ينظر للصورة وقد جحظت عيناه من الدهشة ، وقام بمقارنة الصورة لبعض صور الصخور والجبال القريبة ، فقد شاهد شيء غريب بها ، فأشار إليها أيضا صديقه وكانت فقد أثارت أيضا إنتباهه ثم قام بتكبير الصورة.

فشاهد تلك العلامات السوداء المنتشرة على حدود الجبل، وكثير من جنباته، وأيضا تلك العلامات الحمراء على قمته ثم قام بعمل تكبير آخر للصورة على أعلى قمة الجبل فتظهر الصورة أن العلامات الحمراء ما هي إلا بقايا قطرات دماء متناثرة، أيضا كانت هناك الكثير من قطع الطمي التي سدت بها كثير من الفجوات بين الصخور بالجبل فظهر كثير من قطع الطمي المتناثرة على جنبات الجبل، وهنا علا وجههم نظره انتصار لمعرفة معلومة قد طمستها السنين من أوراقهم.

تنحى الدكتور عوني جانبا، وقد ابتعد عن الجميع قليلاً ، ثم همس ببعض الكلمات في أذن صديقه فلم يُسمع أحد جاجان ما قاله ، ولم يلتفت إليه أيضا ثم انطلقوا إلى الحديقة ، فقد كان هناك شيء ما يريدون التأكد منه أولا - سار الصديقين بجوار أوعية الزهور والأعشاب يتفقدون أثار الأتربة والأغصان المكسورة التي ملأت فناء الحديقة لم يندهشا من هذا الأمر ، فجميعا يعلمون عدم استطاعة الجنيني التخلص منها منذ أن عزل ملك الظلام الفيلا بسحره عن العالم الحقيقي ، وتم أسرهم داخل عالمه الأسود المظلم و كان من قبل يدفع بها إلى أصدقائه من أهل القرية ليستعملوها وقود لمخابرهم الريفية حتى دنوا من أسوار الحديقة ، وجذب أحد الأغصان المنتشرة حوله ، فتساقطت من أثرها بعض أزهار الياسمين التي انتشر عطرها بالمكان ، ونظرا للصديقين خلف أفرع الأشجار ، فشاهدوا أضواء القرية البسيطة لأول مره منذ أيام تصل اليهم ، فشاهدوها كما هي يتلألأ أنوارها حول سور الحديقة من كل مكان ، فعاد إلى المنضدة التي بجوار حمام السباحة ، وقد اطمئن قلبهما ، فمازال لديهم الريبة والشك فهذا الأحداث لم تنتهى بعد ، ثم نادى على

الخدمة لأعداد القهوة ، فهناك ما يردون معرفته أيضا في تلك الليلة ، وانتظروا معا في الحديقة حول حمام السباحة.

ومضت ساعات الليل الأولى و قد أطبق بستائره ، فانتشر الظلام الدامس يعلو قمم الأشجار ، فاخفى معها ألوان الزهور والوان الأعشاب الخضراء التي انتشرت بالحديقة ، فتوارى جمال ألوانها خلف ظلمته الموحشة إلا ما قد سلط عليه بعض الأضواء الخافتة من مصابيح الإضاءة على الباب الرئيسي للمكان أو بعض أعمده الإنارة الخافتة في أحد الأركان البعيدة وتبادل عوني وميلاد النظر كثير إلى السماء ، وهاهو يظهر من خلف بعض الغيوم الرقيقة المنتشرة بالسماء ، فكانت تحمله برفق مثل الوليد في مهده كان القمر الثاني قد ولد في السماء كما قال جيران أبو محمود ، واطمئن حين شاهده بنفسه ثم عادت دقائق البوابة لحديدية فنظر طويلا ولأول مرة منذ أيام يسعد بهذا الصوت صوت طرقات الأبواب وكأنها يستمع معزوفة لبيتوفن وتمنى أن تدوم بعض الوقت لم تمضى لحظه وجاء أبو محمود يستأذن سيده للذهاب إلى وليمه شيخ المسجد مع جيرانه، و رحل عدة ساعات ليعود بعدها ، وقد وجدهم كما تركهم كم هما حول حمام السباحة ، و ارتفعت أعناقهم إلى أعلى ينظرون شيء ما .. حتى لم يشعروا به فور عودته من الخارج.

هزا الرجلان أعناقهم، الممدودة إلى أعلى ثم أطرق ميلاد وتناول رشفة قهوته التي أمامه وقد أستشعر برود الهواء حولهم، وقال: في أسي يبدو الأمر لم ينتهي بعد، فقال: عوني نعم يبدو الأمر كذلك ويجب أن ينتبه الجميع، ويظل أيضا الكل متيقظا، وخصوصا جاجان. ثم قام لداخل الفيلا حيث حجرة

المكتبة، فكان جاجان متكأ على أحد مقاعدها يتفحص هاتفه لعدد من لصوره مع خطيبته التي أفتقدها بشده.

إقترب جاجان من عمه الذي نادى عليه، ويحذره بشده انه تأكد أن الأمر لم ينتهي بعد، فمازالت حراسه الملكة من طيور البوم تجلس اعلى الأشجار وصباحا سنرى هل سيكون الصقر موجود أيضاً بجوار النافذة أم لا؟ وانطلق مره أخرى لحجره فريدة

كان يوسف قد بدأ يستعيد حيويته السابقة وانطلاقه الأطفال ، فأخذ يجول الحجرة ذهابا وأيبا محدثاً تلك الضوضاء والبهجة الممتعة ، فأعاد بعض السعادة إلى تلك البيت الحزين ، وأيضاً كان ذهاب السحر عن الصغير وعودته مرة أخرى إلى الحياه الطبيعية قد بث بعض الراحة والاطمئنان إلى قلب فريدة الذى أضناها الوجد لغياب ابنتها رضوى ، و أعاد بعض السعادة لسارة التي انطلقت هي الأخرى تلهو خلف الصبى الصغير محاوله إمساكه فأخذ يملص منها يمينا وشمالا ، و أطلق العنان للهو الأطفال قرع عوني غرفة شقيقته برفق فأتاه صوتها بالدخول يسمح له بالانضمام اليهم ، فرق قلبه لشقيقته ولم يشأء ان يؤد بهجتها الان ولكنه ابتسم ، وانطلق مره أخرى إلى المكتبة حيث صديقه وجاجان ليكمل العمل

وقال: هل تفكر فيما أفكر فيه؟ فأجابه ميلاد و قال : نعم فأخذ العلمان يتناقشان في أمر تلك العلامات السوداء الكثيفة المحيطة بالجبل فقام بربط الأحداث والمعلومات السابقة فوصلا إلى استنتاج قد يكون هام وخصوصا بسبب إختفاء ركاب الأتوبيس الإفريقي فقد أوحى لهم تلك العلامات أن هناك قد اندلع صراع دامي ، وأن تلك العلامات قد تعود لملك الظلام في ذلك الوقت ، وأيضاً سجن الأمير ، والذى يقوم على

حراسته جنود الملكة والكاهن الحكيم ، أما العلامات السوداء ، فقد تكون بسبب نزيف ملك الظلام الذى لم يقدر على مقاومه الحراس الأقوياء لجبل الهلاك والسجن الملكي سجن الأمير فهل كان ملك الظلام يحاول الدخول إلى الكهف لمحاولة مساعدته الأمير مرة أخرى ؟ وإن كانت هذه المساعدة تبدو ضعيفة جدا من ذي قبل حيث إنه، فقد قواه السحرية كاملة ولكن يبدو أن لم ييأس بعد وكان لديه شعاع من الأمل قبل ميلاد القمر الثاني عندما تركه الكاهن الحكيم، فكان تحرير الأمير هو الأمل الأخير الذي تبقى لديه لأحياء الفرصة الثانية لعودته مرة أخرى، وأخذ يحاول كثيرا كما يبدو من الصورة المنتشرة بالكثير من السواد أن يدخل الكهف

لسجن الأمير، ولم تستطيع أيضا تلك الفجوات التي تم سدها بالطين حتى لا يسمع الأمير ما يدور بالخارج من الأحداث الجارية، فقد كان الطمي المعد من تربة الأرض والماء هو المادة الوحيدة التي تحجب السمع والأصوات عن الأمير، ويبدو أن المحاولات قد استمرت سنوات طويلة لا يعلم عددها أحد ولكن يبدو أن ملك الظلام لم يصيبه اليأس بعد حتى أنته الفرصة الذي قام باقتناصها، وهى ركاب الأتوبيس الإفريقي، ثم أخذ يتناقشا في الأمر هل يمكن أن يكون ما توصلوا إليه حقيقة أم مجرد استنتاجات منهم؟

رضوى - تلك الشابة برغم حداثة سنّها إلا أنّها تمتلك عقلاً راجحاً ونفساً نقيّة وروح لا تستسلم لأي ضائقة تمرّ بها، فكان اليأس لا يعرف طريقاً إلى قلبها الصغير أبداً، وإن كانت أيضاً قد سجنت في ذلك المكان المخيف ومن يقوم بسجنها تذوّب

منه القلوب رعبا وهلعاً، كانت فكثيراً تفقد وعيها حين النظر إلى وجهه وكثيراً ولكن حاولت إلا تهتاب من أجل دنياها، ومن أجل من تحب، وهو رغم بشاعة صورته التي عليها لم يحاول أن يقوم بإذائها أو ترويعها وإخافتها أبداً، فقد كان يعلم جيداً بأنها قد تكون آخر فرصه له.

حقاً لم يفكر في أسر أحد أفراد العائلة من قبل، وإنها كانت فكرة ملك الظلام الذي لم يرضى عنها حينها، ولكن قد راقته له الفكرة الآن بعد أن فقد مساعده، وبقي وحيداً كما كان من قبل لذلك يحاول أن يسرى عليها ويلبى لها ما تطلب، وإن كانت لا تطلب أي شيء منذ اختطافها ملك الظلام -يحاول أن ييقظها حيه إلا أن يرى ماذا سيكون من أمرها.

أما هي فكانت تعلم جزء من الأسطورة مما قصة لهم خالها، ولكن لم تعلم لماذا وأسرتها قد دخل هذا الصراع الغريب؟ فسألته بخوف واستحياء كانت تخشى كثيراً من رد فعله عن سؤالها ، ولكن اندهشت كثيراً فقد كان يبدو أننا جميعاً في الدنيا نختلف في كثير من الأشياء سواء ذلك الاختلاف كان في ألواننا ، أو عاداتنا ، أو تراثنا أو عقائدنا ، ولكن يبدو أننا جميعاً محملين بالهموم كلاً منا يحمل همه الخاص يحتوى جنبات قلبه على بعض الآلام فنتمنى أن نجد من يشاركنا فيها نتمنى أن نبوح بها ، ونتقاسم خبايا نفوسنا مع احد ما فبعض البوح قد يكون راحة للنفوس المتألّمة - لم تكن تتوقع أن يجيب على سؤالها ، وكأنه تمنى منذ سنوات أن يسأله أحد تمنى أن يبوح بجراح قلبه المدفونة مئات السنين ، حتى أنه قد أجاب على الأسئلة التي لم تكن تخطر على فكرها أن تسألها

نعم هذا ما حدث بالفعل - قالها الأمير الهارب الذي سألته عن باقي الأسطورة أو حكايته التي تحولت إلى أسطورة فقال:- لم يكتفى ملك الظلام عن اللحاق بي داخل السجن الملكي هنا ، واستمر الأمر كثيرا حتى مضت مئات السنين فتغيرت المدن ، وتغيرت الطرق حتى أتت تلك الحافلة على الطريق الذى ولم يخطر على فكر الملكة يوما أن يكون هناك أحد في ذلك المكان القاصي البعيد ، فقام بالدخول إلى إحدى إطارات الحافلة ، فتوقفت في الحال ونزل ركابها وأخذوا يتجولون في الصحراء إلى أن يتم إصلاحها ، وكان بعضهم قد لمح جبل الهلاك لما هو عليه من بقايا حروب الحرس مع ملك الظلام ، وأيضا قطرات الدماء التي أعلى قمته ، فكان شكل الجبل يبدو مختلفا كثيرا كما أن باب الكهف الأحمر مثيراً للربح بعض الشيء ، وهناك من تسكنه الرغبة وحب الاطلاع والمعرفة ، فقاموا بمحاولة دخول الكهف، فتخفى ملك الظلام بينهم في ثنايا ثيابهم وأشياءهم التي كانت معهم ولم يكن هناك أوامر ملكيه لمنع دخولهم إلى الكهف فالأوامر فقط لحمايتي من بنى قومي ، ومنع دخول أي زائرين من عالمي وأيضا طيف ملك الظلام ، وهنا تخبأ ملك الظلام واتخذ صورهم واستطاع الدخول إلى الكهف الذى فشل في دخول من قبل حتى إقترب الجميع من الممرات الملكية فقام بقتلهم ودفنهم في باطن الكهف ، وهنا صرخت رضوى هلعا ، فقال لها كان ذلك منذ سنوات عديدة ، ثم قال لوكان ملك الظلام مازال يمتلك قواه السحرية لفعل أكثر من ذلك ، وأنهى أمر الجميع بطريقه أخرى ، وأتى إلى غرفتي ، وسجنى هنا فأخبرني بأمر قد جعلني أستشيط قهرا ، وحقدا من جديد فقالت رضوى ، وهل وثقت به مرة أخرى منذ سرقه صندوق المعدن ثم قام بمهاجمتك لأخذ

الصندوق ، ثم تركك ليتم القبض عليك ؟ فقال: لا لم أتق به
أبدأ فقد كنت اعلم سابقا أن هناك ما يريد القيام به ، ولكن لم
أفكر أنني من سيكون أول ضحاياه من قبل ، و حين جاء
إلى هنا داخل سجنى مره أخرى فكان الأمر يسير عليه في
الوصل سريعا ، فكثيرا ما دخله من قبل ، فعلم كل زواياه
ومداخله ووصل إلى غرفتي التي يعلمها تماما أخذ يتوسل أن
أغفر له ما قد فعل ، ولم ينتظر رد على توسلاته ثم سرد على
سمعي سريعا قصة الملكة أمي ، وهنا صمت قليلا ، وبرز
على ملامح وجه علامات السخرية والحدق فعدت فكانت
صورته اكثر رعبا مما هي عليه ، فأصبها ذلك بالخوف والهلع
حتى جحظت عينيها من الخوف ، فنظر إليها فطمئننها الأ
تخشى منه شيء ثم أردف قائلا : ليعد إليها هدوها الأ تريدي
أن تعلمي ماذا فعلت أمي بعد أن قامت بسجنى ؟ فقال نعم
ماذا حدث للملكة ؟ قال لقد استعملت الملكة قواها السحرية
العظيمة ، وقامت بإخفاء المملكة عن ناظري حتى أن تمكنت
من الحصول على تعويذة العفو الملكي ، وقام الأمير المخلص
بقراءة العفو لن أستطيع العودة إلى هناك كما لن
أستطيع الحصول على ملكي من جديد قد أكون قد حصلت
على حريتي ، وأيضا قوتي السحرية ولكن ، سأبقى مثل ملك
الظلام تائها في الدنيا أرى العالم يتغير من حولي ، وأظن
أنا لا وطن له ، فحراس الممالك لا يموتون تبقى قواهم السحرية
لحمايه الممالك ، ولذلك ، فقد غفرت لملك الظلام فعلته السابقة
لأنه كان أملى الوحيد بعد كل هذه القرون البعيدة التي مضت
على سجنى هنا حتى أصابني ألياس من عودتي مرة أخرى ،
ولكن لم يكن الأمر هذه المرة كما كنت أريد سابقا من إستعادته

ملكي وحرיתי بل كان الأمر مختلفا تماما ... فقط أردت الإنتقام...الإنتقام فقط من الجميع .

ثم صمت قليلا، وقال: تريدان مزيد من الحكاية؟ فقالت نعم جاءت إلى هنا منذ سنوات بعيدة بعض القبائل الأفريقية ، فسكنت بجوار جبل الهلاك ثم رحل كثيرا منهم ، فقد كانوا يخشون من منظر الجبل المرعب ، وأيضا بعض الأصوات التي كانت تصدر منه أحيانا ولم تصل إلى عيونهم وأسماعهم أن هناك أحداث دائرة ومعارك حامية بين جنود الملكة ، وملك الظلام حول ، وعلى جبل الهلاك ولكن بفعل السحر لا تصل إلى أسماعهم إلا كأصوات مخيفة ورحل الجميع ، وبقيت فقط قبيله من القبائل كان لهذا القبيلة زعيم تهابه حتى الحيوانات المفترسة ، فكان سبب لبث القوة ، و زوال الخوف بين أبناء قبيلته حتى أن الأصوات التي كانت ترعب بعض القبائل لم يخشاها يوما حتى كان في يوم من الأيام جاء شعبانا ضخما يهدد أطفال القبيلة فقام بمطارده ففر الثعبان حتى دخل الكهف الأحمر ، فدخل ورائه حاملا مشعلا يتبعه بعض أفراد قبيلته إلى أن اقترب الثعبان من ممر السجن الملكي الذي لم يصل إليه أحد من القبيلة من قبل فكثيرا ما دخلوا هذا الكهف ، ولكن لم يصل احدهم إلى هنا ثم نظر الجميع إلى الثعبان الذي مات بدون أن يمسه احد ، وذلك بسبب الطلاسمة والتعويذة السحرية الحافظة المكتوبة على جدران الممر الملكي بالإضافة إلى أشياء أخرى منها منع أي شيء من الإقتراب من الممر والسجن الملكي عدا البشر الذي لم يخطر على تفكير الملكة أنه قد يصل أحدهم يوما ما إلى هنا حيث الصحراء المهلكة من أبعد ما تكون عن الحياه ، ثم إنتبه الجميع لذلك، وقاموا بمتابعة السير لذلك الممر العجيب ، ونظروا لتلك

الطلاسم المنتشرة حولهم فتقدموا ببطيء وريبه يتقدمهم زعيم القبيلة حتى دخلوا إلى حجره السجن ، فكنت أراهم ولم يستطيع أحدا منهم أن يراني.

فاندھش الجميع وأخذوا يجبون الحجرة التي لم يكن بها أي شيء سوى الطلاسم السحرية على الحوائط من كل جانب هكذا كانوا ظنهم، حتى وجد زعيمهم الصندوق في إحدى فجوات الحائط، وقد ظهر منه جزء قليلا.

فقام بنزعه ، وانطلق مهللا معتقدا أن بهذا الصندوق كنز من الجواهر الثمينة ، ولكن لم يكن به إلا وثيقه المحكمة، وأصدر الحكم وقام الرجل بأخذ الصندوق ، فكان أول من حمل السر ، وأيضا قبيلته ، وأصبح السر متوارث في تلك القبيلة ، ولم يستطيع أحدا منهم مغادره المكان بجوار جبل الهلاك حيث مكان الصندوق ، إلى يوم أن دخل ملك الظلام الكهف وقتل ركاب الأتوبيس ، وإخفاء الآخرين بدفنهم في الصحراء بعيدا خلف الجبل ، وهنا تداول الأمر وتم غلق المكان كما قد حكى لك خالك عن تلك الأحداث حتى جاء خالك إلى هنا فكنت ادفعه دفعا إلى أن يصل إلى الممر، والسجن الملكي كي يعثر على الصندوق الآخر ، فهذا الصندوق هو الأهم عندي حيث به تعويذه العفو الملكي ، وهاهو قد أخذها خالك ثم قالت ولكن لماذا قد أخترت خالي ، ولم تختر أحدا من أفراد البعثة حيث هنا وطنهم بجوار الجبل؟ فردا قائلا: كان لابد أن يكون حامل الصندوق أحدا لا يسكن بالصحراء، فحراسة الملكة والكاهن ليس بجوار الجبل فقط ، ولكنها تقوم بحراسه أجزاء كبيرة من الصحراء أيضا ، ولكن تتدرج الحراسة حسب أهميتها وكانت حماية الجبل والكهف الأحمر وخصوصا لصندوق وثيقه العفو

هي الأهم ، فقالت : أتقصد أن الصندوق الذى به حكم المحكمة ، وأخذه زعيم القبيلة الإفريقي كان تحت حراسه الملكة ؟ وهل القبيلة التي بها الصندوق أيضا تحت حراستها؟ فقال لا بل الصندوق فقط ، وكل ما بالصحراء ، ولكن عندما تم وضعه معهم بجوار الجبل لم يستطع أحدا منهم الرحيل من المكان بعد الآن فقد كانوا هم الحراس الجدد للصندوق لأنهم من قاموا بنزعه من مكان ، وأخذه أيضا ، فقالت : وماذا حدث بعد ذلك ؟ ، فقال : أخذ خالك الصندوق الآخر ، وكان لابد من إخراج الصندوق الآخر الذى مع القبيلة الأفريقية لخارج الصحراء ليجتمع الصندوقين معا في نفس المكان كما كانا هنا من قبل وهنا أتت مهمة ملك الظلام حيث قد وسوس للفتى الإفريقي ، وأقنعه للعمل لدى أفراد البعثة الإفريقية ، ثم كان الأمر كما تعلمي سابقا حتى أجمع الصندوقان في صندوق واحد ، وقد رحل خالك وأخذهما بعيداً عن الصحراء ، وبعيدا عن جبل الهلاك عائدا إلى بلاده ، وبقيت هنا انتظر ماذا سيكون من أمر ملك الظلام ؟ فانتظرنا كثيرا كل مولود بأسره خالك سنوات وسنوات حيث لم يكن للرجل أبناء ، فقد كان يخشى أن يموت ويتوارث أبنائه السر الرهيب وقد لا يكون على قدر حمل هذا السر ، ففضل الرجل ألا يبقى بلا زوجة وبلا أبناء ليحفظ السر ، وأيضا ليقوم بحمايه أفراد أسرته من الذكور فمنهم سيكون الأمير المخلص ، حتى جاءني ملك الظلام يوما وقد أصابه الهلع ، فقال لي أن الفتى قد إقترب سنوات عمره أن تصل إلى العشرون فهل نتركه حتي يكملها لنتظر مائه عام أخرى لنعيد الأمر من جديد ، ونقوم بالبحث عن أمير آخر لقراءة التعويذة ، وهنا قد دارت بي الدوائر وكان الأمر قد اختلف عن ذي قبل فلم أعد هذه المرة

أستطيع الانتظار أو الصمود كما كان من قبل فكنت انظر
لتلك الأغلال والسلاسل الحديدية فكنت أود التخلص منها
سريعاً كي أستطيع الانتقام ، ففمت بعمل خطه ، وقام ملك
الظلام بتنفيذها ، فقالت : كيف ، قال : لقد سرق ملك الظلام
مفتاح خالك لتلك الحجرة التي يدعوها الحجرة الممنوعة ثم
راقب الفتى الأمير المخلص ابن خالك حتى حانت
اللحظة ، فقام بوضع المفتاح أمامه مباشرة. ووسوس له كثيرا
حتى قام بإنهاء الأمر وقام بفتح الحجرة ثم اخذ الصندوق، وهنا
تم النداء واستدعائي حين قام بفتح المخطوطة وتعيوذه العفو،
وإن لم يكن يعلم ما بها، وبعد ذلك ما تعلمينه من الأمر، ولكن
كان بالأمر شيء آخر لم يكن يعلمه، فهناك من يحاول جاهدا
منعه من الحصول على العفو الملكي، فلماذا؟

الفصل العاشر

أنهي حديثه معها فكادت الأرض أن تميد تحت قدميها، وكاد قلبها ينخلع رعباً مع ذلك المخلوق الذي تحاوره، ولكنها تشعر أحياناً أنه يعينها على وحشة هذا المكان المرعب، وان كان هو أشد رعباً من هذا المكان.

ثم أشاح بوجهه إلى حائط الغرفة وقد انطوى على كثير من الألم الذي لا يحس به سواه، وما يشتعل في فؤاده فامتزجت نظرات الحزن بنظرات الحقد في عينيه، وظهر إحساسه بالكراهية، العجز على وجهه، وأخذ يفكر كيف يمكنه العودة مرة أخرى إلى الفيلا حيث الفتى الأمير المخلص. كم أراد أن ينتهي هذا الأمر سريعاً؛ فلم يبق سوى شهور قليلة ليبلغ الفتى العشرون من العمر، وإذا بقي الأمر إلى هذا اليوم فلن يستطيع العودة مرة أخرى إلا بعد مائة عام كما تنص بنود التعويذة. فكيف يمكنه وضع خطة لإجبار الفتى على المثول معه بعض الوقت دون تدخل أحد سواء من أسرته أو من جنود الملكة والكاهن؟ وكيف له أن ينجز هذا الأمر سريعاً؟ وهنا توقف قليلاً وقد انتبه إلى شيء ما؛ يحدث منذ مدة ولم ينتبه له. نعم فكيف ذلك؟ وسأل نفسه لماذا تقاومه الملكة بجنودها وأيضاً الكاهن الحكيم؟

ولماذا يفعلون ذلك؟ كي لا يستطيع أن يحصل على العفو الملكي. وقال لنفسه: لقد وضعت هذا العفو ووضعت معه بعض الشروط القاسية حتى أصبح الأمر مستحيلاً، وقد مضى كثيراً من مئات السنين حتى فقدت الأمل لذلك.

والآن وقد تم كل شيء حسب الشروط الموضوعه، والتي هم من قاما بوضعها ... فلماذا يتم منعي ومقاومتي؟ و من إنجاز أمرى والحصول على العفو الملكي؟ لماذا يمنعان ذلك ويحاولان عودتي مرة أخرى إلى السجن الملكي؟ لماذا؟

وهنا قد استعرق في تفكير عميق حتى نسي وجود الفتاة بالقرب منه، فأنصرف دون أن يتكلم معها كعادته، أو أن يسألها أتريد شيء كما كان يفعل دائما منذ أسرها؟ ولكنه انطلق.

نعم، يجب أن أعلم ماذا يدور؟ قالها وقد اتخذ قراره في مراقبة الملكة والكاهن الحكيم. وانطلق يجوب الصحراء بالقرب من الجبل الأحمر، عله يرى ما يرشده على بدأيه الطريق وكيف يصل إلى الملكة التي قامت بإخفاء المملكة عن عينيه حتى لا يصل إليها أبدا حتى وإن نال عفوهم الملكي. كما قال له ملك الظلام قبل أن يصبح طيف أسود هائم في ظلام الدنيا. وهل حقا ما قال ... غداً سأعرف ذلك وغدا سألقى عدوى لها أنا مستعدا له وسألقنه ما يستحق.

وأخذ يجوب الصحراء وأعالي الجبال؛ عله يرى من أمر مملكته شيء. فمازال يتذكر أنوارها الساطعة وأسوارها القوية ومكانه في الركن الرابع من الجهات الأربعة التي كان يقوم، وأخذت الأسئلة تدور مرة أخرى بعقله. إذا كانت لا تريد أن أنال في يوما ما العفو الملكي فلماذا قد قامت بكتابته أيضا؟ وإذا كان الكاهن يرى أن ما تفعله حقا ويساعدها على ذلك. لماذا تدخل اثناء المحكمة ولم يترك ما قد حكم به القاضي؟ وهو أن أسجن هناك بسجن الظلام إلى الأبد ويكون الأمر قد انتهى، هناك شيء يجب أن أعرفه لابد أن يكون في الأمر شيء ما، وهنا تذكر أيضا الحيلة التي كان يستعملها ملك الظلام وهي التخفي

في أحد الأشياء للدخول إلى الأماكن الممنوعة ... فراقته له
الفكرة وقرر أن يستعين بها في مراقبة الملكة وجندها؛ حتى
يتمكن من معرفة مكان المملكة ثم يقوم بمراقبة الملكة والكاهن.
وسنرى ما يكون قد حدث هناك منذ تلك السنوات البعيدة ...

ظهرت خيوط الصباح الرمادية، فانطلقت طيور البوم المنتشرة
داخل حديقة الفيلا، أعلى أغصان الأشجار وحول المكان؛
وتصل فرقة الحراسة الصباحية بقياده الصقر وجنود الكاهن
الحكيم. فأخذ يتربص الأمر عن كثب حتى انتهى الجميع من
تبادل المواقع للحراسة، فأنتظر حتى رحيل آخر جند من طيور
البوم بعيدا عن أسوار الفيلا، وانطلق الجميع أعلى السماء
الشاسعة فانقض على آخر طائر بنهاية، وقام سريعا بقتله
واستعمل حيلة ملك الظلام وتخفى في هيئته، واتبع باقي الجند
حتى اقترب من أبواب المملكة المخفية. فنادى كبير الجند
كلمة سحرية كانت هي كلمة السر لعبور الحاجر السحري
للدخول. فانقضت صورة لضباب ابيض كثيف المظهر أخذ
ينسحب ببطء إلى أعلى، وظهرت معالم المملكة كما هي،
وكما يعلمها أيضا لم يتغير مكانها ولم يتغير بها شيء كانت
الملكة قد أخفتها بغطاء من الضباب والغمام، فأصبحت لا
ترى أين هي؟ فكان الناظر إليها لا يرى سوى ضباب كثيف
يملا المكان، وفوقه غمامة كبيرة مظلمة. كانت تلك الغمامة
هي علامة المكان لدخول للجند وخروجه. ودخل الجميع حتى
اقترب من القصر الملكي فدخل بعضهم وانتشر البعض الآخر
في جنبات المملكة كالعادة منذ القدم. فلم ينتبه أحدا إلى
اختفاء أي من منهم -

انطفأت الأنوار، وبقي شعاع من ضوء خافت ينير الجناح الملكي، فحجب من بالداخل إلا من بقايا طيف ضعيف

قد شاهده من بعيداً كان يبدو خلف ستائر النافذة المنسدلة للجناح الملكية، والتي أخذت تتراقص مع نسيمات هواء الليل الباردة. فكانت تتطاير قليلاً إلى الداخل والخارج لتظهر قليلاً من الغرفة، وكان يعلم من تكون ها هو طيفها يجوب الحجرة ذهاباً وإياباً، وقد ارتدت ملابس النوم الحريرية الفضفاضة والتي انسدت أطرافها إلى ما بعد قدميها، فكانت مثل ملكات الأساطير ببهائها.

ثم تطايرت ستائر الغرفة بفعل الهواء الليلي فشهد وجهها وقد بدا عليه كثيراً من الغضب. كان يعلم تماماً من صاحبة الغرفة الملكية فمن سواها يمكنه الدخول إلى هناك حتى الخدم ممنوع عليهم منعا باتاً الاقتراب من الجناح الملكي، حتى نحن كنا ممنوعين من الاقتراب منة في أوقات كثيرة. وإن كنا نجهل السبب ولم يسأل أيًا منا عن ذلك الأمر...

لم يكن مسموح إلا لخدمة واحدة فقط من الإقتراب من حجرة الملكة، والقيام على خدمتها الشخصية والتي كانت تتلقى أوامرها المباشرة من الكاهن، وليس من كبير الخدم كما هو متبع في قوانين القصر وكانت الوصيعة الشخصية للملكة.

أخذت الملكة تجوب الحجرة في عصبية شديدة لا تخفى عن يراها قريباً كان أو بعيداً... وإن كان يراقبها أعلى إحدى بنايات القصر في مواجهة حجرتها تماماً متخفياً في طائر البوم التي كانت تعلم تماماً إنها من جندها السرين المنتشرين بالمملكة. حيث كان لكل طيورها علامة مميزة قد وضعتها حول عينيه.

فاخذ يتقرب ويستمع بدقه ويشاهد بعيون البوم التي ترى كل شيء من كل الزوايا حتى وإن كان ذلك في الظلام الشديد. فقال لنفسه: يجب أن أعلم بعض الأسرار قبل أن أعود للأمير المخلص مرة أخرى ... ولكن ترى ماذا يدور هناك؟!!

فتح باب الحجرة الملكية، فدخلت الوصيفة تحمل كأسين من العصير وضعتهما برفق أمام الملكة، وهي مطرقة بعينها إلى أسفل الأرض في صمت تام حتى انتهت فتراجعت للخلف. وقامت بفتح باب الحجرة وكانت الملكة في ذلك الوقت مستديرة، فابتسمت الوصيفة ابتسامه خفيفة ونظرة غريبة ثم أغلقت الباب خلفها فسأل نفسه: ترى لماذا تبتسم تلك المرأة ولمن كانت تبتسم؟ ومع من تكون الملكة في غرفتها في ذلك الوقت المتأخر، وأيضا بملابس نومها الخاصة ترى أياكون معها أمير الجيوش؟! نعم فقد يكون هو، ثم سأل نفسه مرة أخرى. فلماذا ابتسمت المرأة له اثناء خروجها خلف ظهر الملكة ...؟ أياكون هناك شيء خاص بينه وبين وصيفة الملكة؟

تناولت الملكة مشروبها، فأخذت تتجرعه دفعة واحدة، وكأنها تشرب كوبا من الماء البارد كانت تحاول أن ترطب غصة قد أصابت حلقها ... ثم قدمت الكوب الآخر لمن كان أمامها، والذي كان محجوبا عن مرمى البصر فلم يظهر منه شيئا حتى يده حين امتدت لتتناول الكأس من الملكة لم يظهر لها أثر. ثم نظرت اليه في دهشة وكأنه يتحدث معها وتستمع له، ثم صرخت عاليا حتى إن دوى صرختها كان واضحا مسموعا له ألا يكفي؟ ألا يكفي؟

متى سينتهي ذلك؟ ...متى؟ ثم القت بكأسها بعصبية بالغة في أحد أركان الحجرة، ليتشم محدثا صوتا قويا. اندفعت الخادمة

على أثره إلى الحجرة الملكية مره أخرى دون أذن. فنظرت لها الملكة التي كانت في قمة غضبها، فنهرتها لتذهب بعيداً وأغلقت الباب مسرعة في رعبا وخوف وتكمل الملكة حديثها الغاضب مع ذلك المرء الحاضر بغرفتها ذلك الوقت فقالت له: لقد فعلت لك الكثير ويكفي ما فعلته إلى الآن ... وأخذت تصرخ حتى كادت أن تسقط، وأؤمرك بسحب جنودك فوراً ويكفي ما حدث، وهنا تيقن إنها تتحدث مع أخيه أمير الجيوش ... ولكن هل حقا كانت من تتحدث معه أمير الجيوش،

تأخر الوقت، ومضى كثيراً من الليل، والملكة لم تطفئ مصابيح حجرتها، ولم تخلد إلى النوم كعادتها في هذا الوقت المتأخر. كما يتذكر منذ زمن بعيد قبل أن تلقى به في سجن جبل الهلاك، فمازالت مستيقظة تجادل الجالس بحجرتها في هذا الوقت، متواريا عن أنظاره فلا يعلم من يكون؟

نظر إلى أسفل فكان المكان يبدو خاليا تماماً من المارة في طرقات المدينة، وأيضاً حول القصر الملكي إلا من دوريات الجند الذي تجوب حوله في انتظام. فاعتدل قليلاً ليعود إلى مراقبة الحجرة الملكية وما يدور بها، فقد يكابد ثورة في قلبه وفي نفسه فلم يعد يحتمل العودة إلى خارج المملكة بدون أن يعلم السر الذي جاء إلى هنا من أجله وليعلم أيضاً من يكون بداخل جناح الملكة. فأخذ يستمع ويراقب بعينين قلفتين حائرتين، وقد أخذت الأفكار تدور في عقله ترى هل سيتعرض لصدمة أخرى وأي مفاجأة سيكابدها قلبه من جديد هذا المساء؟ ... ولم يكن يدور بخلده أن يرى أسوأ ما يمكن أن يتحملة كما تحمل من قبل.

فاضطرب صدره وخفق قلبه، منتظرا من يكون الجالس هناك ...
ولكن هل يمكن أن يكون أخوه وماذا يمكنه أن يفعل إن كان هو
بالفعل من يجلس مع الملكة؟ - فبدا عليه عدم الارتياح من تلك
الأفكار التي تدور في نفسه، ولكن ظل متماسكا ساكنا في مكانه
في هدوء تام؛ كي لا يلفت الأنظار إليه من جند الملكة المنتشرين
في الأرض والفضاء. كانت الملكة قد اقتربت من الجالس
بجرتها فكان كمن اقترب منها فدفعته، وقالت في غضب ابتعد
عني. ثم نظرت إليه وقالت تكلم. وساد على المكان دقائق من
الصمت فقد كانت تستمع إليه ولكنها قاطعته قبل أن ينهى
حديثه، واستبد بها الغضب أقصاه ثم قالت كيف تجرؤ على قول
ذلك. أنسيت من أكون والأمر الأول والأخير لي أنا؟ ...

لم يكن الحوار الذي يسمعه بعيدا ذات شأن هام كما يرى. فكان
على يقين إنها تتحدث إلى أمير الجيوش، ولكن فجأة اضطرب
صدره وخفق قلبه، وكاد أن يسقط من أعلى تلك البناية التي
يجلس عليها عاليا؛ عندما انتبه إلى سماعه أصوات صهيل الخيل
الذي يجر تلك العربة الملكية، فتعالت الحركة واصطف الجند
في وضع رسمي، لتقترب العربة من بوابة القصر الرئيسية فتفتح
لها البوابة، لتنتقل إلى داخل البهو الكبير مخترقة المساحات
الخضراء من الحديقة المحيطة بالقصر قبل أن تصل إلى بوابة
القصر الداخلية. تحيطها عدد كبير من الجند، وقد اتخذوا
مواقعهم في صورة رسمية إلى أن وقفت الخيول ووقفت عجلات
العربة؛ ليتقدم أحد الجند بفتح باب المقصورة في اهتمام بالغ
لينزل منها قائدهم الكبير أمير الجيوش متجها إلى داخل القصر
حيث جناحه الملكي

كانت قد استتدت استنادا كاملا إلى حائط الغرفة وكانت الدموع تسيل على وجهها، وقالت بعض الكلمات في همس وأسى لم تستطع أن تصل إلى سمعه. ثم قالت بصوت أعلى قليلا متوجهة بالحديث لمن معها. ألا تستطيع أن تعرف ذلك الشعور؟ وكيف لك أن تعرفه...؟! هل كنت أبا في يوم من الأيام؟ لم أكن أتخيل يوما إنك تحمل قلبا أعمى. اذهب. سأصلى من أجلك ... وهنا قد قام الجالس هناك، وقد ظهر ظله قليلا حتى قد وضح تماما وامسك بمقبض باب الغرفة ونظر إليها في شيء من الحزن، وهما أن يذهب ثم لم يلبث أن عاود النظر إليها ومازالت تزرف الدمع ولم تنتظر إليه. فكان يود أن يقول شيء ثم تراجع كالذي انفجر داخله بركان من العذاب والألم. فنظر لها ثم نظر إلى الأرض في أسى وقبض على مقبض الحجرة فأداره، وخرج مسرعا كأنه يهرب منها أو يهرب من نفسه الذي ذهبت منذ حين

خرج الكاهن الحكيم مسرعا من حجرتها. مسرعا إلى آخر ممرات الجناح الملكي في خطى سريعة ووجهه مضطرب تعلوه سمات الغضب والأسى. فطار قليلا وغير وجهته ليرى الممر الملكي بالكامل من أعلى ويرى ماذا يكون من أمر الكاهن الذي صعقته المفاجأة حين شاهده ولم يكن يتوقع أن يكون هو ولكن يبدو إنها ليلة المفاجآت!

اندفع الكاهن داخل إحدى الغرف الصغيرة في نهاية الممر. حيث كانت تلك الغرفة لوصيفة الملكة الشخصية والتي لا يدخل جناح الملكة سواها من الخدم. كما كانت تتخذ أوامرها من الكاهن مباشرة دون أوامر كبير الخدم كما هو متبع في قوانين القصر.

استقبلته الوصيفة في عناية واهتمام بالغين وإن كان مازال متوترا. فقام بوضع الصولجان الذي بيده في أحد أركان الغرفة ثم جلس مسترخيا على إحدى المقاعد الواسعة بداخل الغرفة التي كانت مختلفة عن غرف الخدم. فكانت حجرة فاخرة تحتوي على الأثاث الفاخر الأنيق، وإن كان لم يتسن له رؤيتها من قبل عن قرب كما يراها الآن. أيضا كانت صاحبة الغرفة تتمتع بكثير من الجمال الفتى، ولا أحد يعلم من أين أتت تلك الوصيفة. فقد كان الأمر متروك للكاهن فأتى بها إلى الجناح الملكي، ولم يهتم أحد بالأمر لثقة الكل بالكاهن الكبير كبير الكهنة والحكماء .

أخذ الكاهن يحدث الوصيفة في صورة ودودة ثم أخذ يلوح بيده بعض الشيء، وهي تصغى إليه في اهتمام بالغ. يعلو وجهها الحيرة في كثير من الأحيان، وأحيانا تعلوه ابتسامة باهتة لتخفف بعض التوتر لدى الكاهن إلى أن أنهى حديثه، وهم بالانصراف. هنا كاد أن يسقط مرة أخرى من الدهشة لما رأى فقد أحاطته الوصيفة بسواعدها وقبلته في وجنتيه ثم أحاطت عنقه مره أخرى... أما الكاهن فلم يعترض على ذلك الفعل أغريب بل ابتسم لها ... ورحل....

كان في ذلك الوقت ممنوع على الكهنة ورجال الدين في جميع الممالك الزواج، وعليهم البقاء كذلك إلى الأبد.

وهذا الأمر غريبا لم يعرف له سببا. إلا أنه استمر حسب العادات التي كانت تروى فالكاهن ورجل الدين يجب أن يكون بعيدا عن كل الغرائز التي يمكن للزواج أن يغير من ميوله ومزاجه كما

يحدث مع المتزوجين، وهذا الأمر لم يكن مقبولاً، والذي يمكن أن يؤثر على إقامة العدل والحق. ويحديه عن واجبه المقدس، وإن لم يكن الجميع يوافقون على هذا الرأي ولكن استمر الحال على ما هو عليه إلى الآن.

وكان كثير الوقت حاول فيها أن يعدل الكاهن الحكيم تلك العادة المتوارثة ويعدل القوانين ويسمح للكهنة بالزواج وبناء أسرهم. فقد كان كبير الكهنة لأقوى الممالك وإن يبدأ من هنا تغير هذا القانون المجحف؛ وبعدها سيتبعه الآخرين وسينتهجون طريقه ... لكن عند مناقشه هذا الأمر يبقى شاردا ويظل صامتا ولا يجيب، فهل كان يدرس الفكرة أولاً، ولو أنه أقدم على هذا الفعل يكون قد خرق القوانين الملكية الذي سيفقد بعدها كل صلاحيته العظيمة. ويواجه المحاكمة، وقد ينفي إلى سجن الظلام. ترى هل كانت الملكة ستوافق على ذلك؟ كان الأمر يحتاج إلى الكثير من الأشياء قبل الإقدام على تلك الخطوة التي قد تكلفه شرفه الوظيفي كله ووضعها الاجتماعي فتغير القوانين محال أن توافق عليه الملكة كما انه من المستحيل التحدث بشأنه ...

فأخذ يتساءل حين تذكر ذلك الأمر. ورأى مارأي بحجرة الوصيفة فاخذ يتساءل. هل اتخذها الكاهن عشيقه دون علم الملكة؟ وماهي العلاقة بينه وبين تلك المرأة؟

كان الفجر قد اقترب فأطفأت الملكة مصباح غرفتها، واستلقت بفراشها. ترى هل اسبلت جفونها أم ما زالت يقظة لم يغمض لها جفن كما ظل هو أعلى البناية يراقب سكان القصر الملكي

انطلق الكاهن في ذلك الوقت المتأخر من الليل داخل إحدى الممرات لأسفل طابق الملكة، وقد تسارعت خطواته إلا أن هناك يدا قد قامت بسحبه وبشدة في عنف تام إلى داخل إحدى غرف هذا الممر ثم اغلق الباب ورائه بشدة وعنف

في تلك اللحظة أيضا قد أدركت أن هنا يكمن السر الذي أبحث عنه، فقال: يجب على أن أعرف واسمع ما يدور داخل هذه الغرفة الخطيرة. وفي تلك اللحظة فقط كنت أمنح نفسي الإذن بأن أباشر بكل ما أملكه من بعض قوتي السحرية لمعرفة ذلك الأمر الذي يدور منذ أول الليل وحتى ذلك الوقت المتأخر بين سرادقات وغرف القصر الملكي. كما ينبغي أن أكون طبيعيا إلى أقصى درجة في صورة جند الملكة الذي أتخفى به من طائر البوم، والذي اتخذته لهذا الغرض، فإن ربحت في معرفة ما يدور، فقد يكون ربحت شيئا هاما. أنا هنا تلك الليلة لأرى كيف سينيتهي الأمر ثم أرى من أمر ذلك الفتى بعد ذلك فما زال هناك بعض الشهور حتى يكمل عامه لعشرين قبل أن تضيع فرصة النجاة إلى مائه عام أخرى مقبلة،

تقدم كثيراً من نافذة الغرفة، فاتخذ بعض الأشجار القريبة من نافذتها مجلسا له، وتوارى خلال أغصانها بعيدا عن الأنظار، فقد كان حذر كل الحذر ألا يلفت إليه أنظار جند الملكة في الأرض أو السماء، كما كان شديد الحرص ألا يراه الكاهن الحكيم من خلال النافذة، والتي كان سيعرفه فوراً إذا نظر إلى عينيه بفضل قواه السحرية العظيمة التي يعلم بها من يكون الذي أمامه حتى وإن كان متخفيا في أي صورة أخرى. اقترب كثيرا فكان يستطيع أن يسمع، ويشاهد ما يدور في تلك الحجرة

الغريبة التي لا يبدو عليها الفخامة كباقي حجرات القصر الملكي ... ثم تذكر إنها تتبع الحجرات الخاصة بالأمير التي اتخذها مستودعا لبعض الأشياء الخاصة به، فكان لا يقربها أحد كما أنه فقط من يحمل مفاتيحها الخاصة. فلم يعلم أحد ما بها؟ أو متى يدخلها أيضا؟ وها هو قد اطرق السمع والبصر من خلال النافذة المفتوحة، والتي كانت أسفل غرفه الملكة بالجناح الملكي. حيث كانت جناح الملكة بأعلى طابق من طوابق القصر كي تستطيع الملكة أن ترى كل المملكة وأسوارها المحيطة من خلال النظر من نافذتها إلى حيث الفضاء الفسيح.

وترقب ليشاهد ويسمع فقد أصبح الأمر مثيرا للاهتمام، ثم رأى اليد التي قامت بجذب الكاهن إلى داخل تلك الغرفة، ثم اطرق السمع لتلك الأصوات التي كانت تتشاحن بعضها بعض، وقد ارتفعت أصواتهما فبدا بالقرب من النافذة الكاهن الذي فكان مضطربا للغاية. واتخذ مجلسا بالقرب من النافذة في مواجهة شخصا ما؟ قد بدا ظله واضحا. فكان يلاحقه بكثير من الأسئلة بصورة مرهقة حتى اتكأ الكاهن بكلتا يديه على عصا الصولجان الذي يحمله واطرق ببصره إلى الأرض في حيرة فقال صاحب الظل في سخرية واستهزاء: مرحبا أيها الكاهن إلى أين كنت ذاهبا؟ ألم تعلم إنني انتظرك منذ وقت طويل؟ حتى نفذ صبري فأتيت إلى هنا كي أعلم لماذا تأخرت؟ وماذا فعلت فيما قد طلبت منك؟ ولماذا لم ينته الأمر إلى الآن؟ ثم أطلق ضحكة ساخرة وقال: هيا تكلم يا كاهن القلوب ... وعاود ضحكته الساخرة مرة أخرى -

وهنا علم من يكون صاحب الظل، وتأكد أكثر حين بدأ بالحديث مع الكاهن. حقا لم يشاهده إلى الآن واضحا، ولكنه أيقين أنه أخيه. أمير الجيوش ... وكيف له أن ينسى ذلك الصوت المتغطرس !! وكيف ينسى حتى ظله !!

ونظر ببيغض، وكان بالكاهن لايزال جالسا فتساءل في نفسه كيف له أن يتحدث مع الكاهن الذي يحمل تلك الرتبة الرفيعة بالمملكة هكذا، وكيف يسمح له الكاهن بأن يتعامل معه بتلك الطريقة البغيضة في الحوار.

بل ظل شاردا ولم يجب على أي سؤال مما طرحها عليه، وبدا عليه الإجهاد واضحا. ونظر إليه وقال بقوة. يامولاي، إنك لتقتلها قتلا معنويا شديدا. ألا ترى أن ذلك يكفي؟

ولم يكمل الكاهن حديثه بعد، فصرخ صاحب الظل الذي اقترب منه بشده حتى أصبح ملاصقا له وقد يملأ عينه الحقد والسخط، وقال بصوت هادئ قليلاً كان أشبه بصوت الحمم المنسدلة في هدوء قبل أن ينفجر بركانها فيأتي على الأخضر واليابس.

- أترى يا كاهن القلوب أن ذلك يكفي؟ إذا فأنت لم تنتهي المهمة بعد! وأخذ يصرخ كيف؟ كيف لم تتهيأ إلى الآن؟ ... لقد كنت متسامحا معك كثيرا من ذي قبل، ولكن أما أن ينتهي كل شيء هذه الليلة فلن ينتصف عليك صباح الغد إلا وأكون قد دبرت امرى دون وجودك.

وهنا هب الكاهن واقفاً واستشاط غضبا وقال:

-أبعد كل ما قدمت من خدمات وتنازلات لك ألم تكنفى بعد؟ وأيضا تقوم بتهديدي أيها الأمير.

- وبكل قسوة وكل غضب قال: أهددك أنك لم تر شيء من بعد من تهديدي أيها الكاهن.

- وهنا قاطعه الكاهن قائلاً: بكثير من الهدوء والصبر.

يامولاي، أعلم أن المرء في وسعه أن يقتل في خفية وهدوء حتى أقرب المقربين إليه ليصل إلى هدف ما، وقد يكون ذلك في شيء من الخجل بينه وبين نفسه. فإذا وصل لما يريد كان بدا له أن يتروى كثيراً في إعادة الكرة فإذا فعلها أصبح يتعطش أكثر وأكثر لكثير من السلطة، فإذا وصل إلى درجة عدم الاكتفاء باع نفسه إلى الشيطان مقابل شهواته ثم باع نفسه للشيطان مقابل لا شيء.

قال ساخراً: أبيع نفسي للشيطان مقابل شهواتي! أما أنت أيها الكاهن يا رجل الدين والعدالة فلن تباع نفسك؟ وضحك في استهزاء وقال هل تبيعها إلى العشق والهوى؟

ثم قال مرة أخرى دعك بما تلقيه على أسماع العامة، وأجيني ماذا قلت لها هناك؟ وبماذا اجبتك؟ وإلى أي مدى قد انتهى الأمر بينكم؟ هيا تكلم، -تحدث سريعاً فلم أعد أستطع الانتظار أكثر من ذلك ولم يتبق كثيراً من الوقت كما تعلم سوى القليل لهذا الفتى الذي لم تستطع تدارك أمره، أو رهبته قبل أن يقوم بما قام به هناك داخل الحجرة السرية سوى بعض الكلمات التي لا تخيف حتى حشرات الأرض. ترى أين كانت قواك السحرية؟ لماذا لم تستعملها لإرهاب الفتى؟ كان يجب أن أعاقبك على ذلك، وأنتك لتعلم كيف هو عقابي أيها الكاهن الوسيم ثم ضحك ساخراً وقال: ألا نقول لك محبوبتك أيها الكاهن الوسيم، ونظر إليه ساخراً واقترب منه إلى أن أصبح ملاصقاً لوجهه ونظر في عينيه فاطرق الكاهن إلى أسفل، ووجهه تعلوه سمات الغضب، ولكن لم يتكلم وظل صامتاً. فقال: تحدث قبل أن ينفذ جلدي معك.

كان هناك يرى ويسمع ما يدور واتسعت عينيه وكان يفكر في
أمرا آخر. ترى لو لم ينتهي الأمر هذه الليلة وظهر الفجر،
حينذاك ستقوم الملكة بتغيير جنودها من طيور البوم إلى جند
النهار من جند الكاهن من الصقور، فماذا هو فاعل حينئذ؟ يجب
عليه أن يعلم ما هي القصة كاملة. يبدو أن هناك الكثير من
الأمر قد حدثت منذ سجنه في الكهف الأحمر بجبل الهلاك، و
ها هي كل هواجسه تتراءى أمام عينيه، ويسمع بأذنيه كثير من
حقيقتها التي أصبحت واضحة الآن كوضوح الشمس، ولكن لم
يكن يتخيل يوما أن الأمر بهذه البشاعة.

ثم انتبه إلى الحديث مرة أخرى، وقد رأى الكاهن الذي بدا له أن
استسلم لأوامر أمير الجيوش، فكانت تلك المرة الأولى الذي يراه
منهزما مكسورا هكذا فسأل نفسه: ترى من تكون محبوبية
الكاهن؟ وماذا يقصد بذلك أمير الجيوش؟ هل يقصد الملكة أم
يقصد المرأة التي رآه بحجرتها؟

ثم انتبه إلى أن الكاهن قد تحدث أخيرا فقال:

-ليس لدى ما أقوله الآن، وليس لدى أي رغبة في الكلام حاليا،
وسوف أراك غدا في وقت مبكر بعض الشيء. فهناك الكثير
من الأحداث التي مررت بها اليوم فأنهكتني، ولا حرج إن تأخر
الأمر بعض الوقت فمزال لديك عدة أشهر أخرى كما تعلم
غير هذه الليلة، وأيام أكثر من اليوم التالي. فلماذا أنت غاضبا
كل هذا الغضب؟ واحسب أن يكفي هذا اليوم ...

ونظر إلى وجه أخيه من خلف الأشجار، فكان يراه واضحا،
وقد تحول إلى كل الألوان التي تقود النهار إلى الليل. وقد
جحظت عيناه واحمرت من الغضب ... ثم اندفع نحو باب
الغرفة فقام بغلقه بالمفتاح المعلق به في سرعة وعصبية شديدة

ثم التفت مرة أخرى إلى الكاهن قائلاً في حزم بدا واضحاً على
صوته.

لا أيها الكاهن، إما أن ينتهي كل شيء الآن إما أن ينتهي كل شيء
غداً بدونك! فجلس الكاهن مرة أخرى وقد استسلم للأمر.
كما ابتهج هو أيضاً، فكان يتمنى أن ينتهي كل شيء قبل
حلول الصباح، فلا يعلم ماذا سيحمل له الغد من مفاجآت
أخرى.

جلس الكاهن وأطلق تنهيدة انطوت بداخل قلبه المهموم. الذي
لم يتبق فيه مكان إلا لظفرات الألم الذي سكنه منذ أن علم ذلك
الأمير بسرّه.

نعم أيها لكاهن، أنت من بدأت ذلك الأمر منذ سنوات طويلة
وأنت عليك أن تنتهيه اليوم. أتذكر أيها الكاهن المحكمة كان الأمر
يسير طبيعياً كما خططت له من قبل بهدوء تام إلى أن وصل
الأمير إلى هناك كما أردت ذلك، وقد حكم القضاة بحكمهم الذي
أثلج صدري إلى أن قمت أنت بإفساد الأمر في استعمال حقك في
تغيير الحكم.

وقاطعه الكاهن غاضباً. وتعالى وجهه التعجب فكان يجهل أن
يكون أمر أخية مخططاً بواسطته. كان يعلم أن هناك صراعات
بسيطة بينهم، ولم يتوقع أن يصل الأمر به إلى المؤامرات
الخفية - فقال له:

نعم تغيير الحكم لصالح الأمير وأيضاً لصالح البلاد كما قلت سابقاً.
لم يكن الأمر يستعدى النفي الأبدي، أيضاً كانت هناك فرصة أخرى
لأي سجين كما هو متبع في قوانين المملكة فكيف لا يحصل عليها
الأمير أيضاً!

فقال ساخراً: تعلق صوت الغطرسة والغضب

ماذا سيفيد وجود أمير ضعيف إلى المملكة؟! كان يجب على أن اتخلص منه حتى أقوم بالحكم وحدي. يجب أن تتغير القوانين ويجب أيضا أن استغل المعدن النفيس في التوسع، والاستلاء على ممالك أخرى، وقال واستبعد به الغرور فظهر في صوته إن كنا نملك كل هذه القوة فلماذا أظل ملكا يجب أن اصبح إمبراطورا، وأضم كثيرا من الممالك إلى ملكي ويكون جيشي أقوى الجيوش ألا ترى إننا لا نحارب منذ سنوات بعيدة تحت حكم الملكة ، التي لا تريد أن تستغل قوتها كما يجب أن يكون ، ولكنك أضعت كل شيء بسبب فعلتك أثناء المحكمة .

وصاح الكاهن غاضبا بعد ما سمعه لأول مرة من تصريح بما يجوب في خاطر أمير الجيوش، وكان الأمر لهو خطيرا ليس عليه فقط، بل على امن البلاد أيضا. فقال: يا لك من قاسى لا يعرف معنى الحزن ولا الألم لقد تملك غرورك أيها الأمير وامتلاك عقلك جنون الملك وجنون العظمة، التي لم تكن يوما في أحد أجدادك العظام. فأى نبت أتيت منه، وكيف يجول بخاطرك تدمير أمان تلك المملكة، وهي من أعظم ممالك الأرض، وملوكها من أعظم الملوك. فنحن قوم لم يعرف الخوف يوما طريقا إلى نفوسنا، ولم يذل كبرياؤنا أحد من قبل، والكل يهاب حتى سماع اسمنا. فلماذا الحروب ولماذا القتال واحتلال ممالك أخرى، وما حاجتنا إلى أسر الآخرين، وما حاجتنا إلى الاستحواذ على ما ليس لنا، ونحن يفيض عطايانا على الجميع. أياكون هذا من أجل حلمك المريض؟ أم من أجل أهوائك البغيضة؟! لم أكن أعرف نواياك كاملة من قبل كنت أعلم إنك تريد الحصول على العرش لذاتك فقط دون شريك في الحكم، ولكن لم أتصور يوما أن يكون تفكيرك هكذا إنك بذلك ستأخذ البلاد إلى الجحيم، وهناك لن يكون لديك مكان ليطلق عليك الاسم الذي تبتغيه حتى المقربين منك لم يسلموا من دسائسك أيها الأمير.

ألم ترى عذاب الملكة الأم التي قامت بتنفيذ القانون، ولكنها لم
تستطع النظر إلى ابنها مقيدا في الأغلال والسلاسل لم تر كم
كانت تعسة حزينة؟؟؟

وصرخ في الكاهن قائلاً في قسوة أكثر من ذي قبل كانت تعاستها
ستستمر سنوات ثم تنتهي.

ولكنك أفسدت كل شيء كنت أخطط له في صمت منذ سنوات

فقال: الكاهن وفتح فاه من الدهشة متسائلاً أكنت تخطط؟ هل كان
لك دوراً أيها الأمير في الجريمة التي قام بها أخيك؟

فقال ساخراً: كنت أراقبه عن قرب حتى أتت لي الفرصة التي قدمها
هو حين اتفق مع ملك الظلام على سرقة المعدن ، فأرخت له
الحبل كي يفعل ما يشاء ، كنت أيضاً أعلم صفقته مع ملك الظلام
الذي أتانى ، وقد علم أنني أراقبه كما أراقب أمير الشعوب ، وهنا
عقد اتفاقاً آخر معي وهو أن ينسحب ويكشف الأمير فور سرقة
صندوق المعدن ثم اتركه ويتم القبض على الأمير متلبساً بالسرقة
ويفر هو ، ثم قال بغل، وحقد ، ولكن الملكة كانت اذكى من الجميع
، ولم تكن تعلم مما أقوم به وما قد اتفقت عليه مع ملك الظلام سابقاً
فقامت بسحر صناديق المعدن ، كما علمت أمر الصندوق الذي
سرق، وإلى أين استقر داخل جبل الهلاك .

فقال الكاهن: إذا فكنت تقود الأمير إلى الهاوية؛ مستغلاً قوتك
السحرية، ومستغلاً عمك في قيادة الجيوش، ومستغلاً ثقتي وثقة
الملكة أيضاً

ولكنك أفسدت الأمر أيها الكاهن. فلو كنت تحدثت للملكة فيما أريده
من توسعات في المملكة لرفضت وبقوة كانت أيضاً ستجتمع بمجلس
الحكم الذين كانوا أيضاً لن يوافقوا على الأمر، وكان قد انتهى أمري

ولن أستطع إعادة الكرة مره أخرى، وكان بدأ من التفكير بعض الشيء.

أما أخي فكان أمير ضعيف يبكي لبكاء الأطفال ويستمتع بصوت البلابل المغردة كم كان فتى ضعيفا بأنا.

وايتسم بدهاء ثم قال: كنت أعلم أن لكل شخص أخطاءه، وأيضا لكل شخص أسراره، ففقت بمراقبتك جيدا أيها الكاهن وأيضا الملكة واخى وكل من رق قلبه لهذا الأمير السجين، ومرت السنوات ومئات السنوات حتى أتت لي الفرصة التي كنت انتظرها، ولم أياس أبدا. فكنت على علم أن أول أخطاء الرجل تبدأ عند امرأة و أول أخطاء المرأة تبدأ عند رجل فأخذت اتابع كل النساء حولك حتى علمت بأمر الوصيفة الفاتنة، وهنا ضحك ضحكة مدوية ضحكة المنتصر المظفر؛ وعلمت لماذا تتناول أوامرها منك شخصيا، وعلمت أيضا لماذا جلبتها للملكة على إنها وصيفتها الشخصية الحافظة للسر، وكما كانت الملكة تثق فيك أيها الحكيم فلن تجادل أبدا في أي شيء تقوم به ، فكنت تقوم بإعطاء أوامرك للوصيفة الملكية في حجرتها الخاصة دون أن ينتبه إليك أحد أو يشك فيما تقوم به هناك ، وأعلم أيها الكاهن كم هي محبوبتك جميلة الطلة ... وضحك ساخرا .. ولكنك تعلم القوانين جيدا فهل كان جمالها ساحرا فأنساك بانك قد تقدم للمحاكمة، وتنزع منك كل قواك السحرية، ويحكم عليك في سجن الظلام الأبدي إذا انكشف أمرك؟ فكان يجب أن يبقى الأمر سرا، وكان هذا الأمر سر ك الرهيب أيها الكاهن الحكيم. وضحك ساخراً ثم نظر إلى الكاهن وقال: ولكل سر ثمنه أيها الكاهن الوسيم. فاطرق الكاهن. فقد كان يعلم أن بعض الأشياء مما قال أمير الجيوش صحيحة أما البعض الآخر فمازال لا يعلم عنه شيء، ولكن أكثر شيء اذهله مما سرد هو كيف جرؤ وقام بمراقبة الملكة ومراقبته

شخصيا. ثم قال غاضبا: أعلم. وكان الثمن لتلك المعرفة أنك قمت بتغيير بنود وثيقة العفو الملكي دون علم الملكة، وقد قمت بأخذ ختمها الملكي للتوقيع على بنود جديدة للوثيقة الملكية حتى لا يصل الأمير أبدا إلى المملكة مرة أخرى حتى وإن حصل على تعويذه العفو الملكي، فوضعت حراسة حول الوثيقة، وهى القبض على الأمير اذا استجاب للنداء الأول وتم تحريره من سجنه، والثانية: أن تكون هناك جنود لعدم وصوله إلى غايته أبدا، والثالثة: موت من يقوم بحراسة وثيقة العهد في أي زمان، أو مكان حتى يحارب الجميع في الحماية لها، وتدور حربا شرسا لمنع الأمير من الحصول على تعويذة العفو.

ثم قال: الأمير ساخراً: وللأسف لم تتجح في الأمر إلى الآن لم يقبض على الأمير الهارب ولم ينته الأمر بعد.

فقال الكاهن: ولكنك قد نسيت أمراً هاماً أيضا.

فقال: وما هو؟

لقد نسيت أنك قمت أيضا بأقناع الملكة بإخفاء المملكة بصورة سرية حتى إن بحث الأمير عنها فلن يجد الطريق إليها، ولم تفكر أبدا في مشاعرها كأم ولكنك كنت فقط تنظر إلى جنون العظمة والملك لذاتك أنت فقط.

فقال وقد زاد حقدا وارتفع صوته: ونسيت أنت أيها الكاهن أنك إلى الآن لم تقنع الملكة بترك فكرتها في سحب جنودها وإعطاء الحق للأمير لينال حريته مرة أخرى، وهنا يجب أن تنتهي الأمر سريعا حتى لا تتشبهت أكثر بما تريد. أما أنا فيجب أن أكون بعيدا عن قرارها بهذا الشأن، يجب أن أظل الأمير المنزه عن الأطماع. وظل يقهقه في صورة هستيرية متقطعة حتى كاد يصبه الجنون، ثم قال: منذر الكاهن مرة أخرى يجب أن تنتهي هذا الأمر، أو أقوم أنا بأنهاء أمرك أيها الكاهن الوسيم....

فقال الكاهن: يامولاي، ألا يكفي ما عاناه أخيك منذ سنوات طويلة
دعه فاذا استطاع العودة فسنرى ما يكون من أمره فربما تغيرت
أفكاره؟ أما بخصوص الحكم فتعلم أن هذا الأمر يمكن تداركه
لم يجبه، والقى له بمفتاح باب الغرفة ليعود من حيث أتى، فكانت
الملكة قد اتخذت قرارها بسحب جنودها حول الأمير الهارب، وهذا
ما جعل ملك الجيوش يستشيط غضبا فكرة عودة أخيه مرة أخرى
حيث سيكشف وجود أخيه خطئه الإجرامية فيما ينوى القيام به من
مهاجمة الممالك الأخرى والاستيلاء عليها كي ينصب ذاته
إمبراطورا. فترى ماذا سيفعل الكاهن الحكيم؟

نظر خلال أغصان الأشجار التي توارى في جوفها بعيدا عن
العيون، فسمع ما قد سمع وشاهد ما شاهد، مالم يخطر على
قلبه وخلده من قبل، فكانت هذه الليلة أطول أيام عمره جميعا؛
فقد تجرع فيها كأس الألم حتى خيل إليه أن الألم قد خلق له
هو فقط دون أحد سواه فكل الألم الذي مضى عليه سابقا لم
يكن بهذه القوة. وكل هذه القسوة، وكان هناك من يشاركه هذا
الألم منذ سنوات بعيدة، وإن لم يكن يعلم بالأمر من قبل. نعم
قد أيقن الآن أن أمه ما هي سوى جزء صغير في اللعبة الخطيرة
التي يديرها أخيه من أجل جنونه، ومن أجل شهوة الحكم
المفرطة. فالتمس لها بعض الأعذار وإن كان في قلبه غصة
مازال يتجرع مراراتها إلى الآن. كما يبدو أنه تعلم من هذه الليلة
التأني والصبر قليلا، فعلم أن الأمر لم ينته بعد فظل مترثا
ساكنا، وقد اتخذ قراره في مواصلة مراقبة أخيه طوال الوقت
مهما كلفه ذلك الأمر. وأيضا قد تعلم أول دروس أخيه في أخذ
الحيطة والحذر في كل خطواته، فلم يكن يريد أن تنتهي قصته

هنا بين جنود أخيه ولكن الأمر قد أخذ شكل آخر، ولا بد له أن يكمل الأمر لنهايته. فظل مراقبا حجرة أخيه وقد انطلق الكاهن الحكيم منذ قليل وظل وحده فيها... ومن خلف فروع الأشجار أخذ يلوم نفسه على قراراته المتعجلة الغير مدروسة بعناية في كثير من المواقف التي أدت به إلى السجن، وتسببت في الألم لبعض المحيطين به الذي عانى كلا منهم، فهل أيضا كانت هي سبب تلك المعاناة لعدم إدارتها أي حديث أو مناقشة الأمور بصورة أكثر حكمة مثل كل الوالدات. كان يعاني الألم وأوصله عدم مناقشة الأمور في حينها إلى تعالى طبقات الصراع النفسي الذي أصبح فيه؛ فلم يعد يريد سوى القهر للجميع وخيبة الأمل في أعمالهم؛ كما فقد هو أمله وتم قهره فاتخذ قرارته التي كانت متهورة ثم أصبح خطرا حين التفتته عدوا له وعدوا لمملكته وكان ما كان بعد ذلك. ولم يكن يدري من هو خصمه الحقيقي أحقا هذا أخيه؟ الذي قد شاهده وسمعه. كم هو قاسيا وأعمى واثقا من نفسه إلى حد الجنون. وإن كان ليس حادا للذكاء مثل ذكاء وحنكة الملكة. ولكن كانت أفكاره مرتبة مدروسة بمهارة شديدة أيضا كانت أفكاره توحى بهبوط رياح الدمار على المملكة والممالك المحيطة من حولنا. ولكن لا يبالي فقد تملكته نشوة العظمة والكبرياء. ثم نظر إلى الأسفل قليلا ليرى الحركة الدائرة حول القصر وفي السماء، وهل من مراقب هنا أو هناك؟ فكان قد هدأ قليلا وأخذ يتحاشى خطط وأفكار أخيه ثم فكر قليلا وقد أخذ يتروى بعض الشيء، فتلك الثمة كان قد فقدها منذ زمن بسبب ما تعرض له. ولكنه يبدو قد استعادها الآن فأصبح واثقا من نفسه ولم يكن قط واثقا من نفسه بهذا الشكل أكثر من هذه المرة. ففكر عدم ترك هذا المكان ومراقبة أخيه جيدا فما بدأ هنا سينتهي هنا حيث اتضح الأمر وظهر أكثره، وانتظر بعض

الوقت ثم طال وقت الأنتظار قليلا وإن كان نفذ صبره إلا أنه تعلم درس من دروس هذه الليلة وهي أن الأمر قد لا يبدو واضحا في أوله ولكن قد يكون خطيرا في النهاية. فتمهل وانتظر وهاهو يرى أمامه قد علت طرقات الباب فأمر من بالباب بالدخول، فاذا جندي من جنوده الشخصي فتقدم هذا الجندي حتى اقترب أكثر، فهمس له أمير الجيوش بعض الكلمات برغم إنها كانت هامسة بعض الشيء إلا أنه قد استعمل بقايا سحره وقد سمعها بالكامل فأسدى أمير الجيوش أمراً عاجلاً إلى الجندي لم يختص هذا الأمر بعمله بل كانت أمراً خاص، وهو مراقبة الملكة، والكاهن الحكيم مراقبة تامة ليلا ونهارا على أن يتفرغ فقط لهذا الأمر. ويأتيه بتقرير في نهاية الصباح ونهاية المساء وأن يكون هذا الأمر سرى لا يعلم أحد، أو يلاحظه أحد، ونظر للجندي بطرف عينه في ريبة وشك بالرغم من الولاء التام لهذا الجندي، وقال بهدوء مفتعل: تعلم أيها الجندي الأمين أن هناك أخطار تحيط بنا من أجل ما نملك من المعدن النفيس وأنى أخشى على الكاهن، والملكة من التعرض لأخطار، أو أصابتهما بأي أذى. فنظر الجندي، تعلوه سمات وجه الفخر لاختياره لحماية الملكة، والكاهن الحكيم. ثم انطلق، وانطلقت ورائه نظرات أمير الجيوش سعيدا. ثم أطفأ مصباح غرفته وأوصد بابها وأخفى في ملابسه مفتاحها، وانطلق إلى الحجرة الملكية.

لم يعد الأمر جديدا على الكاهن الحكيم فقد اعترف له أمير الجيوش منذ قليل بتلك الاعترافات المعتوهة. من مراقبته ولم

يكتف بالأمر مع كبير الدولة بل أخذ يراقب الملكة شخصياً، وأخذ يحدث نفسه كيف يقوم بتتبيه الملكة؟ فهل يخبرها بهذا الأمر الذي هو بغاية التعقد كيف له أن يشجنها في أبنها الأكبر أمير الجيوش؟ وما يقوم به، ولم تبرؤ بعد من فجيعتها في أمير الشعوب الذي سجن من قبل، وحكم عليه بالسجن. فأشفق عليها من أسوأ مصير يمكن أن تنتظره أم في أبنائها وأسوأ كابوس يمكن أن تعيشه مملكة حين يقوم بها هذا الصراع بين جنبات قصرها الملكي. كان مازال يجول ذهاباً وأياباً في حجرته الخاصة بعيداً عن الحبيبة التي علم بشأنها أمير الجيوش، ولكن مازال لم يعلم من تكون؟ ومنذ ذلك الوقت استغل هذه الفرصة وقلب حياته رأساً على عقب وكدر عليه معيشته حتى وجد القلق طريقاً إلى حياته الهادئة.

لم يهتم الأمير الهارب بأمر الكاهن كثيراً. بل مر بصر عليه اثناء تتبعه لأخيه ليرى إلى أين سيذهب داخل القصر؟ فأخذ يراقبه بدقة من خلال شرفات القصر، ونوافذه المفتوحة، ويبدو أنها ليلة بلا سبات لسكان الجناح الملكي.

تتقل بحذر تام دون لفت الأنظار إليه، فكان يتجنب أن يصدر صوتاً حتى حفيف أوراق الأشجار، فقد تعلم الحيلة والحذر وكان هذا أيضاً من الدروس التي تعلمها في هذه الليلة الطويلة، حتى رأى ذلك الظل وقد أسرع الخطى منتقلاً في الممر الطويل المؤدى إلى حجرة الملكة لم يكن أمير الجيوش فقط من يراقب الجميع فقد كانت هناك أيضاً عيون تراقبه من خلف أوراق الأشجار دون أن يعلم. وعيون أخرى في ذلك الممر المؤدى إلى حجرة الملكة. نعم، فلم يكن غيرها يسكن جناح الملكة الخاص سوى وصيفة الملكة الشخصية.

تعاليت طرقات الباب فأمرت الملكة من بالباب بالدخول إليها. فمازالت ممتدة على فراشها المكتسي بأفخر أنواع الحرير الذي كان مقصورا استعماله على الأسرة الحاكمة والطبقة النبيلة فقط حيث كان سلعة فاخرة نادرة، وقد تناثرت الوسائد حولها في فوضى تامة فأخذت تحتضن إحداها وتعتصرها بين يديها في ألم وصمت تام. كانت مصابيح الغرفة قد اطفئت إلا من شعاع صغير يتمايل بالقرب من فراشها. فاقترب منها في هدوء وسكينة وقد قام بتقبيل رأسها ويدها في حنو مصطنع وقال: رأيت أضاءه الغرفة فعلمت أنك مازلتى مستيقظة.

فأجلسته بجوارها على حافة فراشها ومازالت كما هي لم تعتدل من جلستها التي عليها، فاقترب منها وقال: هل تعانين من شيء يا أمي؟ هل احضر لك طبيب؟ فقالت له: إني بخير ولا داعي لذلك. ثم سألتها: أهنالك ما يزعجك؟ وأخذ يدها بين يديه فأطبق عليها في حنان ورفق، وأخذ يستمع إليها، مصطنعا خشيته عليها. أسهمت قليلا شاردة ثم قالت: نعم يا بني، هناك موضوع يجب أن اتحدث إليك فيه، ولا أدري لماذا الكاهن يصر عليه. فقال لها: أي موضوع ذلك. فقالت: موضوع جند مراقبة أخيك فانتبه سريعا، وتدارك الأمر فقد كان يعلم ماذا ستلفظ، كما يعلم ما يريد! فقاطعها قائلا: أماه سنتحدث في الصباح فالوقت الآن أصبح متأخرا جدا، ويحتم عليكى أن تأخذي قليلا من النوم فهناك كثير من المهام التي تنتظرك غدا جلالة الملكة. ثم ابتسم بدهاء وقال: أيضا حتى لا يذبل بريق عينيك واشراقه وجهك كما تعود الجميع أن يرى الملكة في أبهى صورها. فلما اليقظة والسهد الذي لا فائده منه؟ فقالت: ولكنك لا تعلم... فاسرع قائلا: غدا نتحدث فكم أنا أيضا أشعر بالإرهاق الشديد حيث إنني مازلت

لم أترك عملي حتى الآن ، فنظرت بإشفاق إلى ابنها والزمتم الصمت، وقالت إذا غدا نتحدث في الأمر ، وبرق عينه مبتهجا وتركها ومضى ودنا لباب الغرفة فامسك مقبضها ثم تمهل ونظر إليها قائلاً: هناك أمرا هام نسيت أن أقوله لك فنظرت بانتباه فقال: لقد دفعت بأحد جنودي الأوفياء المخلصين ليكون على مقربة منك دائما لحمايتك تحسبا لأي موقف قد تتعرضين له ، فانت تعلمين لم يتبق لي أحد غيرك بعد سجن أخي وموت أبي يامى ولن تشعري بأي قيود في وجود الجندي الحارس ، وتعاملي بكامل حريتك كما لم يكن موجودا حولك أيضا يا أمي أن سألك الكاهن أن هناك من يراقبك فاعلميه إنك على علم بالأمر، ولا داعى أن يخشى شيئا، ولم ينتظر منها أي جواب، أو استفسار لما قام به، ولكنه فتح باب الغرفة وانطلق مسرعا دون أن يلقي نظرة إليها، واغلق الباب بقوه. فهل سيقوم الجندي على حمايتها حقا ؟

ولأول مرة يراها هكذا من خلال مخبأه خلف فروع الأشجار، وهاهو الليل قد أوشك على الرحيل وأطلقت السماء خيوطها الرمادية معلنة حضور يوما جديد، ومازالت الملكة لم تغمض عينيها فكم كانت حزينة منكسرة في وحدتها فأشفق عليها وعلم الآن أن هناك خطرا عظيما قد استفحل داخل جدران القصر الملكي خطرا مجنونا لا يعرف غير القسوة والتعطش للدماء وإن كانت دماء أخيه أو أمة أو حتى الحكيم الذي قام برعايته صغيرا

كانت الحديقة قد بدأت تكتسي بأول خيوط الفجر الجديد، وأخذت أشعة الشمس ترسل خيوطها الذهبية لتتير ذلك الفضاء الفسيح، وبدأت طيور البوم في الانسحاب تاركة فروع الأشجار

كعادتها في ذلك الوقت؛ كي تذهب إلى المملكة البعيدة وكان الأمر يبدو طبيعياً كعادة كل يوم منذ تلك الكارثة التي أحلت بأسرة الدكتور عوني.

وها قد مضت عدة أيام منذ هلاك ملك الظلام وفك قيود سحره عن الصبي الصغير يوسف كما تحرر سحر الفيلا عن عزلها عما حولها من القرية، ومع اختفاء ملك الظلام وهلاكه كان قد اختفى أيضا الأمير الهارب، فكان هناك هدوء وسكينه يحيطان بالمكان بعض الشيء امتزج بهما الخوف والتوجس الرهيب على الغالية المخطوفة والتي لا تزال محتجزة لدى الأمير الهارب. لا يعلم الجميع أين تكون أو ماذا تفعل في ذلك الحين منذ أن رأتها أمها فقط من خلال القوة السحرية للكاهن الحكيم والذي أشفق على قلبها المفطور، فأراد أن يطمئننها قليلا عن فلذة كبدها. ومضت ثلاثة أيام متواصلة دون زيارة الأمير الهارب أو الكاهن الحكيم. فكانت تلك المدة كافية ليعمل فيها العلماء سويا وبكل جد وسرعة متصلين الليل بالنهار على كل وسائل التواصل من خلال الإنترنت مع الباقين من زملاء البعثة الأفريقية ، فوجودا من خلال تبادل المعلومات أمر هام قد طوى في ذاكرة النسيان التي مضى عليها عشرات السنوات ، وكان الأمر فائق الشأن فقد يكون فيه حمايه الفتى والأسرة معا من ذلك المصير الغامض لهذه الحرب الطاحنة التي لم يمتلكون أدواتها للنيل من الأمير الحاضر لهم عبر أعماق التاريخ والتي في نهايتها سيكون هلاكهم جميعا كما تقول الأسطورة عند عودة الأمير الهارب وحصوله على العفو الملكي . سيكون هلاك كل من علم بالسر الآن ومنذ سنوات ماضية سواء من القبيلة الأفريقية أو زملاء البعثة أيضا فالجميع يعلم أن الهلاك هو مصير الجميع وإن جهل

من سيقوم بقتلهم، هل سيكون ذلك الأمير السجين أم أن هناك
شخص آخر سيقوم بتنفيذ هذه المهمة؟؟؟

كانت الأشجار تتشابك بشدة وقد امتدت أغصانها، فقام
الجنائني بتهذيبها قليلا حتى امتلأ فناء الحديقة بكثير من
العشب الجاف والأغصان المكسورة بالإضافة إلى الأغصان
التي تراكمت منذ سجنهم ملك الظلام داخل أسوار البيت. فلم
يعد أحد يستطيع الدخول أو الخروج من ذلك المكان حتى مع
إشراقة الصباح كان الجنائني قد قام بفتح البوابة الرئيسية على
مصرعيها فدخل عدد من الفلاحين، وقاموا بحمل الكثير
والكثير من الأعشاب الجافة وفروع الأشجار، وبدأت السعادة
الغامرة على وجوههم حيث كانوا يستعملونها في أشغال افرانهم
الريفية تخلص الرجل من الكثير مما تراكم المدة السابقة....

كان منتصبا يشاهده من شرفة الطابق الأول من البيت فسمع
كل حديثه بينه وبين الفلاحين حتى أنهى مهمته من التخلص
من الأعشاب، فعاد إلى الحديقة بريقها ورونقها من جديد فوقف
يراقبه إلى أن ينهي هذا العمل سريعا فقد شحذ كل طاقته
المخفية في أعماق قلبه منذ توصل إلى ذلك السر الرهيب.
فصاح عليه فور رآه يقوم بغلاق البوابة مرة أخرى أن يسرع في
الحضور إلى اعلى، فهرول الرجل الذي كاد يسقط أثناء صعود
درجات السلم للوصول إلى بوابة البيت الداخلية، ولم تمض
لحظات إلا ووقف منتصبا أما سيده ملبي أمر ندائه. وقد وجد
صديقه ميلاد جالسا بالقرب منه أما هو فمازال ينظر إلى
الحديقة. كان الرجل خائفا جدا كونه قد تخلص من الحطب
الجاف دون الرجوع لسيدة في هذا الأمر، فكان صوته يرتعش

وعينيه زائغتين حتى جمع القليل من الشجاعة (وقال تحت أمرك يا دكتور) وكان الدكتور عوني قد نظر إلى صديقه الجالس بجواره منذ الصباح الباكر وقد حزما أمرهما معا منذ ليلة أمس فلم ينتبه لتوتر وارتباك ذلك الرجل، كما كان هذا الأمر يبدو سرا بينهما إلى الآن لم يخبرا به أحد من أفراد الأسرة بعد. هب الدكتور ميلاد واقفا وقد أحاط عنق الجنائني بإحدى سواعده أما يده الأخرى فقد اخذ يشير بها في شرح الأمر له فقال يا أبو محمود نريد منك شيء هام جدا عسى أن تستطيع القيام بهذا الأمر ... فهذا الرجل قليلا وعلم أن الأمر لا يتعلق بحطب الحديقة ولكن هناك شيء آخر . نريد منك احضار بعض الطمي فأجابه قائلا: الجنينة مليئة يا دكتور، فقال عزمي لا يا أبو محمود نريد طين من نوع خاص. فنظر لهم متعجبا وقال وعلامات الدهشة تعلقو قسمات وجهه وهل هناك أنواع مختلفة من الطين يا دكتور؟ لا اعرف سوى أنه كله طين فأجابه قائلا: لا، نريد نوع خاص من الطين مغسول بماء النيل بمعنى نريد طمي من ضفاف النيل. فهل يمكن أن تحضر لنا ذلك الطمي وبسرعة؟ فأجابه الرجل: نعم، وبكل يسر وانطلق مسرعا إلى الخارج فاستوقفه الدكتور عزمي قائلا: مهلا، أتعلم الكمية التي نريدها، فسكت وقد فجأة السؤال فقال: لا، فقال نريد كمية لا تقل عن برميل كبير من الطمي ومثله من ماء النيل وأدخل يده في جيبه وأخرج مجموعة من الأوراق النقدية فأعطى الجنائني واحدة منها قائلا: إذا احتجت عمال أو سيارة للنقل، ولكن يجب أن ينتهي الأمر قبل الظهيرة فاذهب فورا. وانطلق الرجل حيث أمره سيده وتركهما يخططان كيف سيقومون بإنهاء هذا الأمر اليوم، فلا يعلم أحد ماذا سيكون غدا. ساد الصمت بعض الوقت المكان وأخذ يفكر كلا

من الصديقين في أمرا ما ثم امر عوني باستدعاء الأسرة سريعا للطابق الأرضي، فانطلقت الخادمة على عجل لتنفيذ ما أمر سيدها ثم نظر لصديقه وقال: يجب أن يعلم الجميع بما سنقوم به كما يجب أن يتعاونون معنا أيضاً؛ لننتهي سريعا اليوم وقبل حلول ظلام الليل فلا ندرى ماذا ستخفى لنا الليلة أيضا فهل ستكون مثل الليالي الثلاث السابقة أم سيظهر لنا الأمير الهارب . الذي يبدو متواجد لم يتم القبض عليه حيث مازالت حراسه الملكة والكاهن من الصقور وطيور البوم المنتشرة في الليل أو النهار، ولم تمض لحظات قليلة وكانت الأسرة كلها قد التفت حول الدكتور عوني وميلاد وقد انصتت باهتمام بالغ. فقال: تعلمون جميعا أنى والدكتور ميلاد كم نحن مشغولين بالبحث عن مخرج من المحنة الرهيبة التي نمر بها جميعا، ولن أتطرق إلى تفاصيل تلك الأبحاث التي قمنا بها منذ سنوات وإلى الآن وما لبث أن اتضح الأمر كله بعض الشيء ولم يمه حديثه فجأة هب واقفا فزعا واخذ يمد يده في حركة مضطربة يتحسس صدره وينظر إلى قميصه وكان الفرع الذي أحسه مرسوما على وجهه وعينيه التي ما زالت تتلفت أسفل المقاعد وأسفل قدميه، فسألت فريده ماذا بك؟ هل هناك شيء؟ فقال: وهو يعاود الجلوس مرة أخرى ومازالت أنظار الأسرة معلقة به في دهشة ...

اشعر كأن هناك فأرا قد قفز فجأة فوق صدري ثم هرب فورا فلا أدري هل رأى أحدكم هذا الشيء؟ فسكت الجميع وقد أصاب بعضهم بعض الفرع والخوف فكانوا يعانون جميعا من فرع الأحداث الجارية بذلك البيت.

فقال ميلاد لصديقه ، قد يكون ما شعرت بسبب التوتر الذى نحن به فهز رأسه مصدقا على كلام صديقه وقال: نعم قد يكون ذلك بسبب التوتر ثم أكمل حديثه السابق موجها كلامه للأسرة ، كان من الأبحاث التي توصلنا إليها وأفراد البعثة الأفريقية ذلك الشيء الذى لفت نظرنا جميعا كما لفت نظرنا لذلك كبير القبيلة الأفريقية ، أن الطمى من أهم العوامل المشتركة التي جمعت بين سجن الأمير بالكهف الأحمر داخل جبل الهلاك وأيضا تواجد كرات الطمى داخل صندوق تعويذة العفو الملكي وأيضا صندوق وثيقة الحكم ، فقالت فريدة متعجبة من أمر الطمى ! كيف؟ فقال: نعم ، الطمى - ثم وجه حديثه لابن أخيه فقال أتذكر يا جاجان يوم قمت بفتح ذلك الصندوق الصغيرة كان بداخله قطع من الطمى كانت تلك القطع الصغيرة تقوم بإعاقة تتبع التعويذة من الأمير الهارب حتى قمت أنت وأخرجتها من ذلك الصندوق بعيدا هنا علم بمكان وجودها فقام بتتبعها حتى وصل إلى هنا وكنت بذلك قد اقامت أول طقوس عودة الأمير السجين وهو الاستدعاء ولكن ما توصلنا إليه فعلا وأثار كثير من الاستفسارات التي لم نعلم اجابتها بعد ، أن الطمى لم يكن ضمن طقوس السحر الملكي لحماية تعويذة العفو كما هو اصبح واضحا لنا سواء من الطلاسم المكتوبة على جدران الكهف أو صندوق حفظ التعويذة أو وثيقة الحكم ، ولكن أضيف ذلك الأمر بعد ذلك لمنع الأمير من تتبع عفوهم الملكي ذلك لان الطمى المعجون بماء النيل هو فقط من يعمل على إعاقة حواس الأمير السجين ، ولا نعلم كيف يمكن ذلك ؟ فقد يكون باستعمال السحر او قوه خارقة أخرى لا نعلم عنها شيء ، أما وقد علمنا بأمر ذلك الطمى فقد قمنا بتحليل جزء صغير منه في مختبراتنا العلمية وعمل كثير

من الأبحاث عنه كي نعلم من أي المواد صنع ومتى وضع داخل السجن الملكي والصندوقيين الاثنين الآخرين فعلمنا أن تموضعهما لاحقاً حيث كان استعملت الملكة الطمى لحفظ المعدن النفيس بالصندوق الأول فقط أما من قام بوضعهما لاحقاً فلم نعلم من يكون؟ ولماذا قد فعل ذلك؟ ومما سبق سنعمل اليوم على تجربة قد تنجح وقد لا تنجح؛ وهنا تبادل عزمي وميلاد النظرات ثم صمت قليلاً وقال: سنقوم بإخلاء إحدى الغرف من كل الأشياء التي بها ثم نقوم بطلائها بالطمى المعجون بماء النيل حتى النافذة الحديدية التي بالغرفة، سنقوم أيضاً بطلائها بذلك الطمى فاذا انتهى الأمر سيتم طلاء كل شيء كما سيطلى السقف والجدران والأرضية حتى باب الحجرة من الداخل ولن يبقى بها بعد ذلك سوى فراش صغير فقالت فريدة مندهشة فراش داخل تلك الحجرة؟ فقال نعم فقالت ولماذا؟ ستعلمون به فقال: ستعلمين فور الانتهاء من العمل معاً وبسرعة سنقوم الآن بإخلاء إحدى الغرف قبل أن يأتي أبو محمود بإحضار الماء والطمى وقد أوشك على الحضور حتى ننهي هذا العمل قبل حلول الليل.

صعد الجميع إلى أعلى الطابق الأخير من الفيلا، فاختار الدكتور عوني إحدى الغرف المطلة على الحديقة وكانت من الغرف التي بها بعض الأثاث الغير مستعمل وبعض صناديق الأجهزة الكهربائية الفارغة والمقاعد المحطمة، كانت هناك مروحة مكتب تم غطاءها من الأتربة التي انتشرت في كل مكان وعلت كل الأشياء الموجودة كما عششت العناكب في كل الأركان فكانت تتدلى خيوطها الطويلة متأرجحة ببعض عناكبها. انتظر الجميع بعض الوقت خارج الغرفة إلى أن

فتحت الخادمة النافذة وقامت بشفط كثير من الأتربة المتواجدة بشفاط الأتربة الكهربائي، وهنا دخل الجميع مرة أخرى فقاموا بأخلاء الغرفة من كل ما بها من أشياء كانت بعض العناكب والأتربة مازالت عالقة بالمكان. فأمر الدكتور عوني الخادمة بمسح الأرضية والحائط وتنظيف المكان نظافة جيدة سريعاً.

وأرتفع الصخب حول البيت فنظر من أعلى ليرى الجنائني قد أحضر برميل الطمي وآخر من الماء، وقد أحكم غلقه كما أن وتجمع حوله عدد من القرويين لمساعدته في حمل البراميل وإدخالها إلى الحديقة وإن لم يعلم أحدهم ما بهذه البراميل. وأخذت الخادمة دلو الماء القذر وأدوات التنظيف وذهبت مبتعدة خارج الغرفة وانطلقت إلى الطابق الأسفل لمساعدة زوجها فيما يقوم به هناك.

وتوقف الضجيج فقد كانت البراميل تتوسط أرض الحديقة، فانطلق إلى أسفل تاركاً أفراد الأسرة منتظرين داخل تلك الحجرة كما قال لهم. توالى أوعية الطمي التي يحملها الجنائني والخادمة إلى أعلى وقد تم عجنها بالماء المعد معها حتى كانت أشبه بمعجون لزج فتذكر أكواخ القرية الأفريقية عندما ذهب إلى كبير تلك القبيلة من قبل فكانت بيوتهم مصنوعة من الطمي ومغطاة بفروع الأشجار ... وهنا سأل نفسه ترى هل كانت تلك حياتهم أو تم صناعة بيوتهم هكذا من أجل سر الصندوق الذي كان بحوزتهم. ويحتوي على وثيقة حكم القضاء. ثم انتبه أن الجميع يعمل بجد وإن الأمر قد أوشك على الانتهاء وأصبح كل جزء بالغرفة قد طلى بالطين النيلي الأسود فانتهت تلك الفوضى العارمة وأغلق بابها تاركاً نافذتها مفتوحة حتى تجف تماماً. وقام الخدم بتنظيف المكان أما باقي

الأسرة فقد ذهب كلا منهم كي يغتسل مما علق بأجسادهم
وملابسهم الملتصق بها الكثير من بقايا الطمي، ولم يعلم أيا
منهم إلى الآن لماذا تم طلاء تلك الحجرة هكذا...؟

انطلق الحكيم منذ الصباح الباكر إلى هناك حيث كان على
علم ويقين جيدا أن هزيمه أمير الجيوش لا تبدأ من داخل
أسوار المملكة ولكنها تبدأ حيث جبل الهلاك والكهف الأحمر ،
حيث سجن أمير الشعوب والذي أصبحت حرته قاب قوسين
أو أدنى من ذلك الفتى الذي يحمل تعويذة العفو والخلاص
حول معصمه ، فأخذ يقاتل لينال حرته ولكن تبقى جنود
الملكة وجنوده الشخصية تمنعه من إتمام ذلك الأمر ، كما كان
يعلم أيضا أن السحر الذي تم وضعه بعد ذلك دون علم الملكة
في بنود تعويذة العفو من هلاك من يعرف السر وأيضا الطمي
وباقى ما تم التلاعب فيه من قبل أمير الجيوش ، فأخذ يفكر
كيف يمكنه التخلص من تلك البنود التي تم إضافتها على بنود
الملكة دون علم منها بهذا الأمر ، فكان يجب عليه أن يعيد
تصحيح ما كان خطأ ولكن هل سيستطيع ذلك الأمر

ومضت ساعات النهار بطيئة ظل فيها متخفيا خلف أوراق
الأشجار الكثيفة متواريا في عمق أغصانها حتى تأتي ظلمة
الليل، فيتأهب الجميع الكاهن والملكة وأخوه بعد أن أنهوا
أعمالهم في شئون المملكة طوال اليوم. وبقي الليل للمؤامرات
التي ينسجها أخيه في صمت. ومع سواد الليل الذي كان قلبه
أشد سوادا منه، وها هو يرى من جديد الكاهن الحكيم قد عاد

مرة أخرى إلى حجرة الوصيصة الملكية وكان يتملكه غضب
عظيم منذ الليلة السابقة، فقد علم أمير الجيوش بأمر محبوبته
الصغيرة ولا بد له أن يحذر لها هذا الأمر التي لم تكن تعلم به
كما لم أن أمير الجيوش لن يكتفى بتهديده فقط. أما الآن فقد
أصبح الأمر أكثر مما يحتمله وأصبح الخطر لا يهدده هو
فقط بل يهدد المملكة بأسرها بعد اعترافات الأمير البغيضة.
كما أنه يراقبهما وبعد دراية أمير الجيوش بأمر الوصيصة فماد
هناك شيء يجهله ولا يعلمه؛ فلم تكن هذه الوصيصة عشيقة
الكاهن أو حتى زوجته واطمئن قلبه بعض الشيء أنه لم يعلم
بالحقيقة بعد فكان ما يشغله الآن هو حماية محبوبته الصغيرة
التي بقيت له من الدنيا بعد وفاة زوجته، فكانت تفاصيل وجهها
الجميل تذكره بأمرها الراحلة الغالية. فبعد موت زوجته لم يتبق
لا ابنته وأحد يهتم برعايتها إلى أن فكر في أمر ما وهي أن
يتخذها وصيفة للملكة التي تثق به ولم تسأله في ذلك الأمر.
فتكون بالقرب منه طوال الوقت أيضا تكون تحت أمرته فقط
تأخذ أوامرها منه وليس من كبير الخدم كما هو متبع بالقصر
حتى وإن اختلى معها بعض الوقت كان ذلك الأمر غير مثيرا
للشبهات أو تساؤلات أحد مما حوله أو حولها فكانت لا
تترك الجناح الملكي أبدا منذ أن أحضرها إلى القصر ومضت
السنوات إلى أن علم أمير الجيوش بأمرها، ولكنه لم يعلم إلى
الآن من تكون فهل يمكنه حمايتها من ذلك الأمير الغادر الذي
يكاد يقضى على أمة وأخوه من أجل حلمه المريض في احتلال
وغزو الممالك الأخرى فقط ليصبح الإمبراطور العظيم وان
كانت أمه لا تمثل له الكثير من الشأن فهل يتورع في إيذاء
أبنته الوحيدة، ويكون ذلك الأمر أمام عينيه؟ لقد فعل الكثير
من أجل إبقاء هذا الأمر سرا فكثيرا ما ساعده كي يصبح وليا

للعهد وكان هذا الأمر جديد على المملكة، فقد كان الحكم دائما ما بين الملكة وبين كبار المملكة من القادة كما هو الوضع مع الملوك السابقين، وتذكر بنود العفو الذي أضافها ولم يكن يعلم ذلك الأمر الخطير حتى علم الكاهن وناقشه أقنعه بأرائه وان هذا الأمر في صالح المملكة التي يخشى هلاكها من انتقام الأمير السجين إذا حصل على العفو ونال حرته كما أيضا كان فزعا على أمة من الانتقام. وكثيراً من المبررات قالها في ذلك الحين، أما الآن فقد اعترف في فخر بغيض بما فعل وبما يريد أن يفعله وأصبح الأمر خطيراً واستشاط غضبا على غضب وقال لا كما يجب أن يتم تأديب ذلك الأمير المجنون مما صنع مع أمه وأخيه دون علمهما ولكن كيف؟

فتحت الوصيصة الملكية باب حجرتها الأنيقة فوجدت أبواها قد أتى منذ قليل وكانت علامات الحزن والغضب على وجهه فأوصدت سواعدها حول عنقه ثم قبلت رأسه حيث كان جالسا بجوار النافذة ينظر في الفضاء الفسيح دون أن يتحدث ثم أمسكت بيده قائلة ماذا بك أباي الحبيب ففزع من الكلمة وقال مؤنب لها ألم أقل لك من قبل ألا تتذكر هذه الكلمة هنا أبدا أنسييت ما قد قلت لك من قبل ثم قام يتلفت حول النافذة وبجوار باب الغرفة عسى أن يكون هناك من يتجسس عليه من جند الأمير حتى أطمأن أن ليس هناك أحد من جواسيسه تنفس الصعداء وجلس من جديد حقا لم يكن هناك من يراقبه خلف الأبواب ولكن كان هناك من يراقبه خلف فروع الأشجار وقد سمع كل شيء .

اقترب كثيرا من ابنته وقال لها في حنان بالغ ما حدث بينه وبين الأمير ليلة أمس ولكن لم يعلم الأمير إلى الآن من

تكوني سوى أنك محبوبتي ثم ابتسم وقال نعم يعلم ذلك محبوبتي الجميلة ولكن يجب أن أخفيك في مكان ما . مكان لا يستطيع الوصول إليك حتى يمكنني أن أصحح كثيرا من الأخطاء بهدوء تام كما حدثت الأخطاء بهدوء تام فلم أكن على علم بما يريد الأمير من القيام به سوى أن كل ما كان يفعله لصالح الملكة والمملكة، لم أكن أدري بما يخطط أو كيف فعل ذلك بأخيه وأمه . فقالت له ولكن كيف؟ فرد قائلاً لقد قمت بالفعل اليوم بأول تلك الخطوات ولكن يبدو أنها كانت متأخرة فقد حاولت إفزاز عم الفتى الأمير المخلص من فعل شيء كان ينوى القيام به كنت قد اتخذت فأراً قد وثب فجأة فوق صدره ثم هرب فوراً وكنت انظر بعيداً كي أثنيه عن حديثه مع أفراد أسرته وأروعه فلا يقوم بما ينوى القيام به ولكن فشل الأمر ويجب أن أفكر بهدوء أولاً ولكن يجب أن أخبأك كما قلت سابقاً حتى لا تكوني العصا التي يحملها ولي العهد خلفي فلا أستطيع التحرك ببسر وسهولة ...

فقالت له ولكن أين يمكنك إخفائي منه فنظر لها ولم يتكلم ثم قال هناك شيء يجب أن أعرفه أولاً ثم أقول لك ... سأذهب ولكن سأعود بعد قليل من الوقت فاحترس لنفسك جيداً . وانطلق الكاهن الحكيم وقد دق بعصاه في أرض الغرفة فانتبهت ابنته لذلك الأمر الذي لا يفعله إلا إن كان السفر طويلاً وطويلاً جداً ... خارج المملكة

لم يلبث الأمر إلا ساعة من الوقت وكان صولجانه يدق دقة صغيرة على أرض غرفتها مرة أخرى ثم ظهر لها وقد حزم أمره فقال لها مسرعا أعدى أمرك سريعاً قبل انتصاف الليل سترحلين

إلى هناك سيكون مخبئك الذي اخترته لك حتى ينتهي ذلك الأمر فقالت إلى أين فقال: حيث جبل الهلاك.

فتحت عينها من الدهشة وأيضا هناك خلف فروع الأغصان قد من تملكته الدهشة أكثر منها. فقالت أختبئ مع الأمير السجين، ولا تخف من ذلك الأمر فقال: لها بل جبل الهلاك يحتوى على كثير من الغرف والممرات لا يعلم عنها شيء سوى أنا فقط من طول الوقت الذى قضيته في حراسة الأمير الصغير وملئت عينيه لمسة من شجنا عظيم ثم قال لن يصل إليك الأمير السجين فهو قد شغل بالبحث عن حريته وهذا الجبل لا يمكن لأمر الجيوش أن يقترب منه أبدا إلا لأنه لو قام بهذا الأمر ستره جنودي وجنود الملكة المراقبين ليل و نهار كما أن حراسة الجبل والكهف تحت سلطتي المطلقة ولذلك فهو مكان أمن استطيع أن اضعك فيه ... فقالت ولكن إن وجدني الأمير السجين فقال لها لا أعلم ماذا سيكون الأمر حينئذ ، ثم صمت. كان هناك يترب وقد أصابته الدهشة والحيرة ولكن لازال بقايا حب يحمله للكاهن الحكيم فلم يفكر في استغلال هذا الموقف وإيذاء ابنته الوحيدة، ولكنه تنهد في آسى أن هناك من يدافع عن أبنائه، وهناك من يقوم بإيذائهم لم يهتم كثيرا بهذا الأمر، ولكن كان يشفق أن يرى عين أخيه حين يعلم باختفاء محبوبه الكاهن والذي يعلم إنها عشيقته وليس ابنته الوحيدة. فابتسم في نفسه وقد نسي الابتسام منذ زمن طويل ...

وانطلق الكاهن الكبير وقد أخفى ابنته الصغيرة داخل عباءته، فلم تكن تتمتع بقوى سحرية كما يتمتع هو بها فقد كان ممنوع عليه من إعطاء ابنته بعض قواه السحرية حيث كان ممنوع

عليه الزواج، وبقيت الغرفة كما هي لم يتغير بها شيء إلا شيئاً واحداً فقط وهو اختفاء الوصيصة الملكية.

وها هو الليل قد اقترب من الانتصاف واقترب موعد نسيج المؤامرات داخل حجرات القصر الملكي مع وصول ولي العهد إلى بوابة القصر حتى اقترب من الطابق الملكي الذي كان أعلى طوابق القصر. وغير مسموح لأي أحد من العاملين بالقصر الاقتراب من ذلك الطابق أبداً إلا بأمر من أمير الجيوش أو الكاهن الحكيم شخصياً.

كان لذلك الطابق عدد من الممرات المختلفة الذي يؤدي كلا منها إلى جناح خاص بساكنيه، فكان جناح الملكة آخر الممر وكان يحتوي على ثلاثة غرف منفصلة كانت تستعمل من ذي قبل لزوجها وأبنائها الأميران إلى أن أصبحتان أقوىاء أخذ كلا منهما جناحه الخاص. فكان الممر الأول يسكنه أمير الجيوش، والممر قبل الأخير كان يسكنه أمير الشعوب والذي مازال مغلقاً منذ رحيله إلى السجن، أما الممر الآخر فكان به غرفة الكاهن الحكيم وغرفة لوصيصة الملكة. أما الطابق الأسفل فكان به الغرف يستعملها أمير الجيوش أو الكاهن الحكيم فقط.

واقتراب أمير الجيوش من حجرة الكاهن ودفع بابها في توتر وعصبية. فلم يجده بها، فانطلق حيث غرفة الوصيصة الملكية فامسك مقبض بابها ثم نظر إلى الأرض وهز رأسه وابتسم بدهاء قائلاً: ذلك العجوز مازال يجد وقتاً لهذه الأمور ثم لم يلبث فقام بدفع بابها دون أن يحد؛ ليجد الكاهن الحكيم جالساً فنظر إليه ثم دار بعينه في أرجاء المكان فوجد ملابس الوصيصة معلقة على أحد جوانب الحائط وأيضاً أدوات الزينة وزجاجات عطرها كما هي بجوار مرآة الزينة التي تتوسط

غرفتها، فقال مستهينا بالأمر أين هي؟ فقال الكاهن بكثير من الهدوء والوقار أتريد الوصيفة أيضا؟ يبدو أنها لدى الملكة تفضل انتظر معي أنا أيضا أريدها.

فقال بدهشة من أسلوب الحوار التي يتبعها الكاهن معه، فنظر إليه وقال: تعلم أنى أريدك أنت ولا أريد محبوبتك ثم ضحك ساخرا وقال: ماذا فعلت فيما طلبت منك فأجابه الكاهن بفتور يفوق ثلوج الشتاء وماذا طلبت؟ فاستشاط غضبا وقال: أتهدء بي، أهناك موضوع آخر بيننا سوى القبض على الأمير!! ثم فماذا فعلت في هذا الأمر الذي قد أمرتك به أنا ولى العهد الملكي فأجابه الكاهن ممتك رباط جأشه، ولماذا يتم القبض على الأمير السجين؟ وهذا الأمر غير وارد في العفو الملكي؟ أيضا لا يمكنك أن تتدخل في هذا الأمر لأنه أمر ملكي وحكم من القضاة؟ واستشاط غضبا وقام بتوعده أن يكشف أمره للملكة فقال له: وماذا ستقول للملكة أيها الأمير؟ ثم ابتسم في دهاء

-أفشي سرك أيها الكاهن الحكيم

-وأى سر يا مولاي تعلم أن ليس لي أسرار

-محبوبتك ...

-فضحك الكاهن طويلا ثم قال: ... وأين هي؟

من الخطأ يا مولاي أن تتهم أحدا دون وجود الدليل وعندما يتعلق الأمر بكبير الكهان في أعظم الممالك يجب أن تتوخى الحذر قبل القيام بهذا الأمر.

-فاستشاط غضبا وأخذ يبتحث عنها في الغرفة التي لم يكن بها أحدا أبدا سواهما فانطلق إلى غرفة الملكة فطرق بابها ودخل إليها فرأى الملكة مستلقية بفراشها وقد ذهبت في نوم عميق حيث لم يغمض جفنها منذ ليلة أمس حتى لاح الصباح. وخرج مسرعا

مره أخرى إلى حجرة الوصيفة فكان الكاهن لازال جالسا لم يغادر مكانه كما كان شديد الهدوء فاقترب منه في غضب وجذب ملابسه وصرخ مهددا، فقال: ماذا فعلت بعشيقتك أيها الكاهن؟ هل أخفيتها؟ أتعلم أنى أستطيع أن أجدها في أي مكان وهنا لن أرجعها إليك. تعلم ماذا سأفعل بها؟ أستطيع أن املاً كأسك بدمائها، أو أرسل إليك برأسها لترى هل مازال جمالها الباهي كما هو. أم لا؟

وانطلق خارجا متوعدا بمستقبل حزين للكاهن الذي ظل محتفظا بهدوئه كما كان، فقد هدأت نفسه قليلا وأخذ يفكر كيف له من اصلاح الأمر؛ وها هو قد اطمئن على ابنته بعيدا في الكهف الأحمر، فقد كان هذا المكان لا يخطر على فكر ولى العهد. أيضا قد أرسل ابنته سابقا لتعتذر من ملكة البلاد في الذهاب إلى أسرتها بعض الوقت لأمر هام حتى لا تثير هواجس الملكة، وذهب ولى العهد غاضبا أشد الغضب، ولم ينتظر حتى صباح اليوم بل أمر جنوده بالبحث عن وصيفة الملكة وراء كل باب وفي كل مكان.

كان ينتظر خلف فروع الأشجار وكانت الدموع أن تتساقط من عينه فرحا وهو يسمع الكاهن الحكيم رافضا أمر أخيه بالقبض عليه وهنا لاح إليه أن الأمر قد أصبح قريبا، وقد ينال حريته أيضا بمساعدة الكاهن الذي كان مشاركا في مؤامرة ولى العهد دون علما منه في بعض الأشياء وتهديده في بعض الأمور الأخرى، ولكن ها هو كما يعلمه دائما يضع صالح المملكة أولا والذي رأى أن الخطر قد أصبح قريبا منها إذا نفذ الأمير ولى العهد ما يخطط له منذ زمن بعيد وبعيدا عن عيون الملكة أيضا ...

وها هو الصباح قد امتدت خيوط نوره الفضية لتبتد ظلمة الليل، وها هو الأمل يعود ليبدد ظلمة قلبه الجريح فيضيئ من جديد كما أضاء الصباح الدنيا فبدا جمالها واضحا بعد أن قد توارى خلف ظلمة الليل الطويل.

وها هو قد أصبح على يقين أن قلب أمه مازال يحمل عطا وإشفاقا عليه. وانطلق يعلو وجهه الأمل إلى حيث الأمير المخلص. واقترب من أسوار الفيلا، ولكن أصابه اليأس مرة أخرى وكان تلك المرة أكثر من ذي قبل فقد علم الدكتور بأمر سر الطمي، وها هو يرى الفتى وقد وضعه عمه داخل تلك الحجرة حتى تنتضي الشهور القليلة من عمره ليكمل عامه العشرون، وهنا سيعود لينتظر مائة عاماً أخرى، ولكن لم يستطع أن يتحمل فكرة الانتظار مرة أخرى وخصوصا بعد علمه بما يدور بالمملكة، فانطلق حيث المكتبة حيث مكان الدكتور عوني يجلس بها كل صباح فاخترق بابها وأصبح قائما أمامه وأصبح وجهه الغاضب مثل شياطين الأرض. فنظر كلاً منهما إلى الآخر فهب واقفا وتملكه الرعب فقد علم ما يدور بعقله حين شاهد الفتى بحجرة الطمي فلم يستطع الاقتراب من الحجرة أو منه ... فأخذ يتحسس طريقه إلى باب المكتبة ببطء محاولا الهروب منه فقام بقبض يده في شدة وغضب قائلاً: الفتاه مازالت عندي ... أطلق الفتى لي أم أرسل لك رأس ابنتك

وقام بقذفه بقوه، وقسوة، وعنف فارتطم جسده بالحائط فسقط مغشياً عليه وانطلق الآخر فقد خرج الأمر من يده حيث لا سلطان له الآن على الفتى المختبئ بحجرة الطمي،

انتبه الجميع إلى السقطة المدوية بحجرة المكتبة فأسرعوا جميعاً إليها ليجدوا أن الدكتور غارقاً في دمائه فاقداً للوعي فاستدعى الدكتور ميلاد سيارة الإسعاف.

وبعد عدة أيام تماثل الدكتور عوني للشفاء وعاد إلى البيت من المشفى متوجهاً لحديقة منزله وسط أسرته وكان الفتى خلف نافذة تلك الشرفة المطلية بالظمى ومازال هناك أيضاً ذلك الصقر الذي لازال جالساً بجوارها فأخذ يتحدث إليه فلم يكن هذا الصقر

سوى الكاهن الحكيم الذي وعدته بعوده فتاته ليبقى الصراع داخل عالمه فقط كما يمكنه اصلاح الأمر لينال الأمير عفوه الملكي بمساعدة الملكة التي اطلعها على كافة التفاصيل.

بشأن تزوير وثيقة العفو من قبل أمير الجيوش لكنه لم يعترف بأمر أبنته الوصيصة وماذا ستفعل الملكة؟ هل ستترث وتقوم بإصلاح ما افسدت من أبنائها؟

أما فهو فجلس بجوار حمام السباحة كعادته وأخذ يعد الأيام حتى يكمل الفتى عامه العشرين لتتجو الأسرة من ذلك الكابوس وينجو كثير مما علم بهذا السر كان يعلم لو انتهى الأمر قد تعود ابنة أخته وخطيبة جاجان ولكن لم يكن على علم أن الأمر سينتهي كذلك أم لا وأخذ ينظر إلى الفتى الذي مد يديه خارج النافذة وأخذ يتحدث مع الصقر. فكان يتمنى أن يذهب إليه بعض الوقت في غرفته ليعينه عما فيه ولكن استحال عليه الأمر وفقد القدرة على الحركة وأصبح عاجزاً جليسا لا يتحرك.
